جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

معالجة الكليات القرآنية للأنحرافات الجاهلية

(دراسة موضوعية)

رسالة تقدمت بها الطالبة
رسـل سـلام علي
الى مجلس كلية العلوم الإسلامية _ جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتفسير
بأشراف الأستاذ الدكتور
عادل عبد الجبار ثامر الشاطي

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

بسـم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

المائدة ٥٠

صدق الله العليّ العظيم

الإهـداء

إلى أبوي هـذه الأمة سيد البشر وخاتمُ الأنبيــاء والمُرسلينِ محمّد المصطفى (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ، ووصيـهِ من بعده عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وعترته من ولـدهِ الكِرام الأخيــار ...

إلى كُل من بَذل نفسهُ ودَمهُ دِفاعـاً عن أرض الكِتابة ، فكانت دِماؤهم طريقَ نورٍ مَهـدت لنا الوصول إلى ما نحنُ عليـه اليوم ...

إلى كُل طالبِ علمٍ كانت يـدُ المنونِ أقربَ إليـهِ ممّا يحبو لـه ...

إلى الغائبـة جسدياً الحاضــرة روحاً ، فكانت روحها خير من رافقني طوال مسيرتي العلمية شقيقتي رقيـة (رحمها الله) ...

إلى سندي ومتكئي من بعـد الله تعالى عائلتي ...

إلى أصحاب المواقف والدعــاء رفـاق الحياة صديقاتي وزملائي ...

أهـدي جهدي المتواضع مقروناً بالتحيـة والســلام

شكـر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم جزيل الشكر إلى كُل من لـه فضلٌ عليّ بعد الله سبحانه وتعالى ومدّ يدِ العونِ والمساعدة في إنجاز هذا العمل المتواضع بطريقة ما ، كما أقدم شكري للأستاذ المشرف الدكتور عادل عبد الجبار الشاطيّ لما طرحه من ملاحظات دقيقة وتوجيهات قيمّة لإتقان هذ الرسالة وإخراجها على مستوىً من القَبولِ والرضا ، فأسأل الله أن يُبارك في وجودهِ ويحفظهُ وينفع به دين الإسلام ، كما أتقدم بالشكر إلى كلية العلوم الإسلامية متمثلة بعميدها الدكتور عامر عمران الخفاجي والكادر التدريسي كلاً بإسمه وصفته ، وما بذلوه من جهود مباركة في سبيل إيصال العلم والمعرفة وتذييل الصعاب أمام الطلبة ، وأخيراً أقدم شكري إلى كل من مد لي يد العون في إعارة كتاب أو رأي أو أبدى جميلاً لكُل منهم خالص شكري وتقديري وأمتناني .

الرموز والإشارات

د.ط	دون طبعة
د.مك	دون مكان طباعة
د.مط	دون مطبعة
د.ت	دون تاريخ طباعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
...	عدم إكتمال النص
ت	توفي
هـ	هجري قمري
م	ميلادي
ق	قرن
ط	طبعة
(( ))	الكلمة أو العبارة المنسوخة طبق الأصل
[ ]	الكلمة أو العبارة المختلفة بين النسخ الأصلية
( )	النصوص المأخوذة من المصادر والكتب التي إعتمدها المؤلف

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ت
الرموز والإشارات	ث
المحتويات	ج_ح
المقدمة	خ_ر
تحرير مصطلحات العنوان	١_٧
أولاً : المعالجة في اللغة والإصطلاح	١
ثانياً: الكليات القرآنية في اللغة والإصطلاح	٢_٤
ثالثاً : الإنحرافات في اللغة والإصطلاح	٤_٦
رابعاً : الجاهلية في اللغة والإصطلاح	٦_٧
الفصل الأول : الإنحرافات العقدية ومعالجاتها	٨
المبحث الأول : عبادة الأصنام	٩_١٤
المطلب الأول : عبادة الأصنام في الجزيرة العربية	١٥_٢٢
المطلب الثاني : فلسفة العبادة	٢٢_٢٥
المطلب الثالث : طريقة العبادة	٢٥_٢٦
المطلب الرابع : معالجة عبادة الأصنام	٢٧_٥٩
المبحث الثاني : تكذيب النبوة	٦٠_٩٤
المطلب الأول : عقيدة العرب بالنبوة قبل الإسلام	٦٢_٧٠
المطلب الثاني : معالجة عدم الإيمان بالنبوة	٧٠_٩٤
المبحث الثالث : إنكار المعاد	٩٥_١٢٦

المطلب الأول : المعاد عند العرب قبل الإسلام	٩٦_١١٠
المطلب الثاني : معالجة إنحراف إنكار المعاد	١١١_١٢٦
الفصل الثاني : الإنحرافات التشريعية ومعالجاتها	١٢٧
المبحث الأول : الإرث	١٢٨_١٤٠
المطلب الأول : الإرث عند العرب قبل الإسلام	١٢٨_١٣١
المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الإرث	١٣٢_١٤٠
المبحث الثاني : الزواج	١٤١_١٦١
المطلب الأول : الزواج عند العرب قبل الإسلام	١٤٢_١٤٩
المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الزواج	١٥٠_١٦١
المبحث الثالث : الحج	١٦٢_١٨١
المطلب الأول : الحج عند العرب قبل الإسلام	١٦٣_١٧٢
المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الحج	١٧٣_١٨٣
الفصل الثالث : الإنحرافات الأخلاقية ومعالجاتها	١٨٤
المبحث الأول : الربا	١٨٥_٢١٣
المطلب الأول : الربا عند العرب قبل الإسلام	١٨٥_١٨٨
المطلب الثاني : معالجة إنحراف الربا	١٨٩_١٩٧
المبحث الثاني : المُلهيات (الخمر والميسر)	١٩٨_٢١٣
المطلب الأول : الخمر والميسر عند العرب قبل الإسلام	١٩٩_٢٠٢
المطلب الثاني : معالجة إنحراف الخمر والميسر	٢٠٣_٢١٣
المبحث الثالث : قتل الأولاد والوأد	٢١٤_١٣٤
المطلب الأول : قتل الأولاد عند العرب قبل الإسلام	٢١٥_٢١٧
المطلب الثاني : الوأد عند العرب قبل الإسلام	٢١٨_٢٢٤
المطلب الثالث : معالجة إنحراف وأد وقتل الأولاد	٢٢٥_٢٣٤
خاتمة الرسالة ونتائجها	٢٣٥_٢٣٦
المصادر والمراجع	٢٣٧_٢٦٤

المقدمــة

الحُمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد البشر والمرسلين أبي القاسم محمّد وعلى آله وأصحابه المنتجبين إلى قيام يوم الدين وبعد ... إن القرآن الكريم كتاب خاتم الكُتب السماوية المنّزل على الرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب نور وهداية جاء لينقذ الإنسان من براثن الجاهلية والتخلف إلى الصلاح ، قال تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [1] فهو معجزة النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكان وما زال دستور إصلاح البشرية أجمع حمل بين دفتيه العلاج من خلال آياته ومناهجه وأساليبه التي عالج فيها كل ما شذ وكل ما ترضاه الفطرة السليمة والعقل القويم ، و المجتمع العربي في العصر الجاهلي لا يختلف عن غيره من المجتمعات فكلٌ فيها من الأعراف والأحكام الجيدة والمنحرفة عن الطريق المستقيم والعصر الجاهلي أعني به المدة قُبَيل ولادة الإسلام أيّ : ما يقارب القرنين من الزمان ، وهذه حدود دراستي في رسالتي المسومة بـ (أثر الكليات القرآنية في معالجة الإنحرافات الجاهلية) ، ففي هذه المدة التي لا يحكمها دين أو نبي إلا من بقايا إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) نجد فيها كثيراً من الإنحرافات والمخالفات العقدية والتشريعية والأخلاقية التي وقف عندها القرآن الكريم ذاكراً وفي الوقت نفسه طبيباً ومعالجاً لها ليرتقي بذلك المجتمع إلى درجات الكمال ، فعن طريق قوانينه الأساسية وأحكامه نقل العرب من دياجير الجهل والظلام الذي كانوا عليه إلى هدى النور والصلاح من مجتمع الغاب إلى مجتمع تحكمه قوانين عادلة فوق ما وصلت إليه الحضارات فكانت للأسس والمرتكزات القرآنية الأثر البارز في هداية مجتمع تعمّه الفوضى نتيجة هيمنة الجاهلية على كافه شؤون الحياة العملية والفكرية حتى عُد الجهل والهوى والفسق والظلم والجور من أبرز ملامح هذا العصر على الرغم من وجود عقيدة التوحيد ، إلا أنها إختفت بسبب الجاهلية ، ودخول الأفكار البشرية والمعتقدات الفاسدة وتشويه الحقيقة بالخرافة ، ففي العقيدة نجدهم أعرضوا عن توحيد الخالق ودخلوا في إنحرافات عقدية زُينت لهم بدافع

([1]) ابراهيم : ١ .

المصالح ، وفي التشريع جاءوا بأحكام متناقضة مع العقل والفطرة ما أنزل الله بها من سلطان ، أمّا السلوكيات فهي الإنتاج الواقعي لتلكم الإنحرافات والبقاء فيها للأقوى والأمكر .

وتهدف الرسالة في بيان ورصد أهم العادات والإنحرافات الجاهلية العقدية والتشريعية والسلوكية الشائعة والمنتشرة آنذاك ، والمائلة عن العقل والمنطق والفطرة السليمة بصورة عامة دون الخوض في تفاصيل متشعبة ، وتحليلها وكيف عالجها الوحي القرآني وأساليب تلك المعالجة التي كان لها الأثر في القضاء على تلكم الإنحرافات .

وتتجلى **أهمية الموضوع** بإنه أساس في تغيير العقيدة والتشريع والسلوك كون معالجة القرآن للإنحرافات لا تقتصر بالفترة الزمنية التي سبقت الإسلام بل إن صلاحيته ممتدة على مر العصور والدهور وقواعده ثابتة تتلائم مع كل المجتمعات .

أمّا **مشكلة البحث** : فكانت تدور حول الكليات القرآنية وقد تزايد الأهتمام بها مؤخراً سواء اللفظية أو الأسلوبية ، وهذا الأهتمام كانت له جذور قديمة تطرق إليها العلماء من خلال الأشارة إليها هنا وهناك بصورة عشوائية وقد عدت دراسة الكليات من الضروريات في إصلاح المجتمعات كونها حملت بيان العلّة وأسلوب العلاج ، فجاءت الدراسة في الإلمام بالكليات القرآنية المشهورة وأسلوب معالجتها للإنحرافات الجاهلية والتي أوضحها النص القرآني .

أما **منهج البحث** : إستدعت طبيعة البحث دراسة موضوعية تعتمد فيها المنهج الوصفي بصورة أساسية في عرض الموضوع وبيانه ، والمنهج التحليلي في أحيانٍ أخرى لما تتطلبه طبيعة البحث .

وإنتظمت الرسالة في ثلاثة فصول مع مقدمة وتمهيد وخاتمة ، إذ تناول التمهيد التعريف بمصطلحات البحث ، وتناول الفصل الأول الإنحرافات العقدية المشهورة مع معالجاتها والموزعة على ثلاث مباحث الأول يتحدث عن عبادة الأصنام وتضمّن أربعة مطالب : الأول تَكَلم حول (عبادة الأصنام في الجزيرة

العربية) ، والمطلب الثاني تحدث حول (فلسفة العبادة) ، والمطلب الثالث كان موضوعه (طريقة العبادة) ، أمّا المطلب الرابع فكان محوره يدور حول (معالجة القرآن لعبادة الأصنام) ، فيما تحدث المبحث الثاني عن تكذيب النبوة ومنظار العرب إتجاه النبوة وتفرع منه مبحثين الأول كان بعنوان (عقيدة العرب بالنبوة قبل الإسلام) ، أمّا المطلب الثاني تضمّن (معالجة القرآن لعدم التصديق بالنبوة) ، والمبحث الثالث تكلم عن إنكار الميعاد والبعث والنشور من جديد وما تضمنته من تحريفات ، وكيف عالج القرآن الشبهات والرؤى المحرفة المرتبطة بتلكم العقائد وتفرع منه مطلبان : الأول كان (عقيدة العرب بالمعاد والبعث من جديد) أما الثاني فكان (معالجة إنحراف إنكار المعاد) ، أمّا الفصل الثاني فتناول الإنحرافات التشريعية فتضمّن ثلاث مباحث الأول تحدث عن الميراث وقوانين العرب في تقسيمهم الميراث ، كما تحدث عن قوانين الإسلام في توزيع الإرث بين الورثة وخرج منه مطلبان الأول : (الميراث عند العرب قبل الإسلام) ، والثاني كان حول (معالجة الإنحرافات في الميراث) ، وتناول المبحث الثاني الزواج عند العرب وكيف نظمه الإسلام عن طريق آياته التي تحدثت عنه ، وتفرع منه مطلبان ، الأول : (الزواج عند العرب قبل الإسلام) ، والثاني تحدث عن (معالجة الإنحرافات في الزواج) ، والمبحث الثالث كان محوره الحَجّ في الجاهلية وتعديل الشعائر وتقويمها من قبل الوحي القرآني لتكون خالصة لله وحده ، وتفرع من هذا المبحث مطلبان ، الأول تحدث عن (الحج عند العرب قبل الإسلام) ، والثاني تحدث عن (معالجة الإنحرافات في الحَجّ) ، أمّا الفصل الثالث فكان يتعلق بالمعاملات المحرّمة والمتمثلة بالربا وهذا ما تحدث به المبحث الأول ، وتفرع منه مطلبان ، الأول : كان حديثه حول (الربا عند العرب قبل الإسلام) ، أمّا الثاني فكان (معالجة إنحراف الربا) ، والخمر والميسر كان موضوع المبحث الثاني ، فتفرع منه مطلبان ، كان الأول يدور حول (الخمر والميسر عند العرب قبل الإسلام) ، بينما الثاني كان (معالجة إنحراف الخمر والميسر) ، أمّا الثالث فكان نصيبه مسألة قتل الأولاد والوأد والذي يعد من أبشع ما ارتكبته البشرية آنذاك ، وتفرع منه ثلاثة مطالب ، الأول كان حديثه حول (قتل الأولاد عند العرب قبل الإسلام) والثاني : (الوأد عند العرب قبل الإسلام) ، أمّا الثالث

فكان حول (معالجة إنحراف قتل الأولاد والوأد) ، وممّا يلزم ذكره إن الإنحرافات المذكورة لم تكن بالضرورة عامة وشاملة لجميع الأفراد ، وإنما جاءت شهرتها لتميزها في القبح والبشاعة ، فعُدت من الإنحرافات المشهورة فكان ولا بد من إصلاحها ومعالجتها ، وإستندتُ في الدراسة على التفسير الأثري لآيات القرآن الكريم ، إذ أعتمدتُها كمصدرٍ أساسي لا يعلو عليه في الصدق أيُ مصدر آخر فكل إنحراف تطرقت إليه في رسالتي مؤيد ومؤكد بتفسير آيات القرآن الكريم ، كما أستعنتُ في التفصيل بكتب التفسير والسيرة والحديث وشروحه التي كان لها الدور البارز في بناء الرسالة ، فضلاً عن مصادر التأريخ القديمة والحديثة والتي رفدت البحث بمعلومات عن طبيعة البيئة العربية ، فضلاً عن نهج البلاغة وشروح نهج البلاغة والتي عززت المعالجة ، كما أن كُتب التراجم والأنساب كانت لها نصيب ، فقد أسهمت في ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث ، ولا يخفى أثر اللغة ، فكانت لكثير من كُتب اللغة والبلاغة بصمات في كشف ما أُبهم من الألفاظ والمصطلحات ، وإستطرادها للعديد من الأخبار حول تاريخ العرب كما أرفدتُ رسالتي بذكر بعض الدواوين الشعرية كون الشعر ديوان العرب ، وهو مرآة شبه الجزيرة والواقع العربي في العصر الجاهلي ، فضلاً عن كتب الأدب الأجتماعي وكتب البلدان وعلوم آخرى أسهمت في تأكيد المعلومة ، كما أستعنت ببعض الرسائل والأطاريح الجامعية في بيان آرائها في بعض الأعراف الجاهلية وقد تعرض في أثناء كتابتي لجملة من المشكلات منها إختلاف آراء ورؤى المفسرين حول الآيات التي تحدثت عن القضايا المراد البحث عنها فضلاً عن حجم الرسالة وعدد صفحاتها بسبب سعة الموضوع كونه تحدث عن القضايا العقدية والتشريعية والسلوكية ، وهذا يتطلب كثيراً من الوقت والكتابة لوجود تفاصيل دقيقة تتخلل العناوين الكبيرة مما أُلزم الباحثة الأختصار تجنباً لتجاوز الحد المقرر ، هذا والحمد لله على ما أنعم علينا في إتمام وصول عملنا المتواضع هذا ، ونسأله القبول والرضا ...

الباحثة

التمهيد

تحرير مصطلحات العنوان

المعالجة : يعود لفظ المعالجة لغوياً إلى :

العلِجْ بوزن العجل هو الرجل الشديد من العجم والجمع علوج واعلاج وعلجه [١] ، وعالج الشيء معالجة وعلاجاً إذا زاولته [٢] ، ويرجع أبن فارس (ت:٣٩٥هـ) المفردة إلى إن العين واللام والجيم أصل صحيح يدل على تمرس ومزاولة في جفاء وغلظ ومن ذلك العلِجْ وهو الحمار الوحشي لإستعلاج خلقه ويقال عالجت فلان فعلجته علجاً اذا غلبته [٣] ، ويذهب البحث إلى أنها معانٍ متقاربة ، وإن اختلفت ألفاظها والمزاولة هي موضوع البحث.

المعالجة إصطلاحاً : يختلف إستعمال مفردة المعالجات من علم لعلم آخر ولكن هناك تعريف عام قد ينطبق على جميع العلوم تقريباً ، والمعالجة مفردة لجمع المعالجات .

وتعرّف بإنها : (فعل شيء من خلال اتخاذ مجموعة معدة وروتينية من الاجراءات أو الخطوات اللازمة للتحويل من شكل إلى آخر) [٤] .

---

(١) ينظر : العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) : ٢٢٨/١ مادة (علج) ، تح : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .

(٢) ينظر :مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ٢٣٥ مادة (علج) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ، الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ): ١ /٣٣٠ مادة (علج) تح : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٣٧٦هـ -١٩٥٦م .

(٣) ينظر :مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ٢٣٥ مادة (علج) ، الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ): ١ /٣٣٠ مادة (علج) .

(٤) ar.m.wikipeadia.or .

الكليات لغة :

الكليات في اللغة جمع كليّة و كليّ وهي المنسوبة إلى كلمة كل ، والكل هو اليتم والكلّي العيالي والذي هو ثقل على صاحبه [١] ، ومنه قوله تعالى :﴿ **وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ**﴾ [٢] .

وقد أعاد ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) مادة الكاف واللام إلى أصول ثلاثة :

الأول_ يدل معناه على خلاف الحِدَة ، والثاني_ يدل على إطلاق شيء بشيء ، والثالث_ عضو من الاعضاء) [٣] ، ويرى أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) إن الكل هو الاحاطة بالأجزاء ، وأصله من قوله تكلله ، أيّ : احاط به ، ومنه الإكليل ، وسمّي بذلك لإحاطته بالراس [٤] ، والكلُ : بالضم أسم يجمع الأجزاء يقال كلهم منطلق وكلهن منطلقة ، الذكر والأنثى ، وفي ذلك قال أبو بكر السيرافي (ت: ٣٦٨هـ) (إنما الكل عبارة عن اجزاء الشيء فكلما جاز أن يضاف الجزء إلى الجملة جاز ان تضاف الأجزاء كلها إليها) [٥] ومثال قوله تعالى : ﴿ **وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿ **كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴾ [٧] .

وقيل : (إن الكل بمعنى التناهي ، وقد بلغ الغاية فيما خصه من الخصال ، مثال على ذلك : العالم كل العالم) [٨] ، وإنطلاقاً من التعريفات اللغوية لمفردة (كل) والتي ينبثق منها مصطلح الكليّة نلاحظ على الرغم من تعدد صيغ التعريفات إلا إنها تعود لمعنى واحد يلملم شتاتها وهو: ان الكلّية أو الكلّ أسم جامع للمعاني والأجزاء رغم إن بعضهم عبّر عنه بالإستغراق ، وآخر بالتناهي ، وثالث بالإحاطة .

---

(١)العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) :٢٨٠/٥ مادة (كلل) ، الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٨١١/٥ مادة (كلل) .
(٢) النحل : ٧٦.
(٣) ينظر : مقايس اللغة : ١٢١/٥ مادة (كلل) .
(٤) ينظر : الفروق اللغوية : ١٤٢ ، تح : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة _ مصر ، ط١ ، ١٩٩٧م .
(٥) لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) :١١/ ٥٩٠ مادة (كلل) .
(٦) النمل : ٨٧.
(٧) البقرة : ١١٦.
(٨) ينظر : القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ١٠٥٣ مادة (كلل) ، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، دمشق ـ سوريا ، ط٦، ١٩٩٨م .

الكليات إصطلاحاً :

إن أصل لفظة الكليات تعود إلى الكل أو الكليّ ، و يُعرف الكلّ : (عبارة عن الحكم على كل فرد من أفراد تلك المادة حتى لا يبقى منها فرد) [١] وكل أسم لجملة مركبة من أجزاء وهي لفظ عام تقتضي عامة الأسماء ، وهي الإحاطة على سبيل الإنفراد [٢] أمّا (الكلّي) فيمكن تعريفه : المفهوم الذي لا يمتنع صدقه على اكثر من واحد [٣] ، والكليات جمع كلية وهي : (حكم ينطبق انطباقاً على موضوع ما بكل افراده دون ان يتخلف أي فرد منه) [٤] .

ونلاحظ إن لمفردة الكليات إستعمالات متعددة في كافة العلوم والفنون سواء عند اللغويين أو الفقهاء أو الاصوليين أو المتكلمين وغيرهم ، كما إن معناها الإصطلاحي لا يختلف كثيراً عن معناها اللغوي فالإحاطة والشمول تعد من لوازمها وجوهر مدلولها .

أمّا لفظ القرآنية جاءت من القرآن ، ويعرف لغة : على وزن (فعلان) ، رغم إختلاف اللغويين فيه إيما إختلاف في أصل اللفظ نتيجة إعتبارات وتساؤلات عديدة تتأرجح ما بين المهموز وغير المهموز ، وبين العربيّ والأعجمي ، إلا إن الباحثة تذهب مع الرأي المختار ، والذي يُعتبر الأقرب إلى دلالة اللفظ ، فهو مهموز اللام من قرأ يقرأ ، وقرآناً ، والذي جاء بمعنى القراءة [٥] قال تعالى : **﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾** [٦] .

أمّا القرآن إصطلاحاً : عرّف جملة من العلماء والباحثين القرآن الكريم بعدة تعريفات منها هو : (كلام الله المعجز المنزل وحياً على النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته) [٧] .

---

(١) العقل المنظوم في الخصوص والعموم ، شهاب الدين القرافي (ت:٦٨٤هـ) : ١٥٠/١ ، تح : احمد الختم عبد الله ، دار الكتب ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(٢) ينظر : التعريفات ، الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) : ١٥٦.

(٣) ينظر : المنطق ، الشيخ محمد رضا المظفر (ت:١٣٨٣هـ) :٥٩ ، دار التعارف للمطبوعات ،ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٤) الكليات الشرعية في القران الكريم ،حسن حريفي (ت:١٤٤٢هـ) : ١٧/١، دار ابن القيم ، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

(٥) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ): ١/ ١٢٨ مادة (قرأ) .

(٦) القيامة : ١٦ – ١٨.

(٧) علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم (ت:١٤٢٤هـ) : ١٧، شبكة الفكر ، ط ٣ .

وأمّا الصيغة المركبة (الكليات القرآنية) ، فقد عُرفت على إنها: (لفظ أو إسلوب جاء في القرآن الكريم على معنى مطرد) [١] ، وهي التي يرتكز عليها القرآن الكريم من القواعد ، والأصول ، والأحكام ، والتي تنطبق على مجالات وأبواب عديدة ، كما تنطبق على جزئيات غير منحصرة [٢] ، فالكليات القرآنية على نوعين منها كليات ألفاظ وأخرى أساليب ، و تقسم إلى أصناف عديدة فمنها ما يتعلق بالجانب العقدي وتسمى الكليات العقدية ، وأخرى تشريعية ، إذ تبحث في أصول وقواعد التشريع ، وثالثة تتعلق بالجانب السلوكي والأخلاقي ، فضلاً عن الكليات المقاصدية أو القصدية [٣] ، ويمكن القول إن الكليات القرآنية جاءت في القرآن الكريم على صيغ وسياقات مختلفة من أمثال وقصص وأمر ونهي ودعوى وترغيب وترهيب وغيرها من أساليب القرآن الكريم وألفاظه التي تتحدث حول جملة من موضوعاته المصاغة ضمن أسس تندرج تحتها أحكام وقواعد وضوابط في السير والسلوك .

الإنحرافات لغة :

يرجع أصل لفظ الإنحرافات إلى الحَرَف و الحَرَف الناقة الصُلبة ، وشبه بها بحرف الجبل [٤] ، وجاء في في قول الشاعر : جمَالِية حَرف سِنَادٍ يَشُلّها وَظِيف أَزَجّ الخَطو رَيَّان سَهُوق [٥] .

وللحاء والفاء والراء ثلاثة اصول :

الأول – حدّ الشيء طرفه وشفيره ، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد [٦] ، والحرف هو الوجه تقول : من امر على حرف واحد أي : طريقة واحدة ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ** ﴾ [٧] .

---

(١) فصول في اصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار :١٢٢، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

(٢) ينظر : الكليات القرآنية بين التأسيس القواعدي والقواعد المؤسسة ، ليث العتابي : ١٦١ ، مجلة المصباح ، العتبة الحسينية المقدسة ، عدد ٢٥ ، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م .

(٣) ينظر : الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية ، الدكتور أحمد الريسوني : ٧٢ ، دار السلام ، القاهرة _ مصر ، ط١ ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .

(٤) ينظر : العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) : ٢١٠/٣ مادة (حرف) .

(٥) ديوان ذي الرمة ، غيلان بن عقبة : ٣٩٥ .

(٦) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٤٢/٢ مادة (حرف) ، تاج العروس ، محب الدين أبي الفيض الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ١٢٨/٢٣مادة (حرف) ، تح: مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

(٧) الحج : ١١.

أي : يعبده على وجه واحد كالعبادة في السراء دون الضراء[١].

والاصل الثاني – الإنحراف والعدول عن شيء يقال : إنحرف عنه ينحرف إنحرافاً ، ايّ : مال وعدل [٢] وجاء في الذكر الحكيم ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [٣]

والاصل الثالث – تقدير الشيء ، والمحراف حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج [٤] ، والتحريف التغيير : وتحريف القران تغير الكلمة عن معناها وقريبة الشبه ، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالإشباه [٥] .

والحَرف : (الأداة الرابطة والتي تربط الأسم بالأسم والفعل بالفعل كعن وعلى وغيرهما ، وعن ابن سيدة (ت: ٤٥٨هـ) : الحرف القراءة التي تقرأ على اوجه ، وما جاء في الحديث الشريف من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (نزل القران على سبعة احرف كلها شاف كاف واراد بالحرف هنا اللغة)[٦].

الإنحرافات إصطلاحـاً :

يختلف التعريف الإصطلاحي للإنحراف بإختلاف المنظور فمن العلماء من يعرفه من منظور قانوني ومنهم من يعرفه من منظور نفسي ومنهم من يعرفه من منظور إجتماعي .

أمّا من المنظور الإسلامي فيعرّف بأنه (الميل والعدول عن الصراط المستقيم الذي رسمه القران الكريم منهجاً للحياة تسير عليه) [٧] ، وقيل : (ترك الحق والوسطية والإستقامة أيّاً كان موضوع الانحراف أو أو مجاله أو صوره) [٨].

---

(١) ينظر : مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ١٣٥/٢ – ١٣٦ مادة (حرف) .
(٢) م. ن .
(٣) النساء : ٤٦.
(٤) ينظر : مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) :٢ / ١٣٥- ١٣٦ مادة (حرف) .
(٥) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) :٩ /٤١ مادة (حرف) .
(٦) م. ن :٩/ ٤٣ مادة (حرف) .
(٧) ينظر : الانحراف الفكري مفهومه ـ اسبابه ـ علاجه في ضوء الكتاب والسنة ، طه عابدين طه : ٩، معهد احياء التراث .
(٨) ينظر : ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الاسلامي ومعالجتها ، د. محمد عبد الصمد : ١٤٧ ، دراسات الجامعة الاسلامية العالمية ، شيتاغونغ ،مجلد ٤ ، ديسمبر ٢٠٠٧م .

ومن خلال التعريفات اعلاه نرى إن مفهوم الإنحراف إصطلاحاً لا يبتعد كثيراً عن معناه اللغوي وهو ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم) والميل عنها والوقوع في المحرمات سواء كانت متعلقة بالعبادات أو المعاملات والأخلاق وبهذا يمكننا القول إن الإنحراف هو العدول سواء كان عن منهج السماء أو العدول عن بيئة مجتمع معيّن.

الجاهلية لغة : الجيم والهاء والام أصلان أحدهما – خلاف العلم [١] ، والآخر – الخفة وخلاف الطمأنينة [٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [٣] .

ويرى الراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٤هـ) إن الجهل على ثلاثة أضرب :

الأول – خلو النفس من العلم ويعد هذا هو الاصل ، الثاني – إعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه الثالث – فعل الشيء على خلاف ماحقه ان يفعل سواء اعتقد فيه إعتقاد صحيح ام فاسداً [٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [٥] والزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) يقول : إن الجهل ما هو إلا التقدم في الأمور المبهمة بغير علم [٦] .

والجاهلية (ما كان العرب قبل الإسلام) [٧] .

الجاهلية إصطلاحاً :

قبل الدخول في مفهوم الجاهلية إصطلاحاً لابد من تعريف الجهل ، إذ عرّفه الجرجاني (ت:٨١٦ هـ) على أنه : (إعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه) [٨] ،أمّا مصطلح الجاهلية فقد ورد بعدة تعريفات نتطرق إلى ذكر بعضٍ منها :

---

(١) ينظر : العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) :٣ / ٣٩ مادة (جهل) ، الصحاح ، الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) :٤/ ١٦٦٤ مادة (جهل) ، مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) :١ /٤٨٩ مادة (جهل) .
(٢) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٤٨٩/١ .
(٣) البقرة : ٦٧ .
(٤) ينظر : المفردات :٢٠٩.
(٥) الحجرات : ٦.
(٦) ينظر : تاج العروس : ٢٥٩/٢٨ مادة (جهل) .
(٧) المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى واخرون : ١٤٣-١٤٤.
(٨) التعريفات :٨٠ .

على إنها الفترة التي يكثر فيها الجهل وغالباً ما تكون في الفترة التي تحدث بين رسولين ، والجاهلية تطلق على زمن الكفر مطلقاً ، وعلى الفترة بين مولد النبي ومبعثه [١] ، وهناك من قال : ان الجاهلية ليس من الجهل والذي هو ضد العلم ، وانما من الجهل الذي يعني السفه والغضب والأنفه [٢] .

وقال سيد قطب (ت: ١٣٨٦هـ) أنها : (كلمة تطلق على حالة نفسية ترفض الإهتداء بهدى الله تعالى ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما انزل الله تعالى) [٣] ، وعُرّفت على أنها نقيض العلم أيّ : الجهل بالقراءة والكتابة ، على إن أخرين فهموها بإنها الجهل بالله ورسله وشرائعه واتباع الوثنية ، وذهب آخرون الى إنها من التفاخر بالأنساب والقبلية والتكبر والتجبر [٤] ، وقيل :هي الفترة التي سبقت الإسلام بمئتي سنة ومن ذلك اخذوا كلمة الشعر الجاهلي والادب الجاهلي والعصر الجاهلي كما سمي اعرابها بعرب الجاهلية [٥] .

ويمكن القول : إن سيد قطب استمد تعريفه من واقع القرن العشرين المنبثق من فساد في المعرفة والعلم والحضارة وما تمخض من فساد في السلوك الشائع والمعروف في جاهلية العصر الاول قبل الإسلام والذي جاء الإسلام لإصلاحه ، كما يمكن أن يطلق لفظ الجاهلية على أيّ فترة فيها عادات وأفعال ومعتقدات تخالف شرع الله سواء كان عند العرب قبل البعثة أو عند غيرهم من الأمم السابقة وسواء كان في غابر الزمن أو في الوقت الحاضر، وهذا ما يلاحظ في النصوص القرآنية ، كقوله تعالى : **﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾** [٦] .

وقوله تعالى : **﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾** [٧] .

وقوله تعالى : **﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾** [٨] .

وقوله تعالى : **﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾** [٩] .

---

(١) ينظر : بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ، محمود شكري الآلوسي (ت: ١٣٤٢هـ) : ١٥/١ ، تح : محمد الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
(٢) فجر الإسلام ، أحمد أمين (ت:١٣٧٣هـ) : ٨٤ ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢م .
(٣) ينظر : جاهلية القرن العشرين : ٧ ، دار الشروق ، ط١٢ ، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م .
(٤) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٨/١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ط٢، ١٩٨٠م .
(٥) ينظر : الاسلام وتقاليد الجاهلية ، آدم عبد الله الالوري (ت:١٤١٣هـ) : ٤٠ ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠١٢م .
(٦) ال عمران : ١٥٤.
(٧) المائدة : ٥٠.
(٨) الاحزاب : ٣٣.
(٩) الفتح : ٢٦.

الفصل الأول : (الإنحرافات العقديـة ومعالجاتها)

المبحث الأول – عبادة الأصنام

المبحث الثاني – تكذيب النبوة

المبحث الثالث – إنكار المعاد

المبحث الأول

عبــادة الأصنــام

لمحة تأريخية :

إن لشبه الجزيرة العربية أهمية كبرى من الناحية الدينية ، في هذه المنطقة ، ولإحاطتها بحضارات مختلفة وقربها من أراض كانت مهبطاً للعديد من الأنبياء والرُسل ، إلتقت فيها الأديان المختلفة سواء كانت سماوية أم وثنية وكلٌ فيها يتبع ما يراه مناسباً لنفسه ، أو ما ورثه من آبائه وأجداده من دين أو عقيدة كما لم يكن هناك نقاش أو جدل بين أتباع الديانات آنذاك ، وبين عبّاد الأصنام أو الديانة الوثنية ، ومن الأديان السماوية المنتشرة هناك الدين اليهودي وهي ديانة نبي الله موسى (عليه السلام) وكتابها التوراة وأتباعها يسمّون باليهود والديانة المسيحية شريعة عيسى (عليه السلام) وأتباعها النصارى وكتابها الإنجيل فضلاً عن هاتين الشريعتين هناك من يتبع الدين الحنيفي والذي يعد أقدم من الشريعتين الموسوية والمسيحية وأتباعه يُدعَون الأحناف وهم أتباع نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وهو : قائم على توحيد الله وحده لا شريك له قال تعالى : **﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾** [1]

والأحناف موجودون في كل عصر ومصر ، وهم كما تم وصفهم : (الذين بقوا على أصل فطرتهم ونظروا بعين البصيرة ، وهم البقايا من دين إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهم السلام) الذين إعترفوا بوجود إله لا معين له ، ولا ظهير موصوف بصفات الجمال والكمال والتي أثبتها بمخلوقاته ، وكتبه على لسان رُسله ويعملون بشعائره من الطواف والحج وغيرها من شعائر دين التوحيد...) [2] .

وهذا ما يثبت صحته قول النبي الأعظم محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) عندما جاء بالإسلام حيث قال ((لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية)) [3] ، و على الرغم من وجود الموحدين إلا إن الديانات الوثنية كانت منتشرة هناك ولها أتباع كُثر كما إن لها مظاهر عديدة في شبه الجزيرة وأبرز مظاهرها عبادة الأصنام ، فعبادة الأصنام لم تكُن وليدة عند العرب ، بل لها عمق ضارب في المجتمعات الأخرى ، وخير دليل على ذلك ما ذكره الله

---

(1) النحل : ١٢٣.
(2) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب، محمود شكري الالوسي البغدادي (ت:١٣٢٤هـ) : ١٩٦/٢.
(3) بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ) : ١١٧/١٥ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

عز– وجل في كتابه القران الكريم من الأصنام في عهد النبي نوح (عليه السلام) حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ [١] ، وعهد النبي إلياس (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ۞ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** ﴾ [٢] وبعلاً هو احد الأصنام التي عُبِدتَ في الشام ، وسنتطرق إلى هذه الأصنام بشيء من التفصيل لاحقاً بأذن الله ، وما يمكن ملاحظته إن العرب قبل تحوير العبادة من قبل عمرو بن لُحيّ [٣] لم تكن عبادتهم للأصنام بالمعنى المحضّ للعبادة ، وإنما كانوا يعتقدون بوجود خالق للكون ومالك له كما صرحت بذلك العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٤] ، إن أكثر المشركين لا يعلمون من الذي يستحق الحمد والشكر [٥] ، وإقرارهم بكونه الخالق ملازم لحمده ، فهم لا يعلمون بأنهم ملزمون بحمده ، إذ أنهم يؤمنون بالخالق ويحمدون الأصنام ! [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ [٧] ، إن الإعتراف بأن الله خالق الكون أكبر دليل على بطلان عبادة الأصنام ، فمن خلق السماوات السبع والأرضين هو المؤهل للعبادة لا حجارة صماء ، وصفتي العزيز والحكيم ملازمة للخالق ، فهو العزيز في سلطانه والعليم بما في السماوات والأرض ، وهذا ما لا ينكره المشركون لإنهم أعلم بقدرة أصنامهم التي صنعوها من الحجارة و مواد الأرض ، فكيف بقدرة من صنع الحجارة وهي الوسيلة إليه [٨] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ...**﴾ [٩] .

---

(١) نوح : ٢٣ .
(٢) الصافات : ١٢٣ – ١٢٥.
(٣) أحد أسياد مكة يرجع نسبه إلى قبيلة خزاعة قام بدعوة العرب إلى عبادة الأصنام وحور دين التوحيد إلى الشرك ، ينظر : البداية والنهاية أبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ١٨٧/٢ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
(٤) لقمان : ٢٥.
(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٥١/٢٠ ، تح : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
(٦) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٣ /٥٠٠ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .
(٧) الزخرف : ٩ .
(٨) ينظر : جامع البيان عن تاؤيل القرآن ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٥٧١/٢١_٥٧٢ ، الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٤/١٦ .
(٩) الزمر : ٣٨.

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [1] .

ففي الآية توبيخ لهم ، على تناقضهم في أقولهم وأفعالهم ، فعلى الرغم من علمهم بأن الله هو خالق الكون أعرضوا عنه وتوجهوا إلى عبادة الأصنام التي كانوا يزعمون إنها الوسيطة والشفيعة بينهم وبين الله فضلاً عن الذريعة التي كانت يتذرعون بها في ضرورة وجود معبود ملموس ومحسوس يأنسون بعبادته وبالتقرب إليه [2] ، وهذا إيمان مبتور ولكنه خرج صريحاً على ألسنتهم يقول سيد قطب : (ت:١٣٨٦هـ) : ((كان أهل الجاهلية يعترفون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون الله بصفاته التي جاء بها الإسلام ...وكانوا يعرفون الله خالقاً لهذا الكون ، وخالقاً لهم كذلك ، ولكنهم كانوا يتخذون من دونه شركاء...)) [3] ، ويعزى السبب الرئيس في ذلك إلى الجهل والفراغ المعرفي ، فالمتتبع للطبيعة الآيديولوجية لسكان شبه الجزيرة العربية يجدهم يحملون من بساطة العقل ومحدودية الفكر ما جعلهم يؤمنون بالأمور الحسية فقط ، فكل ما هو مسموع أو مرئي يؤمنون به ، هذا السبب وغيره من الأسباب تشكلت فيما بينها وساهمت في إنتشار الوثنية ، على الرغم من إن العلماء لم يحددوا أساساً من أدخلها الى البشرية بصورة عامة ، ومن ساهم بنشرها ، نتيجة لتوالي القرون وكان ذلك مستحيلاً ، إلا إن ابن السائب الكلبي(ت: ٢٠٤هـ) يقول : بأسبقيتها على الدين الحنفي معللاً انتشارها ((وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل حجراً من حجارة الحرم تعظيماً وصَبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل)) [4] .

ويؤيد المفسر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رأي ابن الكلبي حيث يقول : ((وأعلم ان لا دين اقدم من دين عبدة الأوثان ، وذلك ان اقدم الأنبياء الذين نُقل إلينا تأريخهم هو نوح –عليه السلام)) [5].

ومن خلال ذلك يمكن أن نلاحظ إن عبادة الأصنام كانت منتشرة في زمن النبي نوح (عليه السلام) وقد ذَكَرت ذلك سابقاً ، بل ربما تكون قد سبقته ، وعندما بعث الله إبراهيم نبياً يهديهم إلى التوحيد وعبادة الواحد الأحد أتبعوه ولكنهم ما لبثوا حتى عادوا مرة اخرى إلى عبادة الأصنام ، وأعادوا إحياءها بعد إن كاد الناس يتناسوها ، و يمكن القول إن الوثنية بدأت بوقت متقدم وكانت ملازمة للتوحيد ، إلا إن الأصل

---

(١) الزخرف : ٨٧.
(٢) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٧٩/١٦ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م .
(٣) في ظلال القران : ٣١٧٧/٥ ، دار الشروق ، القاهرة –مصر ،ط٣٢ ،١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
(٤) الاصنام : ٦ ، تح : احمد زكي باشا .
(٥) مفاتيح الغيب : ٣٠/١٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .

في الخليقة هو التوحيد وهي فطرة الله التي فطر بها البشر والأدلة على ذلك كثيرة ، وسأذكر دليلاً على ذلك ، وهو إن أول مخلوق وجِد على الأرض هو آدم (عليه السلام) وهو نبي موحد لله يعبده ، ولا يشرك به احداً ، ثم بعد ذلك إنتشرت عبادة (الأصنام او الأوثان) [١] إنتشاراً واسعاً في كل بقاع الدنيا وبالأخص في شبه جزيرة العرب ، فكانت لأصنام عرب العصر الجاهلي أشكال وهيئات وأنواع ونماذج مختلفة كما انها مصنوعة من مواد مختلفة أيضاً [٢] ، كما أن لكل صنم نوع او رب النوع مثلاً : صنم للسلم وآخر للحرب وصنم للمطر وهكذا .

وكان للفرد الحرية في عبادته للأصنام داخل نطاق القبيلة ، فلكل فرد صنم يمجده ويعظمه ويتقرب إليه وينحر عنده ويتقدم بالقرابين والهدايا إليها وتعكس هذه الحالة المستوى الإقتصادي للفرد ومركزه الإجتماعي ، ويمكن ملاحظة هذا الوصف عند ابن الكلبي (ت:٢٠٤هـ) ، حيث قال : ((أشتهرت العرب في عبادة الاصنام فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء البيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما أستحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت)) [٣] .

وعند مراجعة الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة الأصنام أو الأوثان نجدها جاءت في السور المكية إلا في سورة واحدة مدنية ، وهي سورة الحج وتعد هذه من ميزات السور المكية ، إذ راعت فيها بيئة المجتمع الجاهلي وعالجت الإنحرافات الشائعة عنده ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ** ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا...** ﴾ [٨] .

---

(١) ينظر : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٥٨/٦ (الآراء المختلفة حول الصنم والوثن) .
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) :٥٥/٦.
(٣) الاصنام : ٣٣.
(٤) ابراهيم : ٣٥ .
(٥) الانعام : ٧٤ .
(٦) الانبياء : ٥٧ .
(٧) الشعراء : ٧ .
(٨) العنكبوت : ١٧.

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**﴾ [١] .

وعند التمعن في هذه الآيات نجدها جميعها تشترك في حكاية واحدة وهي حكاية نبي الله إبراهيم مع قومه وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على الترابط بين المعاندين من قوم إبراهيم (عليه السلام) ومشركي عرب الجاهلية فقد قاوموا التوحيد بكل الطرق ولم يرغبوا عن أي دين .

ويمكن القول إن السبب في ذلك يرجع إلى (إن عبادة الاصنام أو الوثنية تتفق مع النظام القبليّ ، فلكل قبيلة معتقدات ومقومات تمثل المثل الاعلى للفرد) [٢]، و بذلك بدلوا نعمة التوحيد وطريق الحق والعدل والذي أقام معالمه إبراهيم (عليه السلام) بعد إن هاجر من أرضه الى هذه البقعة بالكفر وإتبّاع أهل الظلال ، إذ إن : ((ذكر قصة إبراهيم (عليه السلام) توّرك على المشركين من أهل مكة إن كانوا على الحالة التي نعاها جدهم إبراهيم على قومه ، وكفى بذلك حجة عليهم ، وايضاً فأن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى)) [٣] ، كما أن إبراهيم (عليه السلام) يحظى بإحترام الأقوام كافة ، ولاسيما مشركي العرب .

أمّا الآية التي ورد فيها لفظ الأصنام ، والتي تحدثت عن قوم موسى (عليه السلام) وجهلهم ، وما أشبه بني إسرائيل بعرب الجاهلية فكان إشراكهم نتيجة الجهل بربوبية الله فبنو إسرائيل طلبوا من موسى أن يتخذ لهم عجلاً ليعبدوه مع الله فرد عليهم النبيّ بأنهم قوم يجهلون قال تعالى : ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [٤] .

وكذلك الحال مع مشركيً الجاهلية ، إذ طلبوا من نبيً الإسلام محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) أن يعبد بعض آلهتهم فوصفهم بالجهل ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾ [٥] .

إذن فالجهل هي الصفة المشتركة بينهم ، وفي هذا الصدد يقول سيد قطب (ت:١٣٨٦هـ) : (إن هذه النصوص القرآنية تثبت حقيقة الدين...ومثله من حقيقة المعركة والتي هي بين دين التوحيد كله وبين الجاهلية كلها) [١] .

---

(١) العنكبوت : ٢٥.
(٢) ينظر : الأساطير العربية قبل الإسلام ، محمد عبد المعيد خان : ٩٨، مكتبة الثقافة الدينية .
(٣) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٩٢/١٧، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤م.
(٤) الاعراف : ١٣٨.
(٥) الزمر : ٦٤.

ونرى إن وصف المشركين بالجهل وصف مناسب لهم ويليق بوضعهم ، فبعد إن كانوا يؤمنون بوجود مالك وخالق للكون وانه واحد لا شريك له ولا ولد ، وبعد إن عرفوا أن أرضهم أرض توحيد إلتجأ إليها شيخ الموحدين ، وبنى فيها بيت الله الكعبة وجعلها مأمناً يأمن إليها كل خائف وطريد ، ومع وجود بقايا وآثار شعائر التوحيد على مر العصور وتوالي السنين والأنبياء ، إنحرفوا عن عبادة الله وعبدوا ما لا ينفع ولا يضر!! فأي جهل أعظم وأكبر من هذا الجهل؟ وبعد هذه المقدمة لا بد من التعرف على طبيعة عبادة الأصنام عند العرب قبل ولادة الدين الإسلامي .

([1]) في ظلال القران : ١٣٣٠/٣.

المطلب الأول : عبادة الأصنام في الجزيرة العربية .

تعد قبيلة جُرهم من أول القبائل التي سكنت في شبه الجزيرة العربية ، وكانوا في بداية الأمر يدينون بدين الحنيفية ، ويقومون بخدمة الحجيج ، كما ان لهم منزلة عند العرب إلا إن ومع مرور الوقت حدث تطور كبير في الساحة الدينية والسياسية ، فقد طمع زعيم قبيلة خزاعة في منصب الحكم على مكة وجهز بذلك جيشاً كبيراً للإستيلاء عليها ، ويمكن ان نستنتج ذلك من خلال ما قاله ابن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) (أن إبراهيم لما سكن مكة وولد له بها اولاد كثيرون حتى ملأوا مكة ونفى من كان فيها من العماليق وضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات مع بعضهم بعضاً ، فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش) [١] وسيطرت قبيلة خزاعة على مكة برئاسة زعيمها عمرو بن لُحيّ ، وهو الذي أجمع أرباب التواريخ على أنه أول من أبدل دين التوحيد وشريعة إبراهيم (عليه السلام) بعبادة الأصنام فهو من : (بدل دين إسماعيل –عليه السلام –ونصب الأوثان ، وسيب السائبة [٢] ، ووصل الوصيلة [٣] ، وبحر البحيرة [٤] ..) [٥] .

إن العرب أحبت عمرو بن لُحيّ ودانت له معتقدين إنه من أفاضل العلماء وأكابرهم ، لكن الحقيقة على العكس تماماً ، ولما كانت لمكة والبيت الحرام مكانة وقدسية عند العرب فكانت أول خطط المكر عنده تعظيم مكة وحرمتها وقد وصف الازرقي(ت: ٢٥٠هـ) وضع مكة في عصره ، فقال : ((وبلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ قبله ولا بعده في الجاهلية ، وهو الذي قسم بين العرب في حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة ، وكان قد اعوز عشرين فحلاً ، وكان الرجل في الجاهلية إذا ملك الف ناقة فقأ عين فحل أبله ...وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديناً متبعاً لا يخالف ..)) [٦]

---

(١) الاصنام : ٦.

(٢) هي : ((الناقة التي كانت تُسَيَّبُ في الجاهلية لِنَذْرٍ ونحوِه)) : صحاح تاج اللغة ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٥٠/١ مادة (سيب) .

(٣) هي : ((الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ هِيَ الشَّاةُ تَلِدُ سَبْعَةَ أَبْطُنٍ عَنَاقَيْنِ عَنَاقَيْنِ فَإِنْ وَلَدَتْ فِي الثَّامِنَةِ جَدْيًا ذَبَحُوهُ لِآلِهَتِهِمْ، وَإِنْ وَلَدَتْ جَدْيًا وَعَنَاقًا قَالُوا: وَصَلَتْ أَخَاهَا فَلَا يَذْبَحُونَ أَخَاهَا مِنْ أَجْلِهَا)) : مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ٣٤٠ مادة (وصل) .

(٤) هي : (الناقة التي تشق أذنها ، و كانت العرب تفعل ذلك أذا نتجت عشرة أبطن ، فلا تركب ، ولا ينتفع بظهرها) ، ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٠٣/١ مادة (بحر) .

(٥) م . ن : ٨.

(٦) اخبار مكة ، ابو الوليد محمد بن عبد الله الازرقي (ت:٢٥٠هـ) : ٣٠٤/١، تح: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الاسدي ، ط١، ١٤٢٤-٢٠٠٣م.

إلا أنه ومع مرور الوقت غيّر من التشريعات والعقائد والعبادات حتى إبتعد الناس تدريجياً عن دين توحيد الله وانحرفوا إلى عبادة الأصنام .

وفي أحد الايام سافر إلى بلاد الشام ، بغض النظر عن سبب سفره سواء للتجارة أو للشفاء من مرض ألمّ به [١] ، أو قد يكون ظمأ عمرو للإنتصارات ، إذ جاء بأصنام متقنة الصنع ليوجه إليها الأنظار، و أوهم عرب شبه الجزيرة بأن هذه الأصنام تدافع عن القبائل التي تعبدها أثناء الحروب والملمات ، ويمكن عدّ السبب الثالث هو الأقرب الى المنطق ، لإن الحصول على منصب ديني أو سياسي مرموق يتطلب جهداً كبيراً وإسعمال شتى أساليب المكر والكذب والخداع للإستمرار عليه ، والبقاء فيه ، وإحدى هذه الخدع الأصنام وإشغال العرب بها ، لذلك قال ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) : (عندما صنع عمرو بن لُحيّ ذلك أي: عندما قدِم بالاصنام ، دانت له العرب وعبدوها) [٢] ، فكان أول صنم جاء به هُبل حيث وضعه في جوف الكعبة وأمر العرب بعبادته مع الله ، ولما كان سيد القبيلة كلامه مطاع غير قابل للرفض ، لإن الناس آنذاك على دين شيوخهم فقاموا بعبادته وأشركوا به مع الله الأحد ، وقد نص أبو البقاء الحليّ (ت: ق٦هـ) إن عمرو اخذه من قبيلة العماليق الساكنين في الشام ، إذ قال : (وقدِم بالصنم المشهور بهبل من عند المماليك من الشام فجعله عند الكعبة وأمر بعبادته) [٣] ، وتعدّ هذه الرواية الأشهر عند المؤرخين في سبب ظهور الشرك فقام بتغيير العبادة وطقوسها تدريجياً ، ومع مرور الوقت حوَّر التلبية في الحج من ((لبيك اللهم لبيك)) إلى ((لبيك اللهم لبيك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)) [٤] وعندما رأى عمرو بن لُحيّ إن عمله هذا سيضمن له إستمرارية بقائه على رأس العرب عمِد إلى جلب أصنام اخرى ليعبدها العرب فقدِم بـ (اللات والعزى ومناة) ، وعدّها العرب من أهم وأعظم الأصنام إلى جانب هُبل ، ولشدة أهميتها فقد ذكرت في النص القرآني بقوله : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ﴾ [٥] ، وأطلقوا عليها أسماء أنثوية ويزعمون أنها تماثيل للملائكة ، والملائكة بنات الله [٦] ، وحاشا الله ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ** ﴾ [٧]

---

(١) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٦١/٦.
(٢) معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت:٦٢٢هـ) : ٣٣٩/١١ ، بيروت – دار الفكر .
(٣) المناقب المزيدية في اخبار الملوك الأسدية ، هبة الله محمد بن نما الحليّ (ت:ق٦هـ) : ٨٠/١، تح: محمد خريسات ، صالح موسي درادكة ، مركز زايد للتراث والتأريخ، العين - الامارات ، ط ٢ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
(٤) المفّصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٦٤/٦.
(٥) النجم : ١٩- ٢٠.
(٦) ينظر : من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله (ت:١٤٣١هـ) : ٢٥٨/٢١، دار الملاك ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

[1] أو يعطونها صفات الأنثى ، ولها مكانتها في نفوسهم يتضرعون إليها في حربهم وسلمهم ، ويقدمون النذور والقرابين ويتوسلون إليها في شفائهم وتيسير أمور حياتهم وأعمالهم وسنذكر بعض تفاصيل هذه الأصنام بشيء من الإختصار .

اللات :

اللات من أقدم الأصنام عند العرب ، وقد وصفتها كتب التأريخ على إنها صخرة بيضاء مجردة ويضيف ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) بكونها منقوشة [2] ، وعظّمها العرب بصورة عامة وبني ثقيف [3] بصورة خاصة وكانوا لها سدنه ، وقدسوا اللات كتقديس الكعبة ، كما سمّوا ابنائهم بأسمائها كـ (زيد اللات) و(تيم اللات) للدلالة على الإخلاص لها ، وقد تعددت الأسباب في تسميتها : (فالبعض يرى إن اصل التسمية يعود من اللات أي: الطواف والإعتكاف عند العبادة [4] ، في حين ان بعضهم يراها مشتقة من لفظ الجلالة الله وهي مؤنث اللفظ) [5] .

و تعددت الروايات في أصل الصخرة ويرى الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : (إن اللات هو إنسان في الأصل مات ، وكان يخدم الأصنام وكان يلتُّ [6] السويق ويعطيها للناس ، فلما توفي دفن في موضعه الذي كان يلت السويق عنده ،ثم اتخذ قبره مزاراً) [7] .

والصنم الآخر الذي ذكره القرآن **(العزى)** ، وتقع في محل قريب من ذات عرق [8] في طريق مكة بأتجاه بأتجاه العراق ، كذلك الحال مع العزى ، فعند مراجعة كتب التأريخ والروايات نجد هناك العديد من الأقوال حول طبيعة أصلها ، وما هو متفق عليه العقل والمنطق وهو: (إن العزى هي صنم له بيت ومكان يقدم

---

(١) النجم : ٢٧.
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ١٧٩/٦.
(٣) قبيلة عربية سكنت في شبه الجزيرة العربية في الطائف وقد تعددت الآراء في أصل نسبهم ، ينظر : الإنباه على قبائل الرواة ، يوسف بن عبد الله النمري (ت:٤٦٣هـ) : ٧٦ _ ٨٠ ، دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
(٤) ينظر : انوار التنزيل واسرار التأويل ، ناصر الدين البيضاوي (ت:٧١٩هـ) : ١٩٩/١، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط١، ١٤١٨هـ .
(٥) جامع البيان في تأويل آي القران، ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٥٢٢/٢٢، تح : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
(٦) هو : الدَّقُّ، والشَّدُّ، والإِيثاقُ، والفَتُّ، والسَّحْقُ. ، ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ١٥٩ مادة مادة (لّلتُّ) .
(٧) ينظر : المفصّل : ١٨١/٦.
(٨) مهلّ أهل العراق ويُعد الحدّ بين نجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق ، ينظر : معجم البلدان ، أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ١٠٧/٤ ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

به الذبائح يدعى (الغبغب) [١] ، وفي حرم البيت توجد شجيرات إلا ان هذه الشجيرات تعد مقدسة عند العرب فالبيت وما حول البيت لا يمكن قطعه او صيده) [٢] ، و العزى آلهة بني غطفان ولها مكانتها وشعائرها من التلبية وغيرها من الأمور كباقي الاصنام الكبيرة عند العرب ، حتى انه روي في معركة أُحد إن أبا سفيان كان ينادي : (اعُل هُبل ، اعُل هُبل قال المسلمون : الله أعلى وأجلّ ، فقال ابو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم) [٣] ، ويذكر إن التلبية التي كان يلبون بها للعزى (لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ما أحبنا إليك)[٤].

منـاة :

من الملاحظ إن لصنم مناة مكانة مهمة عند جميع العرب ، ونُصب هذا الصنم عند منطقة بقديد قرب البحر الأحمر بين المدينة المنورة ومكة [٥] ، وأهتمت به خاصة قبيلتا الأوس والخزرج [٦] ، و جاء ذكرها في القرآن الكريم ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [٧] ، فهي مهمة عندهم إلى الحد الذي كان الحاج في الطواف حول الكعبة يقول:((واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فأنهم الغرانيق العُلى وان شفاعتهم لتُرتجى)) [٨] .

ومن خلال التتبع لكتب التأريخ وجدت إن هذه التماثيل الثلاثة بلغت ما بلغت من المكانة في قلوب وعقول العرب حتى عُمي بصرهم وبصيرتهم على الرغم من وجود الكعبة بيت الموحدين أمامهم .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة جديدة إستغلها عمرو بن لُحيّ كملك لشبه الجزيرة العربية بعد إن رأى إستجابة العرب لما قدِم عليه من عمل ومجيء أغلبهم إلى مكة ونقلهم هذه العقيدة المظّلة إلى قُراهم وقبائلهم نتيجة الخِواء العقدي والديني والذي كانت تعيشه العرب وإنطمار معالم الدين الحنفي ، إلا ما ندر ، فقام بجلب

---

(١) منحر ينحر فيه الهديّ للأصنام ، ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ١٨٥/٤ .
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ١٩٣/٦.
(٣) ينظر : صحيح البخاري ، محمد ابو عبد الله البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ٩٤/٥، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
(٤) ينظر : المحبر ، محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي البغدادي(ت:٢٤٥هـ) : ٣١١، تح: إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة .
(٥) موضع بين مكة والمدينة ، ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ٣١٣/٤ .
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ١٩٥/٦ .
(٧) النجم : ٢٠.
(٨) بلوغ الأرب ، محمود شكري الالوسي (ت:١٣٤٢هـ) : ٢٠٢/٢ – ٢٠٣.

أصنام أخرى وهي أصنام قوم نوح (عليه السلام) ، وقد وردت اسماء هذه الاصنام في القرآن قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ [١] .

وعلى ضوء خطاب نوح (عليه السلام) يتسنى أن لهذه الاصنام أهمية كبيرة عند المشركين ، مشركيّ قوم نوح كذلك مشركي العرب لما فيها من خصائص تميزها عن غيرها ، لذلك أورد أسمائها في القرآن دون بقية الآلهة ، فذكرت الأصنام عموماً وذكرت هذه الأصنام بأسمائها المشهورة خصوصاً [٢] ، ثم إن هذه الأصنام كغيرها ممّن سبقها تعددت الآراء في كتب التأريخ والتفسير عن أصلها وماهيتها وسأذكر ملخص بسيط عن ما دُون في ذلك : (فمنهم من زعم انها اسماء لأبناء آدم ، ومنهم من اعتقد إنها أسماء لأصنام حقيقية ومهمة في عهد نوح (عليه السلام) ، ومنهم من ظن إنها اسماء لأشخاص صالحين تركوا اثرهم في نفوس الناس فأحب الناس ان يُخلّدوا ذكراهم بصنع تماثيل تشبههم لأستذكارهم) [٣] ، وعندما رحلوا عن هذه الدنيا رحلت قدسيتهم ، لكن بقي الشعور بالتقديس وبمرور الزمن تحول هذا الشعور الى عبادة ويمكن أن نعتبر إن هذا واحد من أسباب إنتشار عبادة الاوثان ، فالغلو والتقديس في المخلوق جعلت منه قديساً ولا ننكر إن هذه الصفة موجودة في نفوس البشر، إذ أنّ الحاجة الى التقديس أو الحاجة الى التعظيم تعد من إحتياجات النفوس ، فالنقص والعجز الذي يشعر به الإنسان يجعله يتطلع الى الأشياء المطلقة كالعظمة المطلقة والجمال المطلق والإيثار المطلق وهكذا .

وهنا ينقدح في الأذهان تساؤلاً : كيف يمكن لأصنام وجُدِتَ وعُبِدتَ في زمن نوح (عليه السلام) أن تنتقل إلى العرب ؟ ولماذا خص القرآن ذكرها وهو كتاب نزل ليهدي المشركين بالله وبالأخص مشركيّ العرب ؟

والمتتبع لكتب التأريخ يجد الاجابات غير مقنعة وعلى رأسهم ما يذكره ابن الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) ومن سار بعده ، و لا أعلم على أي دليل اعتمدوا عليه ، إذ أنّ حكاية عمرو بن لُحيّ وقرينه من الجن الذي اخبره في منامه عن موضع دفن الاصنام [٤] ، تُعد حكاية اقرب إلى الخيال منه إلى الواقع ! كيف يمكن يمكن لأصنام وهي حجارة صغيرة أن تبقى صامدة مع مرور الآف القرون ولم تتأثر بطوفان ولا أعاصير ولا زلازل ولا أي عامل من عوامل التعرية والحوادث الطبيعية والبشرية ؟!

---

(١) نوح : ٢٣.
(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) : ٣٧٦/٥ ، تح : عبد عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
(٣) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٠٠/٦ ، الامثل ،ناصر مكارم الشيرازي : ٤٧/١٩.
(٤) ينظر : الاصنام : ٥٤.

والحقيقة وهذه ما نؤيده إن هذه التماثيل لم تنتقل وإنما انتقلت أسماؤها فقط ، وسبق وإن ذكرت أن لعمرو من الدهاء والذكاء ما ساعده في البقاء على عرش العرب أطول مدة ممكنة ، فعمِد إلى تماثيل بلا مسمّيات وأطلق عليها أسماء أصنام قوم نوح (عليه السلام) كما نسج حكاية الجن والرؤيا من مخيلته ليخدع بها العرب آنذاك وقام بتوزيع الأصنام على سادات القبائل ، إذ جعل لكل قبيلة صنم خاص بها تقوم بعبادته ويكون رمزاً لوحدة القبيلة ، ومودة شعبها فيما بينهم سواء داخل القبيلة أو خارجها مع قبائل أخرى ، فجعل (ود) من نصيب بني كلاب ، إذ نقل الصنم إلى أرض دومة الجندل [١] ليُعبد هناك ويصف ابن الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) ود في كتابه بانه : (تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد وضع عليه حلتان ، متزر بحلة مرتدٍ بأخرى عليه سيف قد تقلد، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء وفضة فيها نبل) [٢] .

أمّا (سواع) فكان من حق بني كنانه وهُذيل [٣] ، ومكانه في أرض رهاط من بني نخلة من ينبع [٤] وكان بنو كنانه يطوفون حوله ويلبون بتلبية خاصة به : (لبيك اللهم لبيك، لبيك أبنا إليك ان سواع طلبنا إليك) [٥] .

وصنم (يغوث) إختلفت الأقوال في مَن عبده ، وهناك قولان :

الاول– إن عمرو أعطاه لقبيلة مرجح ومَن أيدها مِن أهل جرش [٦] .

الثاني– هو صنم قبيلة غطيف [٧] .

أمّا (يعوق) فقد أخذه زعيم بني همدان من عمرو ووضعه في ارحب ، في حين ذكر بعضهم مِن المؤرخين إنه صنم لبني كنانه [٨] .

---

(١) منطقة أو حصن بين مشق والمدينة المنورة ، ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ٤٨٧/٢ .
(٢) ينظر : الأصنام ، ابن السائب الكلبي (ت:٢-٤هـ) : ٥٥.
(٣) قبائل عربية تعود إلى خزيمة بن مدركة ، ينظر : الإنباه على قبائل الرواة ، يوسف بن عبد الله النمري (ت:٤٦٣هـ) : ٤٩_٥٣ .
(٤) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٠٢/٦.
(٥) ينظر : المحبر ، محمد بن حبيب البغدادي (ت:٢٤٥هـ): ٣١٢.
(٦) نفس المصدر السابق : ٣١٧.
(٧) ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت:٦٢٢هـ) : ٥١١/٨.
(٨) ينظر : الاصنام ، ابن الكلبي (ت:٢٠٤) : ٥٧.

وخامس الاصنام (نسرا) ووضع في موضع إسمه بلخع في أرض سبأ [١] ، وبقيت قبيلة حِمير [٢] تتعبده تتعبده قبل ان تدخل الدين اليهودي [٣] ، وإستناداُ إلى ما نقلته كتب التأريخ فأن هذه الأصنام لها أشكال وهيئات مختلفة ، وقد ذكر الطبرسي (ت: ٥٤٩هـ) ذلك في تفسيره ، إذ قال : (كان ود على صورة رجل ، وسواع على صورة إمراة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فرس ، ونسرا على صورة نسر من الطير) [٤] ، وتوالت السنون على عبادتها ، فبدل أن يطوفوا حول الكعبة البيت الذي وجِدَ لتوحيد الله الله وأرسى دعائمه الخليل إبراهيم (عليه السلام) طافو حولها ، وبدل أن يلبوا التلبية لله ويتقربوا إليه من خلال الشعائر لبّوا حول الأصنام ، وهنا بدأ الإنحراف عن عقيدة التوحيد ، إذ وصف ابن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) الحياة الدينية آنذاك ((ثم سلخ بهم ، الى ان عبدوا ما استحبو ، ونسوا ما كانوا عليه من توحيد واستبدلوا دين إبراهيم وإسماعيل بغيره ، وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وعبدوا ما كان يعبد قوم نوح منها ، على ارث ما بقي فيهم من ذكرها...)) [٥] .

ولم تقتصر العرب على هذه الأوثان فقط ، بل إزدادت عددها عندهم حتى بلغ عددها (ثلاث مائة وستون صنماً) [٦] ، إلا أنه تم التركيز على الأصنام السابقة كونها الكبيرة والمعظمة ، وقد ذكر ايضاً بعض الأصنام الأخرى المعروفة مثل : (إساف ونائلة وقد استغل عمرو جهل الناس بأصل وجودهما فأمر أن تُعبد مع بقية الاصنام [٧] ، وأخرى يذكرها الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) وهي : عميانس ورضى ، ومناف ، وذو الخلصة ، وسعد ، وذو الكفين ، وذو الشرى ، والأقيصر، ونهم ، وعائم ، وسعير والفلس ، وغيرها) [٨] .

---

(١) أرض في اليمن ، ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ١٨١/٣ .
(٢) قبيلة من أهل سبأ من القحطانية ، ينظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، أحمد بن علي القلقشندي (ت:٨٢١هـ) : ٢٣٧ ، تح : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب اللبنانين، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .
(٣) ينظر : بلوغ الأرب ، محمود شكري الالوسي (ت:١٣٨٦هـ) : ٢٠١/٢٠.
(٤) ينظر : مجمع البيان ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) :٣٩٤/٥، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م .
(٥) الاصنام : ٦.
(٦) ينظر : الكامل في التاريخ ، الشيخ عز الدين الشيباني المعروف بابن الاثير (ت:٦٣٧هـ) : ١٠٥/٢، دار صادر ، بيروت ،لبنان ، ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م .
(٧) ينظر : الروض الانف ، عبد الرحمن السهيلي (ت:٥٨١هـ) : ٣٥٤/١_٣٥٥، تح: عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الاسلامية ، ط١، ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م .
(٨) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢١١/٦ – ٢٢٧.

وقد إستغل عمرو بن لُحيّ سيطرته القوية على مكة المكرمة ، والتي لها قداستها ومكانتها عند العرب منذ عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وقام بالابتداع وغيّر ملّة التوحيد التي فُطر البشر عليها ، فكان لظهور هذه الأصنام وما رافقها من خرافات جاهلية في وقت متأخر على يديه ، و حشد فيها كل إمكاناته وجمع كل القوى لعبادتها ولو باستغلال قداسة الكعبة والبيت الحرام ، وقد إستجاب العرب لذلك ، لكونه يلائم أهوائهم وشهواتهم ، حيث إن طبيعة مثل الأصنام لا تسمع و لا ترد وليس لها سلطة عليهم ، كما إن ليس لها جنة ولا نار ولا حساب ولا معاد ولهم الحرية الكاملة في عبادتها بدون شروط أو قيود .

المطلب الثاني : فلسفة العبادة

إن توحيد الربوبية ملازم لتوحيد الألوهية ، وهو الأيمان المطلق بأن الله عز وجل مالك كل شيء ورب كل الموجودات وهو القادر على إنزال المطر ، وجلب الرزق ، والإحياء ، والإماتة ومسخر الأفلاك وممّسك السماوات وما فيها والأرض وما عليها ، وهذا هو التوحيد الخالص ، والذي أقرته الفطرة السليمة كما أقرت به الأمم كلها قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [1] إلا إن بعد دخول الأصنام شبه الجزيرة ، كون الشرك أمر حادث عند العرب إختلف المشركون في نظرتهم وعبادتهم للأوثان ، ويمكن أن يعود ذلك الى إختلاف مستوى ثقافة الشخص ومداركه العقلية وطبيعة بيئته وقبيلته التي نشأ داخلها وغيرها من الأسباب ، فمنهم من تصور إن الأصنام آلهة دون الله وفي نظرهم الضيق كل موجود في الأرض له رب لإنهم يقيسون ذلك على أنفسهم ، إذ لا يمكنهم السيطرة على أمر واحد أو عدة أمور معاً ، فيعتقدون إن الآلهة كذلك لا يتسنى لها السيطرة على جميع الأمور معاً ، فكان لها الدعاء والرجاء والخوف والخشية والتعظيم دون الله [2] .

قال تعالى : ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [3] ، وهناك العديد من الآيات التي صرحت باتخاذ المشركين أرباب دون دون الله كقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ**

([1]) يونس : ٣١.
([2]) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٦/٦.
([3]) الانبياء : ٢١ – ٢٢.

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [١] ، وقوله تعالى : **﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾** [٢] .

وقوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾** [٣] .

وقوله تعالى : **﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾**[٤].

وقوله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾** [٥] .

وقوله تعالى : **﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾** [٦] .

وقوله تعالى : **﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [٧] .

وقوله : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾** [٨]

(٨)

وقوله تعالى : **﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾** [٩] .

فهذه الآيات الصريحة دالّة على إن القوم عبدوا غير الله ، في حين كان هناك من ينظر الى الأصنام على أنها شريكة مع الله متساوية معه في كل شيء [١٠] ، كما جاء في قوله عز– وجل : **﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾**[١١] ، والأصل في الشركاء أن يجعلوا شيئاً بين أثنين ،

---

(١) الفرقان :٣.
(٢) الصافات : ٨٦.
(٣) الحج : ٧٣.
(٤) الزخرف : ٤٥.
(٥) النحل : ٢٠ .
(٦) هود :١٠١.
(٧) يونس : ١٠٤.
(٨) النحل : ٧٣.
(٩) مريم : ٤٩ .
(١٠) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٦/٦.
(١١) الرعد : ١٦.

فيقال : شاركت فلان في شيء إذ صرت شريكه [١] ، فهم يشركون الله والأصنام معاً ويجعلونها مع الله الله في صف واحد .

وقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ...**﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ..**﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ..**﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ** ﴾[٦].

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ...**﴾ [٧] .

وقوله : ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٨]

والند في اللغة على وزن ضد وهو الشريك والشبيه [٩] ، فجعلوا لكل من الله والأصنام نصيباً من الطاعة والرجاء والتلبية والتضرع وحتى القرابين وصرحت بذلك الآية الكريمة كما في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [١٠] ، فكيف لهم أن يعادلوا بين مالك

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٦٥/٣مادة (شرك) .
(٢) الرعد : ٣٣.
(٣) سبا : ٢٧.
(٤) البقرة : ٢٢ .
(٥) البقرة : ١٦٥.
(٦) ابراهيم :٣٠ .
(٧) الزمر : ٨.
(٨) فصلت :٩.
(٩) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٤٢٠/٧ مادة (ندد) .
(١٠) الانعام : ١٣٦.

الكون وبين حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ كيف لهم أن يعادلوا بين النور والظلام ؟ ألم تكن لهم أعين يُبصرون بها وآذان يسمعون بها وقلوب يعون بها ؟!

أمّا الصنف الثالث وهم من يعبدون الأصنام معتقدين بأنها وسيلة أو شفيعة تقربهم الى الله قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إ ..﴾** [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾** [2] وقوله تعالى : **﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾** [3] ، وقوله تعالى : : **﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾** [4] ، فما تنفعهم شفاعة أصنام بكماء لا قيمة لها ، ولا ولا تدافع عنهم يوم القيامة ، ولا تحل مشاكلهم في الدنيا فأي تفكير منحرف وأي ظنّ ساذج هذا ؟!

وصرحت آيات اخرى بظنّهم الفاسد هذا ، بقوله تعالى : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ...﴾** [5] ، وقوله تعالى : **﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾** [6] ، فأي منطق هذا الذي يفكرون به وما إعتقادهم هذا إلا نتيجة لخواء عقولهم ونظرتهم المادية الى الله ، فهم يرون أنه أعظم من أن يتقرب إليه إنسان أو يصل إليه مباشرة ، فلا بدّ من التقرب الى مقربيه وهم (الملائكة) ولما رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول الى الملائكة عمِدوا الى صنع تماثيل وزعموا أن لا فرق بينهما ، ووُكِل إليها شؤون القوم بنظرهم ، فدعوا الى عبادتها واتخاذها فيما بعد آلهة تشفع لهم عند الله ، ولكن الحقيقة ما إدعاؤهم هذا إلا أعذار واهية يحاولون فيها تجميل مسلكهم الفاسد .

المطلب الثالث : طريقة العبادة

لم تتوفر نصوص دينية توضح لنا طريقة عبادة العرب للآلهة ، إلا أنه يمكن ذكر بعض الصور عن العبادة التي كان يعمل بها العرب آنذاك كتقديم القرابين والهدايا والتضرع والسجود لها والتمسح بها حتى قيل : (ان لأهل كل دار في مكة صنماً يعبدونه – فقد امتلأت الساحات في مكة وكذلك البيوت بها ، فأن أراد احد السفر فأول ما يفعله هو التمسح بالصنم ، وعند عودته من سفره فأول شيء يفعله بعد

---

(1) الزمر : ٣.
(2) الاحقاف :٢٨.
(3) يس : ٧٤ .
(4) مريم : ٨١.
(5) يونس : ١٨.
(6) الروم : ١٣.

دخوله منزله يتمسح بالصنم ايضاً) [١] ، وكان هذا الفعل ما هو إلا طلب التوفيق من الصنم وتسهيل تجارته في سفره ، أو لأي غاية كان يقصد بها العربي آنذاك .

أمّا الصلاة فلم توضح طريقتهم فيها إلا إن هناك طريقة لعبادة الشمس يمكن ذكرها هنا ، إذ كانوا يأتون لبيت وضعوه خاص لعبادة الشمس ويسجدون لها ثلاث مرات حين طلوعها وحين الغروب وإذا توسطت كبد السماء [٢] ، أمّا الصوم ، فكان صيامهم عن الكلام نتيجة لإحتكاكهم باليهود والنصارى وقد تختلف مدة الصوم أمّا قصيرة ، أو صيام لفترة طويلة ، كذلك هناك من يصوم عن المأكل والمشرب والنساء عند الجاهليين ذكرته بعض كتب الأخبار من غروب الشمس الى غروبها في اليوم التالي تأثراً باليهود [٣] .

أمّا الحَجّ فكان يختلف بين الناس ، أي : ليس الذهاب لمكان واحد فلكل شخص الحرية بالحَجّ لأي من يشاء من الأصنام ، أو الذهاب الى بيوتها إن لم تكن لها مجسم كالشمس والنجوم مثلاً ويطوفون حول الأصنام ويلبون بتلبيات مختلفة ، فلكل صنم تلبية خاصة به ، إذ أن العرب في الجاهلية كانوا يلبون ويهلون عند اصنامهم ،فإذا انتهوا من ذلك قدموا الى مكة أي : إنهم يسيرون لتأدية التلبية عند مقامات أصنامهم ثم يعودون لتأدية باقي مناسك الحج عند البيت [٤] ، وكأن هذا العمل جزء من مناسك حَجّ البيت ، وكأنهم يطلبون الأذن من الأصنام لتأديه الحَجّ فقد خلطوا بين الحق والباطل ، بين الحقيقة والخرافة ، وما هذه إلا صورة من صور الإنحرافات التي عَمِل بها عمرو بن لُحيّ وغيره من المستفيدين من سدنة الأصنام وكل من له غاية في تضليل الناس وتوجيههم بإتجاه هذه العقائد المنحرفة ، والتي لعب فيها الخيال دوره لتحميلهم ما لا يطيقون من التكلفات المادية ، والنفسية مستغلين بساطة عقولهم وطبيعة مجتمعهم .

---

(١) ينظر : الاصنام ، ابن الكلبي (ت:٢٠٤هـ) : ٣٣.
(٢) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٦٦/٦.
(٣) ينظر : م. ن : ٢٢٧/٦.
(٤) ينظر : م. ن : ٦ /٢٧٧.

المطلب الرابع : معالجة عبادة الأصنام

إن المطّلع لبيئة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي يجدها بيئة متخبطة عقدياً وتشريعياً وسلوكياً نتيجة التناقض في المعتقدات ، فما بين موحد لله الواحد الأحد ، وبين عابد وثن ينكر وجوده ، وبين من يجمع بين الله والصنم وبين مخلوقاته مثل الملائكة والجن ، فكل هذا الإختلاف العقدي كان له تأثيره في تخبط التشريعات ، كذلك التخبط في السلوكيات التي جمعت بين الحَسَن والقبيح ممّا شكل دافعاً لإن يبدأ الإسلام معالجته في القضايا العقدية ، وهي أولى الأوليات في المعالجة ، كما إنها الأساس التي يُبنى فوقها التشريعات وتنظيم السلوكيات الصحيحة ، فأن صلحت العقيدة صلح ما سواها ، وإن فسدت فسد ما سواها فالأهم أولى من المهم ، وأول عقيدة يتم إصلاحها قضية توحيد الالوهية والربوبية ، وإثباتها بالأدلة والبراهين ونفي الشرك ودحضّ الشبهات التي تَعلَق بها المشككين ، وإنطلاقاً من هذه الأهمية صب الإسلام ثقله في معالجتها مستعملاً طرقاً متعددة تتلائم مع عقلية المخاطب آنذاك ، ووظف كل وسائل الخطاب لإثبات التوحيد ، وكما هو معروف إن القرآن الكريم أغلب آياته تتحدث عن توحيد الله ونفي الشرك عنه ، حيث لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب ، إلا وقد تطرق لوحدانيته ، وفي أكثر من آية ، وفي هذا المبحث تحديداً سنوضح المعالجة المتعلقة بقضية إشراك الأصنام مع الله ، وتفنيد هذا المعتقد الجاهلي السائد عند العرب بطرق عديدة وبوسائل متنوعة تتوزع ما بين إستعمال الفطرة والعقل والحواس والمشاعر وأساليب اللغة العربية المعروفة ، وأول خطوات التغيير كانت عن طريق :

١ _ (توظيف الفطرة)

تعد الفطرة من أهم وأعظم الأدلة في إثبات عقيدة التوحيد ، بل هي الأصل لكل الأدلة الأخرى كون النفوس تعرف خالقها بفطرتها دون براهين ، لإن الإنسان يولد على سجيته التي فُطر بها لم يتأثر بعد بشوائب العادات وأفكار البيئة التي وُلد فيها قال جل وعلى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [١] ، وتعرّف الفطرة بأنها ((ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به)) [٢] ، وهي مأخوذة من الفطر أي : إبتدأ وأبدع الخلِقة والجبلّة التي طُبع عليها الإنسان [٣] والفطرة المعنية يُراد منها إثبات الوجود الآلهي في النفس البشرية ، والمقصود بها ما

---

(١) النحل : ٧٨.

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٥٦/٥ مادة (فطر) .

(٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ٢٠٠/٤، تح : محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

يشعر به كل إنسان داخل نفسه من ميل إلى إعتقاد الحق ، وإرادة الخير ، والإقرار بوجود إله خالق للكون مدبر له ولو لم يستعمل طرق البرهنة المختلفة ، وإن كان يحتاج الى أن يلتفت إلى نفسه ويجردها من الغفلة ، ويتحرر من سلطان الهوى والوهم ، ليشعر به قوياً واضحاً ، وهذا الإحساس بوجود الإله الخالق شعور مشترك بين البشر جميعاً ، فهذه القوة المرتكزة داخل النفس مفطورة على التوحيد ، ومن الآيات الدالة على فطرة توحيد الله قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾ [1] ، فأن الله أخذ الميثاق من أرواح بني آدم يشهدهم على وحدانيته وربوبيته فشهدوا على ذلك [2] ، إن الآية بصورة عامة تحدثت عن التوحيد الفطري وإن أختلفت آراء المفسرين في الإجابة والشهادة على توحيد الله وأخذ العهد فبعضهم قال : عندما خلق الله آدم (عليه السلام) ظهر أبناؤه على صورة الذر إلى آخر نسل وكان له عقل كاف وشعور في الإستماع والإجابة لخطاب الله ، فعندما سألهم ألستُ بربكم ، أجابه جميع الذر ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ ، ثم أعاد هذه الذرات إلى صلب آدم (عليه السلام) ، رأي آخر يقول : إن الله وهب الإستعداد لتقبل التوحيد منذ تنقله من الأصلاب إلى الأرحام وهم ذرات صغيرة ، ثم أودع الله تعالى سر التوحيد داخل فطرتهم بصورة احساس داخلي ، كما أودعه كحقيقة واعية داخل عقولهم [3] .

وتذهب الباحثة مع الرأي الثاني فكل مولود يولد على الفطرة ، وقد أغلق عليهم باب التعلل والأعذار يوم القيامة عند كفرهم وشركهم لإنهم حالوا عن الفطرة التي أودعها الله تعالى فيهم ، وقال تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [4] ، لذلك عندما سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الفطرة التي فطر الله عليها الناس قال : ((فطرهم على التوحيد)) [5] ، فهي الفطرة التي جُبِلوا عليها ، على توحيده وصفاته ووجوده [6] . ويؤكد لهذه الفطرة المرتكزة في النفوس عند إجتماع الخطوب وتضييق الدروب ، وإلحاق الضرر وإقتراب الخطر ، فتزال الغشاوة عن قلوبهم ، فيلجؤون إلى الباري وحده في كشف ما هم فيه من خطب ، وينسَون ما كانوا به يُشركون ، والإنسان رغم شدة كفره وعصيانه وطغيانه حيث يعترف بوجود الله ،

([1]) الاعراف : ١٧٢.
([2]) ينظر : الجامع لأحكام القران ، شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٣١٧/٧، تح : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
([3]) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٩٥/٥-١٩٦.
([4]) الروم : ٣٠.
([5]) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي (ت:١١١١هـ) : ٢٧٧/٣ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م.
([6]) ينظر : مفاهيم القران ، العلامة جعفر السبحاني : ٦٨/١، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم – ايران ، ط٥ ، ١٤٣٠هـ

وتظهر فطرته عندما يشرف على الموت ، كما في حال فرعون مصر قال تعالى : ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [١] .

وفي مقام آخر يذكر لنا القرآن كيف تظهر الفطرة في اللحظات الأخيرة قبل الهلاك قال عز – وجل : ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾ [٤] .

وقوله تعالى ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ [٦] ، فالآية تبيّن حال المشركين عند المصائب والشدائد ، إذ يتجهون بفطرتهم إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهراً وباطناً ﴿ **تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ [٧] .

والدليل على ربوبية هذا الكون ، تكون إجابتهم بأنه الله هو الموجد ، وقد صرحت بذلك الآيات في قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٨] وقوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ**

---

(١) يونس : ٩٠ – ٩١.
(٢) لقمان : ٣٢.
(٣) الاسراء : ٦٧.
(٤) الزمر : ٨.
(٥) النحل : ٥٣ – ٥٤.
(٦) الانعام : ٦٣ – ٦٤ .
(٧) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ١٩/١٣.
(٨) لقمان : ٢٥.

حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾** [2] وقوله تعالى : **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾** [3] ، وقوله تعالى : **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾** [4] ، فهذا هو تأثير تأثير الفطرة في الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، وقد حاول رؤساء القبائل الكفار ومن له مصلحة في عبادة الأصنام صدّ الناس عن الإستماع إلى القرآن لما له تأثير على القلوب ، وتحريك للفطرة الطبيعية قال تعالى : **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾**[5]، فهو كلام مؤثر يسلب العقل والقلب وكل من يستمع له يصبو إليه [6] .

ومن خلال ما تقدم نقول : إن الفطرة هي أحساس وشعور ويقين داخل الإنسان تبين فيه إن لا إله لهذا الكون إلا الله ولا خالق سواه ، ولا معبود يستحق العبادة غيره ، فهو المالك للوجود والأدلة القرآنية كثيرة ، منها قوله تعالى : **﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾** [7]. ورغم إن الخطاب موجه للنبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا أنه تحقيق للوحدانية التي نزل الكتاب من أجلها للأمة بأجمعها ، ليختم بعد ذلك بآية شاملة عظيمة أثبتت ربوبيته واحقيته بالعبادة والتفرد بالوحدانية حيث قال : **﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا**

---

(1)) الزمر : ٣٨.
(2)) الزخرف : ٩.
(3)) العنكبوت : ٦١.
(4)) العنكبوت : ٦٣.
(5)) فصلت : ٢٦.
(6)) ينظر : لطائف الاشارات ، عبد الكريم القشيري (ت:٤٦٥هـ) : ٣٢٦/٣، تح : ابراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ، ط٣ .
(7)) محمد : ١٩.

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [1]

ثم أنتقل الى الخطوة الثانية من طرق التغيير وهي :

٢_ (توظيف الدليل العقلاني)

إنّ المتدبر في الآيات القرآنية يجدها دائماً ما تحث على التفكر وإستعمال العقل ، لكونه النافذة الأوسع التي تنقل الإنسان من ظلمات الجهل والتعاسة إلى نور المعرفة والسعادة ، كما إن له الدور الأكبر في تنقيح المغالطات العقدية ، والتصورات الخاطئة التي كانت معششة داخل أذهان البشر ، كذلك إستعمال الحواس كالنظر والسمع وغيرها في أثبات الوحدانية إلى جانب العقل ، كون العربيّ حسيّ يؤمن ويعتقد بما يراه ويسمعه ، فأراد بذلك أن يلفت أسماعهم ليستحوذ على عقولهم وقلوبهم ، ويبرهن لهم إن للكون خالقاً واحداً ومدبراً واحداً لا شريك له ولا ولد ، وإن ما يدعونه من دونه باطلٌ فانٍ ، وبناءً على ما تقدم فإن الإخبار جاء هكذا .

أولاً _ الإخبار بأن وجود أكثر من آلهة يؤدي الى التنازع بينهم .

وهذا ما سجّله القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [2] ، فأن الدليل الوارد في الآية من أبسط الأدلة العقلية الدالة على توحيد الله ، ونفي الآلهة الأخرى ، وقد أطلق عليه العلماء أسم (برهان التمانع) [3] .

يقول الباقلاني (ت:٤٠٣ هـ) : ((وَلَيْسَ يجوز أَن يكون صانع الْعَالم اثْنَيْنِ وَلَا أَكثر من ذَلِك وَالدَّلِيل على ذَلِك أَن الِاثْنَيْنِ يَصح أَن يختلفا وَيُوجد أَحدهمَا ضد مُرَاد الآخر فَلَو اخْتلفَا وَأَرَادَ أَحدهمَا إِحْيَاء جسم وَأَرَادَ الآخر إماتته لوَجَبَ أَن يلحقهما الْعَجز أَو وَاحِدًا مِنْهُمَا لِأَنَّهُ محَال أَن يتم مَا يُرِيدَان جَمِيعًا لتضاد مراديهما فَوَجَبَ أَن لَا يتما أَو يتم مُرَاد أَحدهمَا فَيلْحق من لم يتم مُرَاده الْعَجز أَو لَا يتم مرادهما فيلحقهما الْعَجز وَالْعجز من سمات الْحَدث وَالْقَدِيم الْإِلَه لَا

([1]) البقرة : ٢٥٥.
([2]) الأنبياء : ٢٢ .
([3]) هو برهان جدلي يعتمد العقل ويقوم على إستعمال الأفتراضات المنطقية لآيات وحدانية الله .

يجوز أَن يكون عَاجِزا)) [1] ، فمن خلال ما سبق يستدل على إن برهان التمانع يثبت من خلاله حقيقة الوحدانية عن طريق آيات الكتاب الدالة على الله مستخدماً منهجاً عقلياً أثبت فيه إن الله واحد في ذاته ، فلا ذات تشارك معه هذا الكون ، فلو كان فيه آلهة عديدة ، وأرادات مختلفة لما وُجِد مثل هذا التناسق الدقيق ، والقوانين المنظمة بل لذهب كل آله بما يريد قال تعالى :﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [2] ، ففي الآية الكريمة رد منه سبحانه على من يعبد آلهة كثيرة ومتعددة الأفعال ، وبذلك تكون بعضها غير مطيعة لبعض ، إلا إن يكون منها موجد واحد ، لإن العالم الواحد لا يجب أن يكون من آلهة متفننة [3] والإثبات الثالث في قوله : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا** ﴾ [4]

وفي الآية الكريمة قولان يذهب إليهما العلماء والمفسرون هما :

الأول – لو كان مع الله الواحد آلهة أخرى كما يزعمون لأوجدوا الحيل ، وإبتكروا الطرق لمنازعته والتغلب عليه ، كما يحصل مع ملوك أهل الدنيا [5]

الثاني – لو كان مع الله آلهة أخرى لإبتكروا الطرق والأساليب المختلفة للتقرب منه والحصول على رضاه [6] ، وبناءً على ما تقدم تبيّن الآيات الكريمة بأن الله واحد لا يشاركه أحد ، ولا يوجده أحد وهو ما أطلق عليه علماء الأصول بأسم : (واجب الوجود) [7] ، وقد ورد الكثير من أدلة أهل البيت (عليهم عليهم السلام) تثبت صحة هذا الدليل .

([1]) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل : ٤٥، تح : عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

([2]) المؤمنون : ٩١.

([3]) ينظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ابن رشد (ت:٥٩٥هـ) : ١٥٦، تح : الدكتور محمد قاسم ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٤م .

([4]) الإسراء : ٤٣ .

([5]) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، الحسين بن الفراء البغوي (ت:٣١٧هـ) : ١٣٥/٣، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) : ٢٧٣/٣ ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ .

([6]) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٤٥٤/١٧، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) : ٤٦٢/٢، تح : علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة، الرياض- المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

([7]) أي : انه الشيء الموجود بذاته ، ولا يفتقر في وجوده إلى غيره ، ولا يتوقف وجوده على موجود آخر ، ينظر : النكت الأعتقادية ، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) : ١٦، تح : رضا المختاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤ – ١٩٩٣م .

فعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال في وصية له لأبنه الإمام الحسن (عليه السلام) : ((واعلم يا بنيّ أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً ولم يزل)) [1] ، ولا بئس أن نتطرق إلى حديث هُشام بن الحكم (ت :١٧٩هـ) [2] المنقول عن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما جادل الرجل الملحد فقال له : ((لا يخلو قولك أنهما أثنان من أن يكونا قويين أو يكونا ضعيفين ، او يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً ، فأن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير ، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول ، للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت إنهما اثنان ، لا يخلو من ان يكونا متفقين من كل جهة أو متفرقين من كل جهة ، فلما راينا الخلق منتظما ، والفلك جارياً ، وإختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر أن المدبر واحد)) [3] .

ثانياً _ الإخبار بأن الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ولا تملك الإرادة لدفع الضرر .

يتطلب لتغيير معتقد باطل لفتات عقلية ، قد يغفل عنها الكثير من الناس تكون سبباً في الإنطلاقة الجديدة ، وإبدال المعتقد المظلم السائد ، ومنها الأخبار عن حقيقة هذه الحجارة الصماء التي لا تضر ولا تنفع حالها كحال ايُ حجر مرمي على الأرض ، إلا أن حالة التقديس التي كانت بها من قبل العرب جعلت من اللاشيء شيء مقدس ، وهذا ما يرفضه العقل ، فالتقديس يجب أن يكون للحيّ الذي يسمع ويرى ، ويدفع الضرر ، والبلاء لا حجراً أصم ، لذلك توجه القرآن بالسؤال إليهم ليوقض عقولهم .

قال تعالى : ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ** ﴾[4] ، إن الله تعالى في هذه الآية أكدّ الحجّة على المشركين في أنه لا ينبغي لهم أن يعبدوا هذه الأصنام ولا يتخذونها آلهة ، فقال تعالى : ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا**﴾ ، لإن لفظه وإن كان لفظ الاستفهام ، فالمراد به الإنكار ، ايّ ليس لهم أرجل يمشون بها ولا لهم أيد يبطشون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، فعرفهم بذلك انهم دون منزلتهم

([1]) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ١٩٠٠/٣، در الحديث ، ط١ ، ١٩٦٤م .
([2]) هو ابو محمد هشام بن الحكم الكوفي واحد من أشهر المتكلمين الشيعة الإمامية ، ينظر : الفهرست ، ابن النديم (ت: ٣٨٤هـ) ٢١٧ ، تح : ابراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .
([3]) تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي (ت:١١١٢هـ) : ٣١٧/٣، تح : السيد هاشم الرسولي المحلات ، مؤسسة إسماعيليان ، قم – إيران ، ط٤ ، ١٤١٢هـ .
([4]) الأعراف : ١٦٥.

وأن الكفار مفضلون عليهم بما أنعم الله عليهم من هذه الحواس التي لم تؤت الأصنام ، وإذا كنتم مفضلين عليها وكنتم أقدر على الأشياء وأعلم ، فكيف يجوز لكم ان تتخذوها مع ذلك آلهة لأنفسكم [١] ، فالأصنام لما فيها من الضعف هي بحاجة إلى من يدافع عنها ، ويحميها من الكسر والتخريب قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ** ﴾ [٣] ، فهم جنود محضّرة تأتي يوم القيامة أمام أصنامهم التي يعبدونها من دونه لو كانت تستطيع نصرهم في الدنيا لنصرت نفسها ولنفعتها ، إذ إنها غير نافعة وغير ضارة ، لكونها أحجار عديمة الخاصية ، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : ((لا يستطيع الآلهة لهم نصرا وهم للآلهة جند محضرون قيل أيّ : معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم في النار)) [٤] .

ومنها قوله :﴿ **أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ** ﴾ [٥]

وقال تعالى : مُنكِراً على عبادة مشركي العرب : ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [٦] ، إن كانوا بلا أحساس وشعور كالأحجار والأشجار والكواكب ﴿ **ولَوْ سَمِعُوا** ﴾ وإن كانوا من الإنس أو الجن أو الملائكة ﴿ **مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملكون ذلك لغيرهم ﴿ **ويَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾ يبرؤون منكم ويوبخونكم على الشرك والضلال ﴿ **ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ بمصير هؤلاء المكذبين بنبوتك يا محمد وغيرهم من العصاة والطغاة [٧] ، فهم جنود محضّرة تأتي يوم القيامة أمام أصنامهم التي التي يعبدونها من دونه لو كانت تستطيع نصرهم في الدنيا لنصرت نفسها ولنفعتها ، إذ إنها غير نافعة وغير ضارة ، لكونها أحجار عديمة الخاصية ، كما جاء في مورد آخر قوله تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا** ﴾ [٨]

---

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٥٩/٥ .
(٢) الاعراف : ١٩٧.
(٣) يس : ٧٤ – ٧٥ .
(٤) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٢٦٠/٤.
(٥) الأنبياء : ٤٣ .
(٦) فاطر : ١٤ .
(٧) ينظر : الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٢٨٣/٦ .
(٨) الفرقان : ٥٥ .

والقرآن إنما أراد بهذا الإخبار ، إلا للفت العقول ، وتنبيه القلوب لتصدّ عن هذه الأصنام التي لا تنفع بشيء ولا تغير شيء ولو كان بسيطاً قال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** ﴾ [1] ، والزعم هنا : المعنى الناقص فقد نقل عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) [2] إنه متى ما جاءت مفردة زعم في القرآن الكريم ، فهي دالة على الكذب والعقيدة الباطلة [3] ، فهي إذن مفردة مفردة خاصة للذم في موارد الكتاب العزيز ، والعجيب إنهم يعرفون أن الخالق هو الله ، ومع ذلك يصرون على طغيانهم وعنادهم قال تعالى :﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [4] ، فالعقل لا يقبل أن تكون كل هذه العظمة مخلوقة لكائن أرضي جامد يتفتت ويتكسر بضربة واحدة لا شعور ولا قيمة له ، فهم يخافون عليها ويحفظونها بكل الوسائل والطرق ، حتى لا تتكسر فكيف لهذا المصنوع الضعيف أن يدافع عنهم ويكشف ضرهم ، وهن بحاجة إلى الحماية ؟! لذلك فالقرآن الكريم عندما وجه إليهم هذا الخطاب العقلي أراد أن يثبت أسس التوحيد في قلوبهم ، ونفي عبادة ما سواه من الأصنام ، ثم يخبرهم القرآن الكريم إن من يملك القضاء يملك كل شيء قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [5]

والنص يحمل في طياته علامات التوحيد والتنزيه لله تعالى لإن من يكون له حق القضاء هو المستحق للعبادة .

إن هذا المنطق المنحرف الذي كان عليه مشركو مكة مشابه للمنطق الذي كان عليه الأقوام التي سبقتهم كما وضحنا ذلك سابقاً ، فخطاب الله على لسان الرُسل والأنبياء واحد ، فهم لا يملكون أدنى منطق في عبادتهم للأصنام ، وليس لديهم برهاناً حقيقياً جليّاً ، إذ أن خطاب إبراهيم وعيسى (عليهما السلام) لإقوامهم لا يختلف كثيراً عن خطاب النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ**

---

(1)) الإسراء : ٥٦ .
(2)) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب صحابي ومفسر لقب بحبر الأمة وبترجمان القرآن ، ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير (ت:٦٣٠هـ) : ٢٩١/٣ ، تح : علي محمد عوض و عادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
(3)) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٥/٩ .
(4)) الزمر : ٣٨ .
(5)) غافر : ٢٠ .

لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [1] ، في النص خطاب إبراهيم (عليه السلام) لإبيه ، وقال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** ﴾ [2] .

.

وفي موضع آخر قال تعالى :﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [3] ، وممّا لا شك فيه إن الإلتفاتة التي نبّه عليها القرآن الكريم في كون الأصنام حجارة ، وهي من تحتاج إلى المساعدة في تثبيتها وحملها من مكان لآخر ، فضلاً عن إحتياجها إلى الحماية من الضربات الطائشة التي تعمل على تحطيمها وتكسيرها ، كذلك لفته إلى كونها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تصلح أمورهم ولا تدافع عنهم ، لها أثرها الكبير في صرف الكثير منهم عن عبادتها بعد إن كانوا في غياهب الجهل لا يرون شيئاً ، فصدى الآيات يرنّ في مسامعهم كيف يتوسل الإنسان بحجر منحوت بيديه ، وما فرقه عن حجر الدار؟ وبهذا الأسلوب أخرجهم الله من ظلمات الشرك إلى نور توحيد خالق وحده دون غيره من المسميات .

ثالثاً – الإخبار بأن الله واحد ، والدعوة إلى عبادته .

حتى يزيل الإسلام الأصنام ، ويتخلص من براثن الشرك ، كان لا بد من الدعوة إلى توحيد الله في البداية والإخبار عنه بأنه آله واحد لا شريك له ، ولا مثيل ، ولا عديل له ، ولا يحتاج الوسيط والآيات القرآنية الدالة على وحدانية الله كثيرة لا سيما العهد المكي ، كون بداية الدعوة تتطلب الأخبار عن ذات الله وصفاته وأسمائه ، ولهذا نجد أن هناك سورة كاملة إختصرت توحيد الله ، وإذ قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [4]. وقوله تعالى : ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ**﴾ [5] ، وينقل لنا الصدوق (ت: ٣٨١هـ) حديثاً يرجع سنده إلى محمد بن ابي عمير (ت: ٢١٧هـ) [6] ، فقد ذكر أنه سأل الإمام الكاظم (عليه السلام) حول وحدانية الله فقال : (عليه السلام) ((يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك ،

([1]) مريم : ٤٢ .
([2]) طه : ٨٦ .
([3]) المائدة : ٧٦ .
([4]) الاخلاص : ١ – ٤ .
([5]) البقرة : ١٦٣.
([6]) فقيه ومحدث شيعي عاصر ثلاث أئمة الكاظم ، والرضا ، والجواد (عليهم السلام) ، ينظر : فهرست اسماء مصنفي مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، أبو العباس احمد النجاشي (ت:٤٥٠هـ) : ٣٢٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم – ايران ، ط٥ ، ١٤١٦هـ .

واعلم أن الله تعالى واحد ، أحد ، صمد ، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا ، وإنه الحي الذي لا يموت ، والقادر الذي لا يعجز ، والقاهر الذي لا يغلب ، والحليم الذي لا يعجل ، والدائم الذي لا يبيد ، والباقي الذي لا يفنى ، والثابت الذي لا يزول ، والغني الذي لا يفتقر ، والعزيز الذي لا يذل ، والعالم الذي لا يجهل ، والعدل الذي لا يجور ، والجواد الذي لا يبخل وإنه لا تقدره العقول ولا تقع عليه الأوهام ، ولا تحيط به الأقطار ، ولا يحويه مكان ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال تعالى : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ ، وهو الأول الذي لا شئ قبله والآخر الذي لا شئ بعده ، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث ، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيرا)) [١] ، فالإيمان بوجود آله واحد يعد من أصل إعتقادات الدين السماوي [٢] ، فكان مسعى الإنبياء والرُسل (عليهم السلام) ، وبذلهم جهداً كبير في بيانه ، والدعوة إليه ، إذ أنه الموجود قبل كل شيء والموجود بعد كل شيء ، ولا يوصف بشيء ، فقد نقل إلينا أن رجل يهودي سأل الإمام علي (عليه السلام) قائلاً له : (متى كان ربنا ؟ فقال (عليه السلام) : إنما يقال متى كان لشئ لم يكن فكان ؟، هو كائن بلا كينونة ، كائن بلا كيف يكون ، كائن بلا كيف كان ، كان لم يزل بلا كيف يكون ، لا يزال بلا كيف ، كان قبل القبل بلا قبل ، قد أجمع الغاية عنده فهو غاية كل غاية) [٣]

ومن الآيات الداعية الى توحيد الباري قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [٥]

(٥)

---

(١) التوحيد ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٧٦، تح : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم –إيران .

(٢) ينظر : التوحيد ، الدكتور الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٣٩٩هـ) : ١٣، دار الحوراء .

(٣) ينظر : معارج اليقين في أصول الدين ، الشيخ محمد السبزواري (ت:١٠٩٠هـ) : ٣٧، تح : علاء آل جعفر ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٠ – ١٩٩٣م .

(٤) الاعراف : ٥٤.

(٥) طه : ٥ .

وقوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [1] .

وممّا يؤخذ بعين الإعتبار أن مباحث التوحيد التي تتحدث عن صفاته وأفعاله ، وأسمائه ، ودلائل وجوده كثيرة لا يسعنا ذكرها هنا جميعا ، لإن المبحث سيذهب بإتجاه آخر .

رابعاً – الإخبار بإن الأصنام ما هي إلا أحجار بأسماء مستعارة ووراثة منشأها وهم .

وأول نص أخُبر عن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴾ [2] إذ أخبر المشركين إن هذه الأصنام التي عكفتم على عبادتها ، وأشركتموها مع الله لم يُنَزّل عليها برهان ، ولا يوجد دليل يثبت صحتها ولم تكن شفيعة ، وواسطة بينكم وبين الله فكيف تعبدون حجارة أنتم وآبائكم من أطلق عليها هذه الأسماء المعروفة الآن ؟ وما عبادتكم الحاليـة إلا مجـرد ظن وهمي وهوى نفسي لا أسـاس ولا صحة له [3] ، فالمعروف إن عبادة الأصنام عبادة موروثة ، ولم تكن وليدة شبه الجزيرة العربية ، كما سبق وإن تطرقنا إلى ذكر ذلك ، فهي موجودة منذ القدم ، وأسماؤها مبتكرة كذلك ، ومنطق وجدال عبّادها متشابه ايضاً مع الرُسل وقد أخُبر عن هذا الوهم المزعوم مع الأقوام السالفة مثل عاد قال تعالى في محكمة كتابه : ﴿ **قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ** ﴾ [4] ، إذ أخبرهم نبيهم أنها مجموعة أحجار أطلقت عليها أسماء من نسج الخيال والوهم لا ترتبط بالألوهية بصفة ، ولا تختلف عن أحجار البـراري والجبال والطرق [5] والحال مشابه مع نبيّ الله يوسف (عليه السلام) عندما أخبَر السجناء عن حقيقة هذه التماثيل التي جاء ذكرها في قوله تعالى : ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [6] .

([1]) الأنعام : ١٠٢ .
([2]) النجم : ٢٣.
([3]) ينظر : التبيان في تفسير القران ، ابو جعفر محمد الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٤٢٠/٩، تح : أحمد حبيب قصير العاملي مكتب الإعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، تفسير الميزان ، محمد حسين الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٣٨/١٩، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم - إيران .
([4]) الأعراف : ٧١.
([5]) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٦٧/٥.
([6]) يوسف : ٤٠.

ثم يخبر الله عز – وجل أن هذا الإشراك إنما هو تقليد أعمى لموروث أساسه الظن ففي قوله تعالى : **﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾** [١] ، والخرص في اللغة : تأتي بمعنى الكذب [٢] ، وفي هذا الصدد يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (إن أتباع الظن والحدس الذي لا يستند إلى أساس ثابت يجرّ الإنسان في النهاية الى وادي الكذب عادة والأشخاص الذين جعلوا الأصنام شريكة لله سبحانه لم يكن لهم مستند في ذلك إلا الأوهام ،الأوهام التي يصعب علينا اليوم حتى تصورها ، اذ كيف يمكن أن يصنع الإنسان تماثيل ومجسمات لا روح لها ، ثم يعتبر ما صنعه وخلقه ربّاً له وأنه صاحب إرادته ، وأن أمره بيده ؟! يضع مقدراته في يده وتحت تصرفه ويطلب منه حل مشاكله ؟! أليست هذه الدعوى من أوضح مصاديق الزيف والكذب ؟) [٣].

وجاء شبيه هذا المورد في مواضع أخرى من القرآن الكريم قال تعالى : **﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾** [٤] ، فالأكاذيب تولد من رحم الظنون الظنون والأوهام ، وقد أدان القرآن الكريم وراثتهم لهذه العبادة أباً عن جد ، والتي نتجت عن جهل حقيقي عن آبائهم وهم تُبع لهم قلباً ودیناً دون إرادة أو أختيار أو حتى مناقشة قال تعالى : **﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾** [٥] ، فهم على آثار آباءهم يهرعون في الضلال أي يقلدونهم ويتبعونهم قال أبو عبيدة : معنى يهرعون يستحثون من خلفهم ، وقيل : معناه يزعجون إلى الاسراع [٦] ، وهذا حال اللجاج والعناد مع الأمم الماضية .

قال تعالى واصفاً حالهم : **﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾** [٧] ، وقولهم ناتج من إصرار وثبات على منهج الآباء ، لذلك لا يتقبل العربيّ آنذاك أيّ فكرة للتغير ، حتى وإن كانت وراثتهم لمعتقد وهمي جاهل قال تعالى : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا**

---

(١) يونس : ٦٦.
(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ١٦٩/٢.
(٣) ينظر : الأمثل : ٢٧٥/٦.
(٤) الأنعام : ١١٦.
(٥) الصافات : ٦٩ -٧٠ .
(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٥٠٣/٨.
(٧) الزخرف : ٢٣.

وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [١] وقوله تعالى : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾** [٢] ، إن العقل والعلم والهداية التي تطرقت إليها الآيات الكريمة هي نقاط التغيير التي سيؤول إليها حال العربيّ لو أمتلكها ، فعندما إستعمل القرآن منطق العقل والأخبار عن وراثة الأجداد الوهمية التي لا تستند على مرتكز إيماني حقيقي ، وقاعدة علمية صحيحة أراد منهم التغيير والتبديل عمّا كانوا عليه ، كما أراد أن يضيء في عقولهم ومضة الفكر والتعقل والعدول عن أفعال وعبادات أجدادهم فالوراثة التي كانوا عليها جعلت منهم أشخاصاً كاذبون بشخصيات سفيهة عزلت العقل ، ورفضت أيّ تطور وايّ فكرة جديدة لأنكارها وصادروا المنطق والموضوعية في علّة تمسكهم بها .

خامساً – الإخبار بأن الأصنام لا تملك صفة الشفاعة .

إن واحدة من أسباب عبادة العرب للأصنام إعتبارها بأنها رموز مقربة بينهم وبين الله ، وإنها الوسيلة والواسطة التي تقضي حوائج أمورهم في الدنيا، وتعينهم في معيشتهم ، وتغض الطرف عن عقابهم من خلال تقديم الهدايا والنذور والقرابين ، ولإنهم ظنوا إن الحياة الآخروية تشبه عالم الدنيا من حيث الأسباب المادية والطبيعية ، كذلك الأفعال ، فمثلما موجود في الدنيا ، موجود في الآخرة ، إلا إن هذا المعتقد ما هو إلا محض وهم ، فالله تعالى لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين العبد ، وهذا ما صرحه في قوله تعالى : **﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** [٣] ثم إن هذه الأحجار الصماء كيف لها أن تشفع عند الله ؟ ولذلك فقد خاطب القرآن الكريم وأخبرهم إن الله لا يتقبل شفاعتها بأي حال من الأحوال ، ودلت النصوص الشريفة على لسان الرُسل في قوله : **﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾** [٤] ، فالشفاعة لا تتم إلا بأذنه قال تعالى : **﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾** [٥] ، فلا يتأملوا فيها ، فأن الخسارة هي نهاية مسيرهم قال تعالى : **﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** [٦] .

---

(١) البقرة : ١٧٠.
(٢) المائدة : ١٠٤.
(٣) البقرة : ١٨٦.
(٤) يس : ٢٣.
(٥) طه : ١٠٩.
(٦) الانعام : ٥١.

إن القرآن يخبرهم بحتمية ذلك اليوم وذلك السؤال حتى يلفت عقولهم عن الضلال الذي عكفوا عليه والسراب الذي صدقوا به قال عز – وجل : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ [1] ، أي وقد جئتمونا فرداً مثلما خلقناكم وتركتم كل شيء ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال والنساء والرقيق وراء ظهوركم ، وليس معكم من تزعمون أنهم شفعاؤكم من الأصنام الذين يشفعون لكم يوم القيامة كما زعمتم ، فقد تقطع الوصل بينكم وتلاشي وضاع ما كنتم تزعمون من شفاعة أصنامكم [2] .

والخلاصة إن الله وحده الذي يملك الشفاعة له مقاليد السماوات والأرض وله حق التصرف في الكون وليست الأصنام المزعومة قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [4] ، ولا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين عباده الذي خلقهم إلا بأذن منه ، وهذه واحدة من علامات الوحدانية ، وبهذا الإسلوب العقلي الذي خُوطب به عبّاد الأصنام غرس في عقولهم إن هذه الأحجار لا تتوسط لكم ، لإنها لا تمتلك خاصية الوساطة فلا تأملوا فيها .

سادساً – الإخبار بأن الأصنام مصنوعة ولا تملك قدرة الخلق .

المخلوق والمصنوع لا يخلق ، والفاقد لصفة الخلق والإيجاد كيف يُوجد ؟ فهذا واحد من الأدلة التي أستند عليها القرآن في معالجة عبادة الأصنام ، حيث حرّك عقولهم من خلال طرح بسيط وقاطع الحجّة في ذات الوقت قال تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾ [5] .

([1]) الأنعام : ٩٤.
([2]) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٥٤٣/١١، مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ١١٥/٤.
([3]) السجدة : ٤.
([4]) الزمر : ٤٤.
([5]) الفرقان : ٣.

وفي موضع آخر يوضح بسؤال إستفهامي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [١] ، وفي مواضع اخرى قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [٤] .

فإذا كان لهذه الأصنام القدرة على الخلق ، فليقدموا نموذجاً من خلقهم وإيجادهم ، كذلك اشتراكهم في خلق السماء ، فليثبتوا ذلك بدليل من كتاب أو علم يؤيد صحة كلامهم ، فالمعروف إن من أراد أثبات شيء عليه بتقديم أدلة عقلية أو مادية ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، فهم ليس لديهم أي دليل أو حجة أو برهان يثبتون به صحة كلامهم ، وإنمّا هي إدعاءات جوفاء لا أساس لها من المنطق والحق ، ويعود القرآن ليحاجّهم بالعقل حتى أنهم لا يستطيعون خلق أصغر المخلوقات ، بل حتى لو إجتمعوا كلهم وتعاونوا مع بعضهم على خلقه ، لا يستطيعون قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾ [٥] فهم فاقدون صفة الخلق ، فكيف تجعلون هذه الأحجار شريكة في العبادة ؟ مع خالق السماوات والأرض وفيها آلآف بل ملايين الكائنات الحية من الدقيقة إلى العملاقة من مختلف الأصناف ، والأشكال ، والألوان حيث إن كل واحدة فيهم تثير العجب ، وتأخذ بلباب العقل عن كيفية خلقها ، فاي منطق تستندون عليه ؟ وايّ عقل تحملونه عندما أشركتم الأصنام مع الخالق المبدع ؟

وقد تعددت الآراء في الطالب والمطلوب المنصوص عليه في الآية الكريمة بين الأصنام وعبدتها وبين الذباب فكلها مخلوقات ضعيفة لا تخلق شيئاً ولو إجتمعت كلها [٦].

---

(١) فاطر : ٤٠.
(٢) الاحقاف : ٤.
(٣) الاعراف : ١٩١.
(٤) النحل : ٢٠.
(٥) الحج : ٧٣.
(٦) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٧٧/١٠.

سابعاً – الإخبار بأن الأصنام لا ترزق ولا تملك شيئاً .

قد تكون واحدة من أساب عبادة الأصنام تكثير الأموال ، وزيادة الرزق ، إلا إن القرآن فند هذه الأوهام في آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** ﴾ [١] والقطمير الشيء الطفيف على النواة [٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ** ﴾ [٣] ، وقوله:﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [٤] ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [٥] ، فالرزق بيد الله وحده وليس لهذه الأصنام أي دور في رزقكم ، حتى لو إجتمعت مع بعضها ، فهي لا تمتلك شيئاً لا في الأرض ولا في السماء ، بل هي الممّلوكة لله لإنها حجارة ، والحجارة من صنع الله .

ثامناً _ من إتخذ الآلهة رباً ضل عن طريقه .

صرح القرآن الكريم بحتمية الضلال لمن إتخذ دون الله آلهة يعبدها ، والضلال في الدنيا مصيره العذاب في الآخرة قال : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [٦] [٦] إذ أخبر نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بالعاقبة المضلة لوالده آزر [٧] ، وفي موضع آخر قال : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٨] ، إذ أن المشركين إتخذوا الأوثان آلهة أضلهم الله ، فطبع على قلوبهم ولا يسمعون الهدى ولا يرونه [٩] ، ونصت آيات كثيرة على مصير الضلال الذي سيلحق

---

(١) فاطر : ١٣.
(٢) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٩/١٧.
(٣) سبأ : ٢٢.
(٤) النحل : ٧٣.
(٥) العنكبوت : ١٧.
(٦) الأنعام : ٧٤.
(٧) ذهب كثير من المفسرين إلى أن آزر ليس والد إبراهيم (عليه السلام) الحقيقي ، وإنما هو عمه ويطلق عليه أحياناً لفظ لفظ الوالد على العم ، ينظر : الأمثل ناصر مكارم الشيرازي : ٢٣٦/٤.
(٨) الجاثية : ٢٣.
(٩) ينظر : تفسير القرآن العزيز ، ابن زمن المالكي (ت:٣٩٩هـ) : ٤١٢/٤.

بالكافرين في آيات عديدة آخرى ، قال تعالى : ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [٣] ، والضلال البعيد هو الضياع الذي لا يرجى منه العودة إلى الهدى [٤] وكل ضلال تكون نتيجته الحتمية الخسارة خسارة الدنيا ، وخسارة الآخرة ، وهي الخسارة الكبرى قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [٥] .

تاسعاً_ الترغيب في توحيد الله .

وقبل الولوج إلى المعالجة لا بدّ من تعريف لفظ الترغيب وهو على معنيين

الاول - الإرادة رغب في الشيء رغباً ، الثاني – الترك ، فيقال : رَغبَ عن شيء تركه [٦].

وفي الإصطلاح : ((وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده)) [٧] ، فلأجل إزاحة معتقد أو عقيدة معينة وإستبدالها بغيرها لابد من الترغيب في العقيدة الجديدة ، وذِكر خصائصها ، ومحاسنها ، لتكون دافعاً قوياً ومشجعاً للتغير ، وهذا النظام إتبعه القرآن في علاجه لعبادة الأصنام ، إذ ذكر مزايا التوحيد ومحاسنه في آياته الكريمة قال تعالى : ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۞ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۞ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾ [٨] ، حيث دعا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) إبراهيم : ٣٦.
(٢) النساء : ١١٦.
(٣) الحج : ١٢.
(٤) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت: ١٤٣٢هـ) :٢٦/١٦.
(٥) فاطر : ٣٩.
(٦) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت: ٧١١هـ) : ٤٢٣/١ مادة (رغب) .
(٧) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي : ٢٣٠، دار الفكر ، ط ٢٥ ، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م .
(٨) هود : ١ – ٣.

قومه إلى عبادة الله وحده ، وما يزيدهم في التوحيد إلا رغد العيش والرزق والحياة الطيبة الكريمة [١] ، وهذا ما حدث مع الأقوام السالفة ، وخطاب أنبيائهم لهم بنفس الصيغة قال تعالى : ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾[٣] وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٤] هذا فيما يخص ترغيب الدنيا ، أمّا في الآخرة فالآيات كثيرة لا يسع ذكرها هنا جميعاً ، إلا إلا أننا سنذكر قوله تعالى علي سبيل المثال : ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ..** ﴾ [٥] ، فهذه الصور الحية التي ينقلها القرآن الكريم والتي ترسم في مخيلة المخاطب النعيم والحياة التي ستكون عليه فيما لو نبذ عبادة الأصنام وتمسك بالتوحيد ، وهذه الألفاظ وهذه المعاني المستخدمة في الخطاب تبعث في روحه رغبة التوحيد ، ويصف أحد الباحثين الكلمات المستعملة في القرآن قائلاً : ((فليست المعاني في القرآن مجردات اعتبارية لا يدركها إلا العقل، وإنما هي صورة حيّة تمرّ بخيال القارئ، ويلمسها إحساسه، وتكاد أن تراها عينه ، وليست الألفاظ في القرآن تلك الحروف التي لا تدل إلّا على المعنى، بل هي ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان)) [٦] .

عاشراً – الإخبار بأن الأصنام ستتبرأ من عبادتهم .

قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۞ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا** ﴾ [٧] ، والآية في ثناياها تتحدث عن مصير المشركين يوم الآخر ، وكيف تتخلى معبوداتهم عنهم سواء العاقلة والغير العاقلة منها ، فالقرآن الكريم أراد تحريك وجدانهم ، وإخبارهم بأن من

---

(١) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٢٢٨/١٥ – ٢٢٩.
(٢) نوح : ٤.
(٣) هود : ٥٢.
(٤) العنكبوت : ١٦.
(٥) محمد : ١٥.
(٦) من روائع القرآن ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي (ت:١٤٣٤هـ) : ١٦٩، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
(٧) الفرقان : ١٧ – ١٩.

صنعتم منهم آلهة تعبدونها وأشركتموها في عبادتكم مع الله ستترككم وتتبرأ منكم في نهاية المطاف ، وينسبوا ضلال أنفسكم إليكم ، وهذا ما صرحت به آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** ﴾ [1] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [3] .

.

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾ [4] ، يقول السيد محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) ((إن التذكير بمصير الآخرة له الأثر الكبير في أثارة الأحساس الإنساني بالخوف من المصير الذي يدفعه إلى الخروج من أجواء اللامبالاة التي تجمّد أحساسه بالمسؤولية ، فتمنعه من الأنفتاح على الرسالة والرسول)) [5] .

الحادي عشر – الإخبار بأن الأصنام وعبّادها وقود جهنم .

إن واحدة من طرق القضاء على إنحراف معين التذكير بعاقبة هذا الإنحراف ، وعبادة الاصنام من أكثر الإنحرافات إنتشاراً كما هو معروف ، لذلك تكلم القرآن عن مصيرها يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ **وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [6] ، والآية الكريمة واضحة في مفرداتها عن مصيرهم مصيرهم المحتوم ولفظة (كبكبوا) مأخوذة من (كبّ) ويعني إلقاء الشيء في الحفرة و(الكبكب) يؤدي

([1]) مريم : ٨١-٨٢.
([2]) الاحقاف : ٥-٦.
([3]) فاطر : ١٤.
([4]) العنكبوت : ٢٥.
([5]) ينظر : من وحي القرآن ، فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ٣٨/١٨.
([6]) الشعراء : ٩١ – ١٠٤.

معنى السقوط [١] فهم يساقون بشكل مجموعات تُكب في النار ، الأصنام وعبّادها من الناس وجنود الشياطين فجميعهم مصيرهم واحد [٢] ، وفي مقام آخر يذكر نفس المصير المحتوم لعبدة الأصنام في قوله : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾** [٣] وقال تعالى : ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ [٤] .

وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [٥] .

وقد أخبر القرآن الكريم في آيات عن وقود جهنم المتكون من الناس والحجارة ، والذي يخطر في فكر المستمع والمخاطب ان الحجارة ما هي إلا الاصنام التي كانت تعبد في الدنيا والناس هم عبيدها .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [٦] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [٧] ، فالمخاطبة بالوجدان والترهيب من نار جهنم قد يكون سبباً من أسباب تغير الإعتقاد ، والعدول عن الإشراك ، وتوحيد الله وعبادته وحده .

الثاني عشر _ ضرب الأمثال .

للّغة العربية التي نزل القرآن بها دور مهم في تغيير العقيدة المنحرفة وإستبدالها بعقيدة التوحيد حيث إن القرآن نزل في شبه الجزيرة العربية ، وخاطب سكانها باللغة التي ألفوها ، وعرفوها لتكون أكثر تأثيراً ، وأقوى حجّة في تثبيت العقيدة الجديدة ، وهذا الأسلوب سارٌ فيما سبق من الاقوام ، إذ نزلت كتبهم باللغة التي ينطقونها قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [٨] ، ومن طرق المعالجة التي إعتمدها القرآن في نبذ إنحراف

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٦٩٥/١ مادة (كب) .
(٢) ينظر : الامثل : ناصر مكارم الشيرازي : ٢٩٠/١١.
(٣) الاسراء : ٣٩.
(٤) الصافات : ٢٢ – ٢٣.
(٥) الانبياء : ٩٨ – ٩٩.
(٦) التحريم : ٦.
(٧) البقرة : ٢٤.
(٨) إبراهيم : ٤.

عبادة الاصنام ، والمثل لغة : الشبيه والنظير والصفة [١] ، وجاء ضرب الأمثال في القرآن الكريم للتذكير بوحدانية الله . ويذكر السيوطي (ت:٩١١هـ) : نقلاً عن الشيخ عز الدين : ((إِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ فِي الْقُرْآنِ تَذْكِيرًا وَوَعْظًا فَمَا اشْتَمَلَ منها على تفاوت في ثَوَابٍ أَوْ عَلَى إحْبَاطِ عَمَلٍ أَوْ عَلَى مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ نَحْوِهِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْأَحْكَامِ)) [٢] ، قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [٣] ، فقد عالج المثل القرآني كل ما يعرض للإنسان من أمور عديدة في حياته والمواضيع المختلفة ، والأحوال الواقع فيها ، والتي سيقع عليها ، والقضايا العقدية ، ومنها عبادة الأصنام فالناظر لآيات المثل يلاحظ كيف يعرض القرآن لنا المحاججة العقلية من خلال أعمال الذهن ، والتفكر في هذا الجانب الإجتماعي عند طرح قضايا التوحيد ، كما إنه يدخل النفس بصورة سلسة وسريعة ، ويستجيب له العقل عندما يراد التفسير بشيء أو الترغيب فيه يقول ضياء الدين ابن الاثير (ت: ٦٣٧هـ) : ((أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه)) [٤] ، ومن الآيات القرآنية التي ضربت المثل في التوحيد قوله تعالى : ﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [٥] ، هنا يضرب القرآن المثل من واقع أنفسهم الذي يعيشونه ويعرفونه وهو إن السيد فيهم لا يرضى أن يتقاسم أمواله مع عبيده الذين تحت يديه ، ويخاف قسمة المال وبهذا المثل يبين لهم القرآن عقيدتهم الفاسدة ، فإذا كانوا لا يرضون بقسمة المال لإنفسهم كيف يرضون بقسمة الالوهية مع الله ؟ ، ومنه قوله : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٦] . هنا ضرب القرآن مثلاً بين رجلين أحدهما يملكه شركاء كثيرون ، والآخر عبد لله ، فكيف سيكون حال الأول عندما يتنازع عليه شركاء غير متفقين ، وكيف سيكون حال

([١]) ينظر : الصحاح تاج اللغة ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٨١٦/٥، لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٦١٠/١١ (مادة مثل) .

([٢]) الاتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٤٤/٤، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

([٣]) العنكبوت : ٤٣.

([٤]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣٧٨/١، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ .

([٥]) الروم : ٢٨.

([٦]) الزمر : ٢٩.

الثاني ؟ ، وفي موضع آخر قال ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾ [١] .

فشبه حال من يعبد الأصنام بمن يطلب من ماء البئر أن يرتفع ليبلغ فاه ، فهذا ضرب من المحال

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] ، فالآية تشير إلى حقيقة واضحة كوضوح الشمس في العلياء وتبين فساد الذين إتخذوا دون الله أولياء يعبدونهم فضعفهم في هذا المتكئ كضعف بيت العنكبوت [٣] البيت المكون من خيوط رقيقة لا سقف ولا جدار يحميه هكذا هي عبادتهم خائرة ، ولجوئهم إلى الأصنام كلجوء العنكبوت إلى بيته الذي لا يقيه من مكروه ، ولا يحميه من ضرر ، ولا ينفعه شيء ، وفي موضع آخر يضرب المثل في قوله : ﴿ **.. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ [٤] ، ففي الآية تشبيه لحال المشرك ، كأنمّا خر من السماء ، وعند سقوطه إمّا أن يصبح طعماً للطيور الجارحة أو يلتقي بعاصفة تضربه بقوة ، فتقذفه في أحدى زوايا الأرض فتفقده حياته ، فما أبلغ هذا التشبيه عندما شبه التوحيد بالسماء والشرك بالسقوط منها بقوة كل هذا ليثبت لهم إن عبادة المشركين للأصنام تؤول إلى الهلاك .

ومن الأساليب التي عالجت الإنحرافات الجاهلية العقدية

٣_ (توظيف الدليل الأستقرائي)

والذي يعتمد على عدة قرائن إحتمالية تؤدي إلى مرحلة اليقين ومن الأدلة الإستقرائية

أولاً_ النظر في آيات الكون والأنفس .

عندما جاء الإسلام أرسى دعائم دولة التوحيد إبتداءً من المجتمع العربي الغائب في ضلال الشرك وعبادة الأصنام ، ونقل الناس نقلة نوعية بعد إن كانت مشتتة الأفكار والقلوب فأراد من خلال النظر في آيات

---

(١) الرعد : ١٤.
(٢) العنكبوت : ٤١.
(٣) ينظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) : ١١٩/١، تح : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
(٤) الحج : ٣١.

الكون تثبيت عقيدة التوحيد بالله ، ونبذ ما سواه من معبودات ، إذ أن المرء متى ما قلّب عينه في هذا الكون الواسع يحط على آية من آياته ، فالكون وما يحتويه من آيات عجيبة في السماء والأرض والأنفس جعلت من الإنسان البسيط المحدود الفكر آنذاك بالتفكر والإلتفات إليها ، وأول ما تحدث عنه هو الطعام كونه أقرب الآيات الدالة على خالق موجود ويشعرها الإنسان يومياً قال تعالى : ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ۞أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا۞ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا۞فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا۞وَعِنَبًا وَقَضْبًا۞وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا۞وَحَدَائِقَ غُلْبًا۞وَفَاكِهَةً وَأَبًّا۞مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ [1] ، والنظر المراد منه ليس البصر والرؤية فقط ، وإنما التفكر والتأمل [2] ، وجاء في موضع آخر قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [3] ، المطر مصدر للماء العذب ، ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة ، وقد أسند سبحانه إنزال الماء إليه لإنه مسبب الأسباب ، منه تبتدئ وإليه تنتهي مهما إمتدت حلقاتها ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا**﴾ ضمير منه يعود إلى النبات ، والمراد بالخضر الغض والطراوة أي : تتشعب من النبات أغصان غضة طرية ، وقيل : الخضر هنا بمهنى الأخضر ﴿ **نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا**﴾ ضمير منه يعود إلى الخضر ، أي يخرج من الأغصان سنابل كسنابل القمح ونحوها كثمر الرمان الذي يركب بعض حبوبه بعضاً ﴿ **وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ**﴾ ، أي : ونخرج من طلع النخل قنواناً ، والقنوان جمع قنو بالكسر ، وهو من النخل كالعنقود من العنب ، ودانية سهلة التناول ، أو إن بعضها قريب من بعض لكثرتها ﴿ **وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ**﴾ أي : ونخرج من النبات هذه الأصناف الثلاثة ، ثم قال : ﴿**مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾ ان من النبات والشجر ما يشبه بعضه بعضاً في الشكل والطعم ، ومن ما لا يشبه بعضه بعضاً فيهما ﴿ **انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ** ﴾ أي : إتبروا كيف يخرج الثمر أول ما يخرج صغيراً لا ينتفع به ، ثم ينتقل من حال إلى حال ، حتى يبلغ النضوج ، فيصير لذيذاً نافعاً ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ وليس المراد هنا بقوم يؤمنون المؤمنون بالفعل

([1]) عبس : ٢٤_٣٢.

([2]) ينظر : معجم ألفاظ العقيدة ، عامر عبد الله فالح : ٤١٣ ، مكتبة العبيكان ، الرياض _ المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٧ه-١٩٩٧م .

([3]) الأنعام : ٩٩.

فقط ، بل والذين يستجيبون لدعوة الإيمان ، وينتفعون بالدلائل والبينات ، أما أصحاب القلوب المغلقة فيمرون بها مرور البهائم والسوائم [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾ [٢] .

السماء جهة العلو والماء المبارك المطر ، وصف بالمبارك لكيرة خيراته خيراته العائدة إلى الأرض وأهلها وحب الحصيد المحصود من الحب وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، والمعنى ظاهر ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ** ﴾ والباسقات جمع باسقة وهي الطويلة العالية ، والطلع أول ما يطلع من ثمر النخيل ، والنضيد بمعنى المنضود بعضه على بعض ، وقوله تعالى : ﴿ **رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ**﴾ الرزق ما يمد به البقاء ، فهذه النباتات والثمار المختلف أصنافها وأشكالها من أنبتها في الأرض ؟ تأكلون منها وتطعمون انعامكم جميعها تسقى بماء واحد ، وتعد هذه آية ومعجزة بأن من أوجدها بعد إن كانت أرض خالية ميتة ، إلى مروج خضراء تتنفس فيها الحياة وكل هذا من مسلك إثبات إمكان الشيء بوقوع مثله فليس الخروج من القبور بالإحياء بعد الموت إلا مثل خروج النبات الميت من الأرض بعد موتها ووقوف قواه عن النماء والنشوء [٣] ، قال تعالى : ﴿ **فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ [٥]

وعلى الرغم من معرفتهم إن من أنزل المطر وأحيا به الأرض هو الله ، ومع ذلك يشركون غيره معه في العبادة ، قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [٦] ، فالآية في موقع إقامة الحجّة على المشركين من خلال تقرير المطر من السحاب وهذا إن دل على شيء دل على حمق المشركين وسفاهة عقولهم وجهلهم عندما

---

(١) ينظر : الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٢٣٤/٣.
(٢) ق: ٩_١١ .
(٣) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٠هـ) : ٣٤١/١٨.
(٤) الروم : ٥٠ .
(٥) الحج : ٦٣ .
(٦) العنكبوت : ٦٣ .

أقروا بأن الله هو من أنزل الماء ، وهو الذي أوجده ، ثم بعد ذلك يشركون معه غيره من الأصنام [١] .

إن الآيات الكريمة التي تحدثت عن السماء وما تحمله الغيوم والأمطار لتسقي الأراضي والزروع ، إلا لإثبات وحدانية الله ومالكيته ، والمراد من السماء في الآيات الكريمة هي السماء المعروفة للناظر هذه القبة الزرقاء المحيطة بأطراف الأرض ، ولهذا أطلق عليها القرآن بلفظ الإفراد لكونها مشاهدة من قبل الإنسان ، ويرى ما يحدث فيها من تغيرات كذلك تسخير الرياح .

قال تعالى : ﴿ **أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [٢] ، فعناصر السماء شواهد حية ، وحقيقة دلت في ذاتها على أنها مخلوقة لخالق جبار عظيم لا حجر أرضي ضعيف ، ولم تقتصر الآيات على السماء فقط ، فطلب منهم النظر إلى الأنعام والكائنات المحيطة بهم ، ففيها علامة وإشارة على وحدانية الله قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**﴾ [٣] ، ومعناه إنا عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا فهو بمنزلة ما يعمله العباد بأيديهم في أنهم تولوا ، والأنعام جمع النعم ، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿ **فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾ ، فهو المنعم على عباده بكل ما ملكوه [٤] ، ثم يختص في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [٥] .

وتطرق ايضاً إلى ذكر الطيور في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [٦] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [٧] ، فهذه الطيور التي تطير في جو السماء من سخرها لهذا أليس الله ؟ وجاء الخطاب هنا إستفهامي ، حيث أنهم أنكروا رؤية الطير المسخرة في السماء ، ونزلت منزلتها منزلة عدم الرؤية لإنعدام الفائدة ، هذه فيما يخص الآيات الكونية .

---

(١) ينظر : انوار التنزيل وسرار التأويل ، ناصر الدين البيضاوي (ت:٦٨٥هـ) : ١٩٩/٤ ، تح : محمد عبد الرحمن المرعشي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
(٢) النمل : ٦٣ .
(٣) يس : ٧١ .
(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٤٧٤/٨.
(٥) الغاشية : ١٧ .
(٦) النحل : ٧٩ .
(٧) الملك : ١٩ .

أمّا آيات الأنفس والتي لا تقل عظمة عن عظمة الآفاق ، ولذلك طالب القرآن بالنظر فيها ، والتأمل بتركيبها قال تعالى : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [١] ، كما أنه تحدث عن خصائص الحواس وبداية تكوينه والتي عرفها الإنسان مع تقدم الزمن ، إذا كانت مجهولة ومبهمة وقت نزول الآية قال تعالى : ﴿ **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ**﴾ [٢] ، وقد سبق الحديث عن تكوين الإنسان ، ثم أشار في آيات أخرى عن الأعضاء والحواس التي منحهم الله إياهم لتدلهم من خلالها إلى موجد واحد لهذه التراكيب يعرفونه بأنه الحق لا شك فيه ، وإنه من دونه باطل لا تقدر على شيء من فعله قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾ [٤] ، وما زال العلماء في إكتشاف دائم ومستمر للحقائق الدقيقة والعجيبة الموجودة في جسم الإنسان والمعجزات والأسرار المودعة داخله يوماً بعد يوم .

ثانياً_ القصة

حيث أولاها عناية كبيرة وأهمية خاصة ، فالمتدبر والمتتبع لآيات القرآن يلاحظ تلك العناية المميزة ، ولا سيما في العهد المكي ، كون القصة من أكثر الأساليب فائدة وأعمقها تأثيراً ، وبالتالي أجدّها نفعاً في المجتمع الجاهلي الذي يحوي المغالطات الفكرية والسلوكية ، والقصة لغة تعني تتبع الأثر يقول ابن منظور (ت: ٧١١هـ) : ((قَصَصْت الشَّيْءَ إذا تتبّعْت أَثره شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ))[٥]، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ..**﴾ [٦] ، أمّا إصطلاحا : ((هي كلام آلهي مفرغ في قالب الوحي يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام)) [٧] ، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وتحداهم وحاججهم بها على حسب طريقهم في الكلام والتعبير ، وبأقوى خصائص لغتهم المتميزة ، لذا ألفوا القرآن الكريم ، وعرفوا بانه دليلاً إعجازياً على الوحي والرسالة ، ولم يكن لجوء القرآن إلى أسلوب القصص إعتباطياً ، وإنما لمعرفته بأنها

---

(١) الذاريات : ٢١.
(٢) عبس : ١٧-١٩.
(٣) الملك :٢٣ .
(٤) الأنبياء : ٢٢ .
(٥) لسان العرب : ٧٤/٧.
(٦) القصص : ١١.
(٧) الميزان ، الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) : ٣٠٨/٢ .

الطريق الأمثل والأصوب في قدح الحقيقة وإرسائها في أذهان الناس ، إذ ليس من المنطق والمعقول أن يخاطب سكان شبه الجزيرة العربية بأسلوب لم يعهدوه ، وطريقة لم يألفوها و في عرضه للقصة حيث قام بصياغتها بطريقة كان التأثير والأقناع فيها على مستوى عالي ، ممّا أدت إلى هدم أفكار ومعتقدات تراثية ملأت عقول الناس وقلوبهم ، وبهذا الصدد يقول أحد الباحثين : ((أن القصص هو احد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس وليقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه في هذا الشأن ما جاء في القرآن من أساليب الإستدلال والمناظرة والتعجيز ، والوعد ، والوعيد ، والتهديد ، وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة في القرآن الكريم كله من قصار السور إلى طوالها)) [١] .

وقد أشار القرآن الكريم في بيان هذا الأسلوب في آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [٤] ، إذ وصفها بأحسن القصص ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا**﴾ [٥] ، وممّا يؤخذ بعين الإعتبار إن القصة في القرآن الكريم : ((ليست القصة في القرآن عملا فنيًّا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه ، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق – إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)) [٦] ، ومن الآيات التي عالجت مسألة التوحيد ، ونبذ عبادة الأصنام ما نقل نقل عن سيدنا موسى (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ **فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۞ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ**

---

(١) القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب (ت:١٤٠٦هـ) : ٨، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م .
(٢) الاعراف : ١٧٦.
(٣) ال عمران : ٦٢.
(٤) يوسف : ٣.
(٥) طه : ٩٩.
(٦) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب (ت: ١٣٨٦هـ) : ١٤٣، دار الشروق ، ط ١٧ .

الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۞ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۞ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [1] فقصة موسى والسامري وكيف رَوَج لعبادة العجل ومصيره المحتوم وضلال قومه بعد أن غاب عنهم واضحة يرويها لهم القرآن لأخذ العبرة ، والعظة كي لا يقعوا في نفس البؤس الذي سبقهم من الأمم كذلك عرض القرآن مجادلات نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الثلاثة مع طاغوت عصره ، وقومه ، ووالده التي سبق وإن تطرقنا إليها في سورة مريم في قوله تعالى : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾**[2] .

إن حكاية نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع آزر وعكوفه على عبادة الأصنام ، إذ أراد إبراهيم صرفه عن هذه العبادة التي لا تنفع ، ولا تضر ، وليس فيها من خصائص الألوهية ، إذ هدم هذه العبادة بالحجج الباهرة والقاطعة ومنها مناظرة إبراهيم مع سلطان وطاغوت زمانه [3] النمرود بن كنعان [4] إذ إذ قال تعالى في محكم كتابه **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** [5] ، هذا الملك الذي أغتر بعرشه ، وكرسيه ، فأدعى الربوبية وأنكر وجود الله وتحدى إبراهيم في ذلك ، إلا أن إبراهيم (عليه السلام) فنّد

([1]) طه : ٨٦ – ٩٨.
([2]) مريم : ٤١ – ٤٨.
([3]) ينظر : أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، ابو الحسن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ) : ١٠٣، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م .
([4]) هو : أحد ملوك الدنيا الجبارين والطغاة من بابل يرجع نسبه إلى نوح (ع) : ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (ت: ٧٧٤) : ١٤٨/١.
([5]) البقرة : ٢٥٨.

مزاعمه وأبطل إدعائه بالبرهان القاطع والحسي فسجلت تلك المناظرة أكبر دليل على بطلان الوهية غير الله .

يقول ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ((أي إنما الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ، حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا، وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، ضَرُورَةً، لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا، فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)) [١] .

وكذلك قصة إبراهيم مع قومه قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۞ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ [٢] ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٣] فعندما وجدهم معتكفين على عبادة الأصنام قال لهم : بإحتقار ما هذه التماثيل التي أنتم عليها عاكفون ؟ ثم أخبرهم بضلالهم ، وأقسم ليحطم هذه الأصنام لعلهم يرجعون إلى رشدهم ، وقد قصّ القرآن كيف حطمها وأهانها عندما طلب من عابديها سؤالهم عن الذي حطمهن وأراد بهذا السؤال زعزعة عقائد الوثنيين الفاسدة ويبين لهم إن هذه الأحجار لا

---

(١) تفسير القران العظيم : ٥٢٥/١، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ .
(٢) الانبياء : ٥١ – ٧٠.
(٣) الشعراء : ٦٩ – ٧٧.

حياة فيها عاجزة لا تستطيع حتى النطق بكلمة واحدة أو تدفع عن نفسها خطر التحطيم ، فكيف تريدون منها أن تحل مشاكلكم وقضاياكم ؟ .

إن قصة إبراهيم (عليه السلام) ومناظراته الثلاثة فيها من العِبرة والعِضة للمشركين في شبه الجزيرة العربية إذ أن الخطاب والحجّة الدامغة التي أستند عليها إبراهيم (عليه السلام) أثبت بطلان عبادة الأصنام والضلال الذي لحق بقومه ، وكي لا يعيدوا كرّة آبائهم ، وأجدادهم ، وكرّة الأقوام السالفة ، لكون قصصهم التي وردت في القرآن ليست بخرافة أو نسج خيال ، وإنما هي أحداثٌ ، ووقائع تأريخية حقيقية حملت معها الوعظ ، والعبر ، الوعد ، والوعيد ، وبيان شرائع الأنبياء السابقين وكيفية مواجهتهم للإشراك ودحضه ، فالقرآن الكريم يشير إلى الغرض الأساسي والمهم من عرض قصص الأنبياء ، فهو يدعوا إلى الوحدة والإيمان بآله واحد ، وهذه الوحدة لها جذورها العميقة الممتدة منذ عهد آدم (عليه السلام) [١] والتي بينتها قوله تعالى : **﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾** [٢] .

ومن طرق العلاج : إستعمال أساليب الإستفهام ، والإستفهام لغة : طلب الفهم [٣] ، إصطلاحاً : طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدوات الأستفهام [٤] ، والمعروف إن الأستفهام يخرج من معناه الحقيقي إلى معاني مختلفة مثل الأنكار والتقرير ، والتقرير لغة : من الإقرار وهو الإذعان للحق [٥] ، إصطلاحاً : هو حمل المخاطب على الإقرار والإعتراف بأمر قد أستقر عنده [٦] ، إذن نخلص ممّا سبق إلى إن الإستفهام التقريري هو : ((إستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها ، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولإعترافه بإنكار الباطل)) [٧] .

ومن خلال ما تقدم يُفهم منه إن القرآن الكريم أراد من المخاطب أن يقرّ بما يسأله عن الشرك ، وهو مورد بحثنا ، بالإيجاب والقبول ، ويدخل ضمنه الإدانة واللوم ، ومنه قوله تعالى : **﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ**

---

(١) ينظر :علوم القران ، السيد محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٤هـ) : ٣٥٨، شبكة الفكر ، ط٣ .
(٢) الانبياء : ٩٢.
(٣) ينظر : المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون : ٧٠٤/٢.
(٤) ينظر : المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني : ٩٥/٢، المكتبة الأزهرية للتراث .
(٥) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) : ٤٦١.
(٦) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، ابو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) : ٣٤٥/٢، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
(٧) مناهج الجدل في القران الكريم ، الدكتور زاهر عواض الألمعي : ٧٦، ط١ ، ١٣٩٩هـ .

تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [١] ، فهو إستفهام لتقرير الحجّة والدليل إذا كانت هذه الأحجار لا تنفع ، ولا تشفع فما الغاية من عبادتها ، وفي موضع آخر قال تعالى : **﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾** [٢] ، ومنه قوله تعالى : **﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾** [٣] ، وكذلك الحال ، فالخطاب المكرر مع الأقوام السالفة عندما سألهم يوسف (عليه السلام) : **﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾** [٤] فالإجابة معروفة عند الطرفين أن لا آله إلا الله وحده ، ولكن اللّجاجة والمعاندة أعمت البصر والبصيرة .

ثم إستخدم إسلوب الأنكار والذي يعد واحداً من أساليب الحجاج ، فالأنكار لغة : الجهل والحجود والأستنكار أستفهاماً لأمراً تنكره [٥] ، والإستفهام الأنكاري : ((إستفهام يراد منه تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيي بالجواب ، إما لأنه قد أدعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ... وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله ... ، وإما لأنه جوزّ وجود أمر لا يوجد مثله)) [٦] ، ومن الآيات الدالة على الإستفهام الأنكاري قوله تعالى : **﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾** [٧] .

وقوله تعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾** [٨]
وقوله تعالى : **﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [٩]
[٩] ومنه قوله تعالى : **﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾** [١٠].

وآيات الخلق التي تطرقنا إليها سابقاً تدل ضمّن الإستفهام الأنكاري : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾** [١] ، وقال تعالى : **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

---

(١) الشعراء : ٧٢ – ٧٣.
(٢) المؤمنون : ٨٦ – ٨٧.
(٣) الرعد : ١٦.
(٤) يوسف : ٣٩.
(٥) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) : ٤٨٧.
(٦) دلائل الأعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧٤هـ) : ١١٩_١٢٠، تح : ابو فهر و محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة – مصر ، ط٣ ،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
(٧) الصافات : ٩٥.
(٨) الأنعام : ٧٤.
(٩) الأنعام : ٤٠.
(١٠) الصافات : ٨٦.

وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [٢] ، **﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [٣] ، وقال تعالى : **﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾** [٤] .

ثم يختم معالجة الشرك بالأسلوب الخامس ، وهو أسلوب الأمر، والأمر لغة :((الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ)) [٥] إصطلاحاً : (القول المراد منه طاعة المأمور بفعل المأمور به ، وهو طلب الفعل ، وأقتضاؤه على غير وجه المسألة) [٦] ، فبعد إن إستخدم الطرق العديدة في المعالجة لجئ إلى إسلوب الأمر ، إذ أمر بالنهي عن عبادة غير الله بصيغ صريحة واضحة ، حتى لا يبقى بعد ذلك عذر ، والآيات كثيرة نذكر البعض منها قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** [٧] .

وقال : **﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾** [٨] .

وبناءً على ما تقدم من أدلة إعتمدها القرآن في تثبيت عقيدة توحيد الذات الألهية ، فأن الله واحد لا شك فيه ولا جِدال ، فهو وكل ما في الكون من أدق الموجودات إلى أعظمها شاهدٌ حي من تراكيب متعددة والعالم الأرضي ، وما عليها من إنسان ، حيوان ، ونبات في مختلف الأصناف والأشكال والترابط الوثيق والتوازن الدقيق فيما بينها ما هو إلا آية وجود ومظهر من مظاهر تفرد الخالق .

---

(١) الاعراف : ١٩١.
(٢) الاحقاف : ٥.
(٣) النحل : ١٧.
(٤) الصافات : ١٢٥.
(٥) مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) : ١٣٧/١ مادة (أمر) .
(٦) ينظر : المستصفى ، ابو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) : ٢٠٢، تح : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
(٧) البقرة : ٢١.
(٨) النساء : ٣٦ .

المبحث الثاني

تكذيب النبـوة

لمحة حـول النبوة

يمكن تعريف النبوة لغة : على أنها مأخوذة من النبأ ، وهو الخبر ، وعليه فالنبيّ هو : المخبِر والمخبَر[١] فهو مخبِر عن الله أمره ووحيه قال تعالى : ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [٢] ومخبَر بمعنى أن الله اخبَره قال تعالى : ﴿ **قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [٣] ، وقيل : النبوة مشتق من الأرض المرتفعة أو المكان المرتفع ، والنبيّ سميّ نبياً لرفع محله عن سائر الناس [٤] قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [٥] .

أمّا في الإصطلاح فقد تعددت التعريفات حول النبيّ ، ومنزلة النبيّ ، إلا أنني سأعتمد على أقدمها ، حيث عُرف بأنه : (المؤدي عن الله تعالى بلا واسطة من البشر) [٦] ، وهي من الظواهر المهمة جداً في هذا الكون ، لكونها تربط عقل وروح الإنسان بعالم ما وراء الطبيعة ، ولم تقتصر بفئة معينة دون غيرها ، كما أنها لم تقتصر على بقعة في هذه الأرض دون غيرها ، فهي عامة شاملة منذ أن حط أول إنسان آدم (عليه السلام) وإلى يومنا هذا ، فأرسل تعالى النبيّ بعد النبيّ والرسول بعد الرسول حجّة للناس قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [٧] ، وقد بلغ عددهم على مر التأريخ (مئة ألف نبيّ واربعة وعشرون ألف نبيّ) [٨] ، ولهم القابلية والقدرة على الأقناع بالمنطق الحق ، كما أنهم مؤيدون بمعجزات ربانية خارقة عن طبيعة البشر كونهم يتعاملون مع البشر والإنسان البسيط يربط كل شيء مادي بالوجود ، فما

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١٦٢/١- ١٦٣ مادة (نبأ) .
(٢) الحجر : ٤٩.
(٣) التحريم : ٣ .
(٤) لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١٦٣/١.
(٥) مريم : ٥٧.
(٦) الاقتصاد فيما يتعلق بالأعتقاد ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٤٤، دار الاضواء ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
(٧) المؤمنون :٤٤ .
(٨) الاعتقادات ، الصدوق (ت: ٣٨١هـ) : ٩٢، تح: عصام عبد السيد ، مهر ، قم ، ط١، ١٤١٣هـ .

هو ليس بمادي غير موجود ، لذلك أُنكرت ظاهرة النبوة مراراً وتكراراً ، وكُذِّب الأنبياء وأُتهموا بشتى أنواع التُهم ، وأُلفت عليهم العديد من الأقاويل الباطلة ، وشهدت على ذلك العديد من الآيات الكريمة ،لا سيما في المجتمعات البدائية والعصور القديمة والتي قد برز فيها أشخاص إدّعوا إتصالهم بقوى كُبرى تستطيع أن تسيطر على الانسان من خلال السحر والشعوذة أو الإتصال بالجن والأرواح وغيرها من الأمور المخفية والقوى الباطلة .

وقد أثبت الله تعالى نبوة أنبيائه وأنه أرسلهم من بين البشر لهداية الناس الى الطريق السويّ في العديد من آياته الكريمة ، كقوله تعالى :**﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾** [١].

وقوله تعالى :**﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [٢]

وقوله تعالى : **﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾** [٣] .

وقوله تعالى : **﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾** [٤] .

وقوله تعالى : **﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾** [٥] .

وغيرها من الآيات التي لا يسع المجال لذكرها جميعاً ، فالأنبياء كُلهم رُسُل من الله ، كُل واحد منهم أُرسل الى قرية معينة أو قوم ما : **﴿ .. وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾** [٦] لهدايتهم أو لإنذارهم بعذاب الله إن

---

(١) البقرة : ١٣٦.
(٢) البقرة : ٢١٣.
(٣) النساء : ١٦٣.
(٤) العنكبوت : ٢٧.
(٥) الحديد : ٢٥.
(٦) فاطر : ٢٤.

جحدوا به قال تعالى: ﴿ **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [١] .

ومن خلال ما سبق نقول : النبوة لم تكن بدعة من بدع البشر على مر العصور ،إنما هي مقام خاص يمنحه الله لأفضل عباده ، لذا فأن هدفهم واحد ولا يوجد إنقطاع في خط دعواهم لكونهم يسقون من منبع واحد ألا وهو الوحي الإلهي ، فهم كالمعلمين أعطى كل واحد منهم درساً تأريخياً للبشرية .

المطلب الأول : عقيدة العرب بالنبوة قبل الإسلام

شبه الجزيرة العربية ومزيج الثقافات فيها ما هي إلا نتيجة الرحلات والهجرات التي قدمت إليها وخرجت منها فأصبحت عقيدة العرب فيها بقضية مهمّة كقضية النبوة موضع جدل ، ولهم وجهات نظر مختلفة ، إلا إننا بحسب ما ورد في القرآن الكريم والشعر ومصادر التأريخ يمكن معرفة هذه الوجهات وتقسيمهم إلى فئات معينة :

الفئة الاولى – والتي أنكرت النبوة جملة وتفصيلاً ، وقد إتفقت مع الدهرية [٢] والتي سنتحدث عنهم في مبحث المعاد ، فهم من أنكر باعث النبيّ ، وموجِد الكون ، وموجِده من بين الخلق ، فكيف لهم أن لا ينكروا النبوة او أرسال الأنبياء؟ ، ومنهم من تأثر بفكر البراهمة [٣] ، والتي إعتمدت على العقل وتدعي بأن لا حاجة أن يرسل الله وسيطاً بينه وبين البشر كقدوة وأسوة للناس يرشدهم الى السراط السويّ ، فإن جاء بما يوافق العقل فهو غنيٌ به ، وإن جاء بما يخالف العقل ، فهذا قبيح لإن إتباع ما يخالف العقل قبيح في ذاته [٤] .

([١]) النساء : ١٦٥.

([٢]) وهم طائفة من العرب انكرت البعث ، والخلق ، والإعادة ، وكانت تقول : (بالطبع المحيي والدهر المفني) ، ينظر : الملل والنحل ، ابو الفتح محمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) : ٧٩/٣، مؤسسة الحلبي .

([٣]) هُمْ (طَائِفَةٌ مِنَ الْمَجُوسِ زَعَمَتْ أَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ عَبَثٌ لَا يَلِيقُ بِالْحَكِيمِ لِإِغْنَاءِ الْعَقْلِ عَنِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ إِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلْعَقْلِ حَسَنًا عِنْدَهُ فَهُوَ يَفْعَلُهُ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لَهُ قَبِيحًا فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ فَعَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ) ينظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين أبو العون السفاريني (ت:١١٨٨هـ) : ٢٥٦/٢، مؤسسة الخافقين ، دمشق – سوريا ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

([٤]) ينظر : قواعد المرام في علم الكلام ، ابن ميثم البحراني (ت:٦٧٩هـ) : ١٢٤، تح : السيد أحمد الحسيني ، مطبعة الصدر ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ.

أمّا الفئة الثانية – فهي لم تنكر النبوة ولا الأنبياء ، إلا أن تصورهم لهم لم يكن التصور المحضّ للنبيّ كما هو معروف لدينا ، وتعدّ هذه الفئة الغالبية من العرب ، كما إن لهم وجهات نظر معينة يذكرها القرآن الكريم منها كيف يمكن للنبيّ أن يكون من البشر ؟ قال تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا** ﴾ [١]، والإستفهام هنا انكاري [٢] ، كما إن الإيمان هنا هو الايمان بالنبيّ فكيف يمكن التصديق إن مثل هذه المهمة يقوم بها أُناس عاديون منا ، أمّا كان من الأولى أن يقوم بها مَلَك مثلاً من الملائكة ، فهو أجدر بحمل مثل هكذا رسالة ! ، إذ أن هذه الكلمات التي يتفوهون بها لإنكارهم بشرية النبيّ رغم إعتقادهم بوجود الإله الخالق ما هو إلا نتيجة المنطق الخاوي لعرب شبه الجزيرة ، ولم يكن هذا المنطق مقتصر عليهم ، فقد صرح القرآن الكريم بلسان من سبقهم من الأمم الماضية إذ تشابهت قلوبهم نتيجة الكفر الذي أعمى القلوب والأبصار في كثير من آياته الكريمة قال تعالى : ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾ [٣] ، والحديث في الآية الكريمة هو حديث المكذبين بالنبوة في عهد نبي الله نوح (عليه السلام) ، فكان خطاب الملأ من قومه وهم الرؤساء الى الجمع البسيط من قومه ، إذ يقولون لهم : ما هو إلا رجل يريد أن يترأس عليكم ، فلو كان حقاً مرسل من الله ومتصلٌ بالوحي لكان عندكم أتصال فما يتقصون عنه بشيء أو لأختار الله الملائكة لتكون الواسطة بيننا وبينه ثم إن آباؤنا كانوا أفضل منا وأعقل ولم يتفق لهم وفي زمانهم ما يناظر هذه الدعوة فليست إلا بدعة [٤] .

وكذلك قوله تعالى :﴿ **إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ [٥] ، ولا يختلف الحال مع قوم عاد وثمود ، إذ رفضوا الإنقياد لبشر مثلهم وجهلوا إن الله وجهلوا أن الله يبعث الأنبياء على ما يعلم من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام به [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** ﴾[٧] ، والآية حاكية أقوال قوم ثمود وتخلفهم في إتباع النبي صالح (عليه السلام) [٨] .

---

(١) الاسراء : ٩٤.
(٢) الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٠٤/١٣.
(٣) المؤمنون : ٢٤.
(٤) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٨/١٥.
(٥) فصلت : ١٤.
(٦) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١١٣/٩.
(٧) القمر : ٢٤.
(٨) ينظر : م. ن : ٤٥٢/٩.

وقوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [١] ، بيان لكل من كذب بالأنبياء وما تكذيبهم إلا نتيجة التكبّر والغرور، فأن آمنوا وأطاعوا الأنبياء فلهم وإن عصوهم فعليهم ، وما يضرون الله بشيء وهو الغني عنهم ، فلو كفرت كل الموجودات في هذا الكون لما ضره شيء وهو العالي المتعالي ، وإن عبارة : ﴿ **وَاسْتَغْنَى اللَّهُ** ﴾ عامة شاملة للوجود بأجمعه ، فلا يظن أحد أن تأكيده على طاعة أوامره وتجنب معاصيه ينفعه أو يضره بشيء جل جلاله فهو الغنيّ عن ذلك [٢] لذلك كثر الخطاب للرُسل من قبل أقوامهم بهذا الأسلوب الضعيف قال قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [٣] ، وإنكار مشركي قريش بالذات لنبوة لنبوة النبيّ محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) وحجتهم من إن الله أكبر وأعظم من أن يُرسل بشراً فهلا أرسل مَلَكاً ، فما هي إلا واحدة من الأعذار الواهية للتهرب من التصديق بالأنبياء ،حيث إن نكرانهم لبعث وأرسال الرسول بهيئته البشرية شديد ، و إصرارهم على هذا النوع من البعث بليغ وقوله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ﴾ من أشد أنواع المنع والانصراف .

حيث أخبر بالمنع مبالغة له في الصرف لإن المنع يستحيل معه الفعل، ولكنه لشدة صرفه شبه بالمنع [٤] ، لإنهم يظنون إن الأتصال الغيبي لا يجامع القضايا المادية ، فلو كان حقاً مُرسَل من قبل الله لا يتصرف تصرفات البشر الأعتيادية ، ولا مظهره مظهر البشر العادي ! قال تعالى واصفاً قولهم : ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾[٥] ، لذا فلسان حالهم إن أردنا التسليم للرسالة فلينزل إلينا مَلَك ليكون الوسيط بيننا وبين السماء ، فهم يرون إن البشر لا يحق لهم الأتصال بالغيب وهو مرتبط ومنغمس في ظلمات المادة ولهذا السبب نجدهم يتوسلون بالإله ، ويعبدونهم خصوصاً إن عبادة الملائكة من العبادات الشائعة آنذاك ، ولإن الملائكة مقربة من الآله ، فهي متصلة بالسماء مستحقة للرسالة ، وهي التي يجب أن تتنزل من السماء الى الأرض بنظرهم [٦] .

---

(١) التغابن : ٦.
(٢) ينظر : الكشاف ، للزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٤ /١١٤، الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٩٧/١٩.
(٣) الشعراء : ١٨٦.
(٤) التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) :٦ /٥٢١ .
(٥) المؤمنون : ٢٤ .
(٦) اديان العرب في الجاهلية ، محمد نعمان الجارم : ١١٢، مطبعة السعادة ، ط١، ١٣٤١هـ-١٩٢٣م .

وقد كان الشك يملأ كل كيانهم ، لذا طلب القرآن منهم أن يسألوا ممّن سبقهم من أهل الكتب السماوية السابقة على رسالة محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) ويخبرونهم عن العلم الذي وجِد في كتبهم وطبيعة أنبيائهم الم يكونوا من البشر !؟ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [1] فقد تقرر عند جميعهم إن الله تعالى ما بعث إلَّا رجلاً بشراً يُوحى إليه الى أهل القرى فأرجعوا إليهم لإنه تعالى أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في كل الحوادث ليخرج العربي الجاهلي من تبعية من سبقه من آباءه واجداده حتى لا تكون حجّة له ولا عذر .

ولشبهتهم هذ الباطلة حول بشرية الرسول كان للقرآن رد دامغ وصريح لهم قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا** ﴾ [2] ، قل لو كان في الأرض ملائكة للزم أن يكون المرسَل من السماء مَلَكاً ، لأن الصنف إلى الصنف أميل ، فكيف يرسل مَلَكاً إليهم له صفاته الخاصة التي لا تتصف البشر فيها !؟

ثم إن على القائد الحقيقي أن يكون من جنس المتبوعين حتى يحصل التطابق والتجانس فيما بينهم فكيف يمكن أن يكون الرسول أسوة وقدوة وهو من غير صنف ، فلما كان من جنسهم يملك ما يملكون من الغرائز والأحاسيس وتركيبة البناء الجسمي والروحي هنا يعرف ما في قلوبهم وضمائرهم لإنه منهم ويشعر بهم ويدرك إحتياجهم ومشاكلهم ، حتى يكون قادراً على فهم ما يعانون لكي يعالجه ، لذلك خرج الأنبياء والمرسلون من الطبقة العامة من الشعوب وذاقوا ويلات الحياة ، وهيأوا أنفسهم لمعالجتها وإصلاحها فأصبحوا بعد إذ قادرين على إصلاح غيرهم [3] ، والحقيقة إن رؤية العرب هذه ما هي إلا جهل بحكمة وإرادة الله تعالى وسنته في أرضه وخلقه والرسالات ، فضلاً عن جهلهم بقيمة الإنسان في ميزان أعينهم وإن الله كرّمه وعظمه وجعله خليفته في أرضه وسيداً بين مخلوقاته ، وإن أقرّ بعضهم ببشرية الرسول فأن واحدة من الإعتقادات الخاطئة التي إعتقدوها بحقه هي كيف له أن يأكل مثلهم ، أو أن يتردد في الأسواق قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۞ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا...** ﴾ [4] .

([1]) الانبياء : ٧ .
([2]) الاسراء : ٩٥.
([3]) الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٩ /١٠٧.
([4]) الفرقان : ٧ - ٨ .

وقوله تعالى :﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ** ﴾ [1] ، حسب ما يعتقدون يجب أن يكون مستغنياً عن الأكل ، وكسب العيش ، وشراء ما يحتاجه ، فليس هذه طبيعة الملوك ولا الرُسل لإنهم يعتقدون إن مثل هذه الأمور لا تليق بمُرسَل بل أن يُرسَل بدلاً من ذلك مأموريهم أو مَلَكاً على أقل تقدير، ثم نزلوا الى أقل من ذلك فقالوا : ﴿ **أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ** ﴾ فلا يحتاج الى التحصيل المعاشي ؛ أي غير فقير، وله مكانته عند العرب ومن ساداتها الاثرياء [2] .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [3] ، والقريتين كما رويت في الأخبار هما مكة والطائف [4] .

ومما لا شك فيه إن ظنّ العرب بكون النبيّ المرسل أن يكون ذات صفات معينة ومميزات خاصة به ما هو إلا نتيجة ما سمعوه من أصحاب الديانات السماوية اليهود والنصارى ، خصوصاً أنهم كانوا يشيدون بهذا النبيّ المرتقب ، بل إن واحدة من أهم أسباب هجرتهم إلى شبه الجزيرة هو لإنتظارهم هذا النبيّ المرتقب ، حتى روي عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) إن اليهود كانوا يخبرون العرب وخصوصاً الأوس والخزرج بالنبيّ الخاتم وإن ينتصرون له ، فلما بُعِثَ مِن العرب أنكروا ذلك وقالوا : (ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكره لكم) [5] .

لذلك نزلت الآية :﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [6] ، فضلاً عن حديث أهل الكتاب حول أنبيائهم ، فولدّ لدى العرب هذه الفكرة الخيالية عن طبيعة الرسول ، وفي جانب آخر كانوا يرون إن في رسالة النبيّ محاربة لأطماعهم وطمساً لمصالحهم الدنيوية فجادلوه بنفس المنطق الذي جادل به من سبقوهم من الأقوام السالفة ، فرأوا إن بشرية القادة الربانيين أكبر دليل على بطلان دعوة الأنبياء ،

---

(1) المؤمنون : ٣٣ .
(2) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) :٧/ ٤٧٣ ، الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٨٢/٣.
(3) الزخرف : ٣١ .
(4) سعد السعود ، ابن طاووس (ت:٦٦٤هـ) : ٧٦، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ط١ ، ١٣٦٩هـ -١٩٥٠م .
(5) ينظر : مناقب آل ابي طالب ، ابن شهر آشوب (ت:٥٨٨هـ) : ٤٧/١، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، بحار الانوار ، المجلسي (ت:١١١٠هـ) : ٩ /٦٥ .
(6) البقرة : ٨٩ .

والواقع إنها أكبر دليل على نبوتهم ، حيث خرجوا من أواسط الناس يشعرون بآلامهم وأوجاعهم غير متصفين بصفات مثالية خيالية مختلفة عن جنس البشر .

ثم أنتقل بعدها إلى وجهة نظر أخرى للعرب حول النبوة ، ألا وهي : إن هناك من يعتقد إن النبوة مثلها مثل الكهانة ، والنبيّ أعماله وأفعاله مشابهة لأعمال الكهان ، خصوصاً إن الكهانة كانت من الأمور المنتشرة آنذاك في شبه الجزيرة العربية ، ووظيفة الكاهن الإخبار عن السماء عن طريق تيسير الجن وما إلى ذلك من الطرق ، لذا كانوا يعتمدون عليهم في كثير من مفاصل وأمور حياتهم في فعل أمر ما أو عدم فعله ، فالنبيّ كذلك إذا أمرهم بشيء أو منعهم من فعل شيء ما فيعتدّونه أمراً من الإله تماماً كما تأتي أوامر الإله للكهان [١] ، لذا فإن العرب حين دققوا في النظم القرآني من حيث السجع الرائع والفاصلة القرآنية ظنوه كسجع الكهان ، حيث كانوا يتكلمون بعبارات موهومة تشير الى قضايا غيبية غير مرئية لدى العرب، فوصفوا النبيّ بالكاهن ووصفوا القرآن بأنه ضرب من الكهانة قال تعالى مهوناً على قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ** ﴾ [٢] ، الخطاب في الآية موجه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويطلب منه الله الثبات والمداومة على التذكير ولا يكترث بأقول المشركين فما أنت يا محمد بنعمة ربك بحمد الله وإنعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون [٣] .

إذن فالاتصال بين السماء والأرض لم يكن مستغرباً عند عرب الجاهلية ، بل موضع الإستغراب أن يؤدي هذا العمل رجل منهم يعمل بينهم ، والعجيب إنهم لم يستغربوا هذا العمل من الكهنة الذين إعتزلوا الحياة الدنيا محاطين بالأسرار والألغاز والزهد الظاهر !

أضف الى ذلك إتهامهم للنبيّ بالكذب والسحر والجنون ، وكل هذه التُهم ألصقت بغيره من الأنبياء والتكذيب من أوائل الأسلحة التي إستخدمتها الأقوام لصد أنبيائهم ولا سيما مشركي شبه الجزيرة قال تعالى ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [٤].

([١]) ينظر : تاريخ الفكر الديني الى ايام ابن خلدون ، عمر فروخ (ت:١٤٠٨هـ) : ١٦٠، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٣ م ، النبوة من العقائد الى فلسفة التاريخ ، علي مبروك (ت:١٤٣٧هـ) : ٧٨_٧٩، دار التنوير، بيروت- لبنان ، ط١، ١٩٩٣م .

([٢]) الطور : ٢٩ .

([٣]) ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٨٠/٥ .

([٤]) آل عمران : ١٨٤.

وقد تكرر قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [١] ،الزبر ايّ : الكتب وقد تعود على الصحائف المنزلة على الأنبياء (عليهم السلام) ، والمراد بالبينات هنا المعجزات ، والكتاب المنير التوراة التي نزلت على موسى (عليه السلام)، والإنجيل الذي نزل على عيسى (عليه السلام) ، وغيرهما من الكتب المنزلة قبل بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين فمثلما كذبوا القرآن وكذبوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢] .

كذلك السحر فقد أُتُهم الأنبياء به ، ومنهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولإن الساحر يقوم يتزيف الحقائق وتمويهها أمام أعين الناس كذلك كان ظنهم في الأنبياء (عليهم السلام) ، قال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ [٣] ، **فالأنبياء السابقين عانوا من أقوامهم لإنهم لم يجدوا جواباً منطقياً واتُهموا بمثل ما أتهم به محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)** [٤] ، **وقال تعالى :** ﴿ **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا** ﴾ [٦] .

فضلاً عن وصفه بالجنون – وحاشاه – والشعر وغيرها من الإتهامات الأخرى التي يدفعها الحسد والغيرة والخوف من القتل يمكن مراجعتها [٧] ، وما هذا إلا ديدن كل من شكك في رسالة الأنبياء .

ومن خلال ما سبق يمكن القول : إن الإخبار عن المغيبات كانت حاضرة في البيئة العربية كفكرة ، نتيجة ما سمعوه ممّن جاورهم من أصحاب الديانات الأخرى وما ألفوه من خلال رحلاتهم التجارية وغيرها عن حقيقة النبوة ، إلا إن طبيعة البدوي وما يعرف عنه من صعوبة الإنقياد بالنسبة للشعور الديني مقارنة بالإنقياد نحو الكرامة الفردية والقبلية جعلته يختلق الأقاويل المختلفة لإجل عدم الإنصياع وراء رجل مثله يطلب منه الطاعة المطلقة وهدم كثير ممّا كان يعتقده ويألفه من عادات منذ نعومة أظفاره ، وتوارثوها

---

(١) فاطر :٢٥ .
(٢) ينظر : مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري (ت:١٣٥٣هـ) : ٤٨/٩ ، الحيدري ، طهران-إيران ، ١٣٣٧ش ، الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٢٨٨/٦.
(٣) الذاريات : ٥٢ .
(٤) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٩٧/١٧.
(٥) الاسراء : ٤٧ .
(٦) الاسراء : ١٠١ .
(٧) ينظر : المرويات الشيعية في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، علاء حسن علون اطروحة دكتوراه ،كلية الآداب ، جامعة البصرة : ٧٥-٧٧ .

جيلاً بعد جيل ، فيجد نفسه أمام مفترق طرق إمّا الانقياد وراء رجل مثله وهذا ما يستصغره ويستنكفه، أو عدم الإنقياد ومن ثم تأليف الحجج المختلفة لتخلفه عن إتباع الرسول.

أمّا الفئة الثالثة : وهي الفئة المؤمنة بالأنبياء وحقيقة النبوة وتكون نتيجة تواجد المؤمنين من اليهود والنصارى في شبه الجزيرة العربية وبالأخص في اليمن ويثرب ودومة الجندل ، وغيرها الكثير من المناطق وهذا بدوره أسهم في دخول العديد من القبائل الى الديانة اليهودية كالأوس والخزرج والمسيحية كبني اسد [١] ، فضلاً عن الموحدين من أتباع الديانة الابراهيمية ، فكانوا يؤمنون بكل الأنبياء وعلى راسهم إبراهيم (عليه السلام) مؤمنين بكل ما جاءوا به من تعاليم سامية الى البشر ، والأدلة العقلية والمادية تشهد بهذه المعرفة وهذا يقودنا الى وضع اليد على أول المصادر التي إعتمدها العرب في معانيهم الدينية ألا وهي شعراء العصر الجاهلي كأمية بن ابي الصلت [٢] ، مثلاً تجده يتحدث في ابياته الشعرية عن الأنبياء ، حيث يتحدث في ابيات لنبي الله نوح (عليه السلام) يقول فيها :

جزى الله الأجل المرء نوحاً جزاء الخير ليس له كِذابُ

بما حملت سفينته وانجبت غداه اتاهم الموت القلابُ [٣]

كما كتب أبيات أخرى حول الأنبياء الله مثل إبراهيم ولوط وذكر داود وذو القرنيين وغيرهم وهذا يدل إن وجود مثل هكذا أشعار دينية حول الأنبياء الى وجود إتصال بالمؤمنين ممّن سبقهم وإمتداد الأخبار والمعلومات منهم الى العرب حول الرُسُل والانبياء وما جرى عليه من أحداث ، وقد قصّهم القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ [٤] .

وفي الختام يجب القول : إن على كل عاقل أن يعلن إن قيام دين في الأرض لا يمكن إلا من خلال الوسائط وهي الرُسل ، لولاهم لما عُبِد الله وما عُرفت صفاته وأسماؤه ولمّا كانت له شرائع في الأرض فيجب الإيمان بهم وإجلالهم وتصديقهم كونهم بشراً خرجوا من رحم المعاناة البشرية إلا أنهم يملكون أرواحاً أسمى روضوها ودربوها حتى أصبحوا خلائف في الأرض إختصهم الله بوحيه وجعلهم الوسيلة بينه وبين

---

(١) ينظر : تاريخ اليعقوبي ، احمد بن اسحاق اليعقوبي (ت:٢٨٤هـ) : ٢٥٧ ، دار صادر ، بيروت – لبنان .

(٢) هو عبد الله بن ربيعة بن عوف وهو شاعر جاهلي كان يتعبد فى الجاهلية، وينشد فى أبياته الشعر المليح، ولكن أدرك الإسلام ولم يسلم ، ينظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ابو زكريا النووي (ت:٦٧٦هـ) : ١٢٦/١ ، تح : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ، أمية بن أبي الصلت (ت:٥هـ) : ١٨، الطبعة الوطنية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٥٢ه- ١٩٣٤م ، مرجعيات القصص الديني في شعر أمية بن ابي الصلت ، ختام سلمان : ١١٨- ١٢٠ .

(٤) النساء : ١٦٤ .

عباده فلا يحق لأحد إن يشكك بهم أو يقلل من قيمتهم أو إنكارهم وإنكار معجزاتهم ، لإنهم بذلك ينكرون أصلاً من أهم الأصول الأعتقادية .

المطلب الثاني : معالجة عدم الإيمان بالنبوة

تعد قضية النبوة من الركائز الأساسية في الأديان السماوية كافة ، لإنها السبيل الذي يُعَّرف الله عباده عن نفسه ، وشريعته التي تحكم بينهم بالحق ، ويكون عن طريق إصطفاء بعض البشر المؤهلين لقيادة هذه المهمة ، فيوحى إليهم للتبليغ ، فالأحكام التي يقضيها النبيّ ، والأخبار التي يرويها ما هي ، إلا من عند الله وكون الإسلام ديناً سماوياً ، كباقي الأديان السابقة له يستمد قوته ، وعقائده ، وقوانينه من وحي السماء والدين الصحيح لا يمكن أن ينتشر بدون رسول أو نبيّ يتلقى شرعة الله ، وتعاليمه ، ثم يُعلمها لبقية البشر ولهذا ظهرت الإتجاهات المعادية للأديان ، والتي كشفت وجهها في عداء الأنبياء ، والتقليل من شأنهم والتشكيك في مسألة النبوة منذ بداية تاريخ الإنسانية وأستمرت حتى عصر نبوة الخاتم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا أن التشكيك به وبغيره ممّن سبقه من الأنبياء والرُسل (عليهم السلام) دُحِض بنصوص القرآن الكريم كونه كتاب حق أُنزل من السماء يحمل في طياته الإجابات الصريحة والواضحة لكل الشبهات والتُهم التي أُثيرت حولهم منذ عهد آدم (عليه السلام) إلى عهد نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالشبهات الموجهة إليهم متشابهة ، إذ رد عليها رداً عقلانياً أخمد فيها نيران الظن والأقاويل الباطلة عن طريق عدة إجابات منها :

أولاً : تأكيد بشرية الأنبياء وتعزيزهم بالعصمة والوحي .

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون الأنبياء والمرسلون من جنس البشر لغاية هو أعرف بها ، كونه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وقد أكدّ على هذه الحقيقة في آيات عديدة وفي التأكيد ردٌ على ما أتُهم به الأنبياء (عليه السلام) ، وفي البداية جاء الخطاب عاماً لبني آدم حيث قال: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[1] إذ أكد سبحانه أنه أرسل رُسلاً من البشر بقوله : ﴿ **رُسُلٌ مِّنكُمْ** ﴾ أي : من جنسكم يقصون آيات الله على

(1) الاعراف : ٣٥.

الناس ، أيّ : يعرضونها عليكم ، ويخبرونكم بها ، فمن اتقى وصدق بالرسل ، وأصلح عمله ، وقيل فمن اتقى وأجتنب و المعاصي فلا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة [١] .

كما دلت آيات أخرى على حقيقة بشرية كافة الأنبياء قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [٢] ، والخطاب هنا موجه إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما أعترض عليه المشركون ، فيخبره تعالى أنه أرسل رجالاً قبله وتعرضوا بمثل ما تعرضت له ، وفي العيون عن الرضا (عليه السلام) وما أرسلنا من قبلك يعني إلى الخلق ، إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة أو حكاما وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات ، فيحذروا تكذيبك ومن المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فينقلعوا عن حبها ويزهدوا فيها ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون [٣] ، وفي مواضع اخرى قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [٦] ، وقال ايضاً حاكياً عن السيد المسيح : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ [٧]، فالأنبياء رجال من البشر كما صرحت الآيات أعلاه يعيشون بين الناس في القرى والمدن ، وهذا ما أخبرهم به الرسول الكريم ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [٨] ، فهم يتشابهون مع البشر الإعتيادية من حيث طبيعة الجسم ، ويتزوجون وينجبون الأبناء قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [٩] ، حتى أنهم غير مخلدين ، ويصيبهم ما يصيب الناس جميعاً ، ويحل على جسدهم الفناء ،لإن الخلود والبقاء لله وحده وكل شيء دونه زائل فانٍ ، حتى

---

(١) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٤٨/٤.
(٢) يوسف : ١٠٩ .
(٣) ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٥٤/٣.
(٤) النحل : ٤٣.
(٥) الانبياء : ٧.
(٦) المؤمنون : ٣٢.
(٧) المائدة : ٧٥.
(٨) الكهف : ١١٠ .
(٩) الرعد : ٣٨.

رسله المبشرين قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [١] ، وقال في موضع آخر : ﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [٢] .

ويمكن القول أن الله أراد من جميع رسله أن يقدموا رسالته عن طريق أنفسهم ذاتها المشابهة للناس لا عن طريق خصائص ، وصفات ترفع بالإنسان عن الإمكانات الطبيعية ، ولهذا نجد القرآن يخبر الرسول الكريم عن طبيعة الأنبياء والرُسل السابقين ، وما كان يؤول إليه حالهم في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴾ [٣] ، وهذا ردٌ على من ذمه في أكل الطعام والسير في الأطراف [٤] ، فمن الناحية الناحية المادية الجسدية لا خلاف بين النبي وغيره ، ولكن الإختلاف يكمن في الخصوصية والقابلية والإستعداد لتحمل رسالة الله ، فالمعروف أن البشر متفاوتون في القابليات لتحمل فيض الله وعطاءه ، رغم أن عطاء الله واحد ﴿ **وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [٥] ، ومن تتوفر فيه الشروط ، والأسباب كان كان جديراً بحمل الرسالة ، وكما جاء في حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي [٦] : ((إنّ هذهِ القُلُوب أوعِيَة فخَيرُها أوعَاهَا)) [٧] .

وهذا خطاب عامة الرُسل قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [٨] .

ومعناه : إننا مثلكم في الصورة والهيأة ، كما قُلتم لا ننكر ذلك ، ولكن الله سبحانه يمّن ويتفضّل على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة ، وفيه أيضاً دليل على أن النبوة أمر وهبي لا كسبي كما يزعمه بعض

---

(١) الزمر : ٣٠ .
(٢) الاعراف ١٨٨.
(٣) الفرقان : ٢٠ .
(٤) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٦٢/١١.
(٥) الاسراء : ٢٠ .
(٦) هو : احد الصحابة المقربين للنبي وعلي (عليهم السلام) قضى شهيداً على يد الحجاج سنة (٨٢هـ) ، ينظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني (ت:٧٧٧هـ) : ٤٨٥/٥_٤٨٦، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
(٧) نهج البلاغة ، الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ) : ١٦٤، قصار الحكم ، حكمة : ١٤٧، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم _إيران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
(٨) ابراهيم : ١١.

الفلاسفة والحكماء [١] ، فأن الله يختار من يشاء من عباده من يكون أهلاً لحمل الدين ، ورسالة التوحيد قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [٢] ، والقرآن المكي والمدني يصرح بهذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [٣] ، كما أن طبيعة النفس ، ومزاجها لا بد وأن تكون مستعدة لقبول مثل هكذا عقل يدير أمة كاملة ، وهذا ما أكده الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) : ((كَمَا أَن نوع الانسان تميز عَن سَائِر الْحَيَوَانَات بِنَفس ناطقة هِيَ فَوْقهَا بالفضيلة الْعَقْلِيَّة والمسخرة لَهَا والمالكة عَلَيْهَا والمتصرفة فِيهَا كَذَلِك نفوس الانبياء عَلَيْهِم السَّلَام تميزت عَن نفوس النَّاس بعقل هاد مهْدي هُوَ فَوق الْعُقُول كلهَا بالفضيلة الربانية الْمُدبرَة لَهَا والمالكة عَلَيْهَا والمتصرفة فِيهَا وكما أَن حركات الانسان معجزات الْحَيَوَان فَلَيْسَ حَيَوَان يَتَحَرَّك مثل حركته الفكرية والقولية والفعلية كَذَلِك جَمِيع حركات النَّبِي معجزات للإنسان فَلَيْسَ انسان يَتَحَرَّك مثل حركته الفكرية والقولية والفعلية وكما تميز النَّبِي عَن النَّاس بعقله الْمُنَاسب للعقول الْمُفَارقَة وَالْعقل الأول كَذَلِك تميز بِنَفسِهِ المشاكلة لنفوس السَّمَاوَات وَالنَّفس الفلكية وَكَذَلِكَ تميز بطبعه ومزاجه المستعد لقبُول مثل هَذَا الْعقل وَالنَّفس بِالْفِعْلِ وكما لَا يتَصَوَّر فِي سنة الْفطْرَة الإلهية أَن يكون من نُطْفَة كل حَيَوَان انسان كَذَلِك لَا يتَصَوَّر فِي سنة الْفطْرَة أَن يكون من نُطْفَة كل انسان نَبِي الله يخلق مَا يَشَاء ويجتبي ﴿ الله يصطفي من الْمَلَائِكَة رسلًا وَمن النَّاس﴾ فَهُوَ الْمُخْتَار فِي طبعه ومزاجه الْمُصْطَفى بِنَفسِهِ وعقله لَا يُشَارِكهُ فِيهَا أحد من النَّاس)) [٤] ، ولهذا فأن طبائع الأنبياء تأتي في أعلى دراجات طبائع الإنسانية ، فهي فوق المستوى الذي يدركه ويألفه الناس [٥] قال تعالى ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [٦] .

.

([١]) ينظر : المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، حيدر الآملي (ت:٧٨٢هـ) :٤٧/٣ ، تح : محسن الموسوي التبريزي ، مؤسسه فرهنگی و نشر نور علي نور ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، فتح البيان في مقاصد القران ، محمد صديق خان (ت:١٣٠٧هـ) : ٩٣/٧، تح : عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة ، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

([٢]) الحج : ٧٥ .

([٣]) الجمعة : ٢ .

([٤]) ينظر : معارج القدس في مدراج معرفة النفس : ١٣١_١٣٢ ، آفاق الجديدة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٥م .

([٥]) ينظر : النبي في القرآن الكريم ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (ت:٤١٦هـ) : ٩، دار الفاروق ، القاهرة – مصر ، ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

([٦]) القصص : ٦٨.

كذلك العصمة التي ميزهم الله بها عن غيرهم من البشر ، والعصمة لغة : أصل صحيح يدل على الإمساك والمنع [١] ، ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [٢] وتُعرف العِصمة إصطلاحاً : (هو لطف يفعله الله بالمكلف ، بحيث يمنع منه وقوع معصية وترك الطاعة مع قدرته عليها) [٣] ، والأنبياء بأجمعهم معصومون قبل النبوة وبعدها [٤] ، والقرآن الكريم الكريم طرح مسألة العصمة في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [٥] والحديث وإن كان حول القرآن الكريم ، لكن الإختلاف في الموصوف لا يضر كون القرآن مبدأ لفكرة العِصمة ، وجاء نص آخر قوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ [٦] ، قَالَ الْجُبَّائِي: ((هَذِه الْآيَةُ تَدل عَلَى أَنه لَا يخلو زمان الْبَتَّةَ عمَّن يقوم بِالْحق ويعمل به ويهدي إِلَيهِ وأَنَّهم لَا يجتمعونَ في شيءٍ من الْأَزمِنة علَى الباطل...)) [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [٨] ، والإصطفاء من الصفوة ، وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي ، وذلك أن الصافي هو النقي من شوائب الكدر فيما يشاهد ، فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأدناس [٩] ، فلا بد من وجود وجود الصافي من البشر وهو المعصوم في كل زمن لا تخلوا الأرض منهم ، وجاء في إثبات عصمة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴾ [١٠] ، والمراد بالصاحب هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد نفى عنه الضلالة والغواية ، والمعنى : ما خرج صاحبكم عن الطريق المؤدي إلى الغاية المطلوبة ،ولا أخطأ في إعتقاده ورأيه ، ويرجع المعنى إلى أنه لم يخطئ لا في الغاية المطلوبة التي هي السعادة الإنسانية وهو عبوديته تعالى ، ولا في طريقها التي تنتهي إليها [١١] .

---

(١) ينظر : مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٣٣١/٤ مادة (عصم) .
(٢) هود : ٤٣.
(٣) ينظر : النكت الاعتقادية ، المفيد (ت:٤١٣هـ) : ٣٧ .
(٤) ينظر : اوائل المقالات ، المفيد (ت:٤١٣هـ) : ٦٢، دار المفيد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
(٥) فصلت : ٤٢.
(٦) الأعراف :١٨١ .
(٧) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٤١٨/١٥.
(٨) آل عمران : ٣٣.
(٩) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٧٧/٢.
(١٠) النجم :١-٢ .
(١١) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٧/١٩.

كما أن الوحي الذي عزز الله به أنبياءه كان سبباً في إختلافهم الروحي عن البشر ، كون المؤهلات الباطنية للنبيّ مستعدة لتلقي الوحي ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [٢] .

فأن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم أن يؤكد بشريته للناس بكل ما تحمله البشرية من خصائصها الذاتية ، وما تتعرض لها من أعراض .

والوحي لغة : أصل واحد يدل على إلقاء علم في إخفاء ، وقيل : الاشارة ، وقيل : الكتابة والرسالة ، وكل شيء ألقيته إلى غيرك ، فعلمه هو وحي [٣] ، إصطلاحاً : هو (أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر) [٤]

ويكون للوحي طرقٌ متعددة يبعثها الله كي ينقل رسالته ذكرها في كتابه العزيز : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [٥] ، وقد ذكر سبحانه في الآية التي نحن بصددها ثلاثة أوجه لتكليم الأنبياء والرُسل ، وكيفية اتصاله بهم : الأول إلقاء المعنى في قلب النبي مباشرة ومن غير واسطة ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ إلا وحيا ﴾ ، والثاني أن يخلق اللَّه الكلام كما يخلق غيره من الكائنات ، فيسمعه النبي لا بواسطة رسول من اللَّه بل من وراء حجاب أي ان النبي يسمع الكلام ولا يرى المتكلم ، وهذا هو المقصود من قوله تعالى :

﴿**وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً** ﴾ [٦] .

---

(١) فصلت : ٦ .
(٢) الكهف : ١١٠ .
(٣) ينظر : مقايس اللغة و ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٩٣/٦ مادة (وحى) .
(٤) ينظر : مناهل العرفان في علوم القران ، محمد عبد العظيم الزُرْقاني (١٣٦٧هـ) : ٦٣/١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط٣ .
(٥) الشورى : ٥١.
(٦) النساء :١٦٤.

أمّا الوجه الثالث أن يرسل سبحانه إلى رسوله ملكاً يبلغه رسالات ربه[١] ، فالأرض لا تخلو من حجّة ونبيّ والأنبياء المرسلون جميعهم أوحى إليهم كما اخبر الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [٤] ، إن (المراد بالهوى هوى النفس ورأيها ، والنطق وإن كان مطلقا ورد عليه النفي (ما) وكان مقتضاه نفي الهوى عن مطلق نطقه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لكنه لما كان خطاباً للمشركين وهم يرمونه في دعوته وما يتلو عليهم من القرآن بأنه كاذب متقول مفتر على الله سبحانه كان المراد بقرينة المقام أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما ينطق فيما يدعوكم إلى الله أو فيما يتلوه عليكم من القرآن عن هوى نفسه ورأيه بل ليس ذلك ، إلا وحياً يوحى إليه من لدن الله تعالى) [٥] .

ويذكر أحد الباحثين في أهمية الوحي وتعزيز النبيّ به في قوله : ((ان العقل المجرد قد يصل إلى وجود الله ووحدانيته ... ، لكنه يظل عاجزاً عن فهم أوامره ونواهيه ومقاصدهما ، وهذا بحد ذاته دليل عقلي على أن البشرية مضطرة إلى إدراك ذلك عن طريق الوحي بوساطة الرُسل والأنبياء المصطفين من البشر المعصومين من الزلل والخطأ)) [٦] .

ثانياً – ضرورة بشرية الأنبياء .

حتى تُحقق الغاية المرجوة من خلق البشر ، لا بد أن يكون حامل قوانين السماء من جنس المُرسل إليهم وذلك لأسباب عديدة منها أن يشعر بما يشعرون من شعور الخوف ، والألم ، والحزن ، واليأس ، وغيرها من المشاعر ، والأحاسيس ، والأنفعالات ، كما يعلم أين تكمن قوة الإنسان ونقاط ضعفه أضف إلى

---

(١) ينظر : الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٥٣٤/٦.
(٢) الانبياء : ٢٥.
(٣) النساء : ١٦٣.
(٤) النجم : ٣-٤ .
(٥) الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٧/١٩.
(٦) المحاججة العقلية في برهنة حقائق القران ، الدكتور آماد كاظم البرواري : ١١١، مؤسسة السبيل .

سهولة الاقتداء به في أفعاله ، والإنتفاع بالأخذ منه [١] ، كما أن إرسال مَلَك إلى بشر مجبولين على طبائع معينة وبقائه معهم يكون أشبه بإخراجه من حالته الطبيعية ، وهو منافٍ للحكمة التي يُرسل من أجلها ، ثم إن لغة الخطاب هي واحدة من أهم وسائل إيصال الرسالة ، والقوانين السماوية التي يريدها الله ، وهذا لا يمكن أن يتم إلا من خلال شخص بشري يتحدث لغة القوم المُرسل إليهم ، حتى تتحقق الغاية من الإرسال ، ولذلك أرسل سبحانه رُسلًا بشراً يتحدثون لغة اقوامهم قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [٢] ، ليفهموا دعوته ويعوا رسالته ويقيم الحجّة عليهم ، فيضل من أختار طريق الضلال وكذب الأنبياء ، ويهدي من أختار طريق الهداية [٣] ، وقد عبّر عن القرآن باللغة بالعربية ، وعن التوراة بالعبرية وعن الإنجيل بالسريانية فالمعنى واحد وإن اختلفت العبارات [٤] وحتى لا يكون هناك مجال للحجج الواهية من قبل صعوبة الإنقياد وراء مَلَك لو كان المُرسل مَلَكاً ، فأراد القرآن دحضّ الحجج وإسقاطها ، فيخبرهم الله تعالى حتى وإن أنزل مَلَكاً ، فإنه سينزله على هيئة رجل مثلهم قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۞ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ [٥] واللبس من الإشتباه وجعل الأمر مختلطاً ، فلو أرسلناه على هيئة الرجل سيعتقدون إننا خلطنا الأمر الأمر على الناس ، وأدخلناهم في الاشتباه وبذلك يعودون إلى نقطة الصفر ، والدخول في الإشكالات الأولى ، مثل ما يوقعون الجهلة من الناس في الإشتباه ، ويخلطون عليهم وجه الحقيقة [٦] ، ثم إن الله لو لو أنزل عليهم المَلَك مثلما يريدون لحق عليهم العذاب الفوري ، لإنه سبحانه لا ينزل الملك إلا في اللّحظات الأخيرة بعد إستعمال كل طرق المجادلة لأجل تغير عقيدتهم الفاسدة ، فمن رحمة الله عليهم أنه أرسل إليهم رسولاً من البشر ، ثم إن الملائكة لهم صفاتهم الخاصة ، والتي تميزهم عن غيرهم من المخلوقات ، فلو تعاملوا معها على هيئتها الحقيقية لخافوا ولزهقت أرواحهم من شدة ما يشاهدونه لإن

---

(١) ينظر : ردود القران على ذوي الجحود والانكار ، الدكتور احمد الجزائري : ٥٣، دار الحرمين ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

(٢) ابراهيم : ٤ .

(٣) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) :٨٠/١٣.

(٤) ينظر : إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، الشيخ عبد السلام اللقاني المالكي (ت:١٠٧٨هـ) : ١٠١، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٢ ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

(٥) الانعام : ٨ – ٩ .

(٦) ينظر : النبوة والانبياء ، محمد علي الصابوني (ت:١٤٤٢هـ) : ٢٢، مكتبة الغزالي ، دمشق – سوريا ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

رؤية المَلَك بصورته الحقيقية تؤدي إلى زوال العقل نتيجة الخوف الشديد [١] ، وهذا بسبب ضعف القوى البشرية ، كما إن الإتصال مع الملائكة في غاية الصعوبة ، فكان من اللازم أرسال رسول بشري حتى يتمكنوا من رؤيته ، أو سماع كلامه ، وفهمه ، وبالتالي الأخذ منه [٢] ، ثم يردهم القرآن بأنهم لو كانوا ملائكة مطمئنة تمشي في الأرض لأنزل عليهم مَلَكاً مثلما يريدون من جنسهم قال تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۞ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا** ﴾ [٣] .

ويذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) في تفسيره ((بأن العناية الإلهية قد تعلقت بهداية أهل الأرض ولا يكون ذلك إلا بوحي سماوي لا من عند أنفسهم فالبشر القاطنون في الأرض لا غنى لهم عن وحي سماوي بنزول ملك رسول إليهم ويختص بذلك نبيهم ، وهذه خاصة الحياة الأرضية والعيشة المادية المفتقرة إلى هداية إلهية لا سبيل إليها إلا بنزول الوحي من السماء حتى لو أن طائفة من الملائكة سكنوا الأرض وأخذوا يعيشون عيشة أرضية مادية لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا كما ننزل على البشر ملكا رسولا والعناية في الآية الكريمة . كما ترى – متعلقة بجهتين إحداهما كون الحياة أرضية مادية والاخرى كون الهداية الواجبة بالعناية الإلهية بوحي نازل من السماء برسالة ملك من الملائكة ، والامر على ذلك فهاتان الجهتان أعني كون حياة النوع أرضية مادية ووجوب هدايتهم بواسطة سماوية وملك علوي هما المقدمتان الأصليتان في البرهان على وجود الرسالة ولزومها)) [٤] ، وقد سجل القرآن الكريم التناقض في في أقوالهم ، ففي جانب يقولون : إن الأنبياء بشر مرسلون ، وفي جانب آخر ينكرون وجود نبي مُرسل من البشر يهديهم ، كما جاء في آيات عديدة قال تعالى : ﴿ **قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ** ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [٦] ، وقال تعالى : ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ [٧] .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٤٨٦/١٢.
(٢) ينظر : الرسل والرسالات ، عمر بن سليمان الاشقر (ت:١٤٣٣هـ) : ٧٢، دار النفائس ، الكويت ، ط٤ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
(٣) الاسراء : ٩٤ – ٩٥ .
(٤) الميزان : ٢٠٥/١٣ .
(٥) يس : ١٥ .
(٦) الشعراء : ١٥٤.
(٧) هود : ٢٧ .

وقوله تعالى : ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ [١] وفي موضع آخر قال : ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾ [٢] ، إن هذه أقوال الأقوام جميعاً من نوح (عليه السلام) إلى سيدنا ونبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا التناقض في الأقوال علامة واضحة كالنار في الهشيم على الضلال والتيه ، وهو ديدن كل من لم يستند على دليل صحيح يجعله حجّة على كلامه ، فنجد إن كلامهم متخبط ، إذ تصف ألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وتصر قلوبهم على اللّجاجة ، والمعاندة على طغيانهم وغيّهم.

ثالثاً – حاجة البشر إلى قادة إلآهيين .

من لوازم الرسالة السماوية بعث قائد آلهي من البشر يوضح الخارطة العملية لأصل الخلق هذا من جانب وفي آخر تجسيد هذه الخارطة أمام أعين الناس قال تعالى : ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [٣] ، فلو تُرك الناس دون قائد لعمّ الفساد ، ولسادت الفوضى أرجاء الأرض ، ولأصبحت الناس تأكل بعضها بعضاً ، حيث تدفعها نفوسها إلى ذلك ، كما أن وجود الإختلاف بين الناس في أفكارهم ، ومعتقداتهم يؤدي إلى التصادم بينهم ، فكان ولا بد من وجود قائد مصلح يبين الحُكم الحق ويفصل بينهم ، وهذا القائد يجب أن يكون أميناً ومعصوماً من الأخطاء والأوهام ، كما يكون بريء من كل مساومة أو طمع ، لا تغلب عليه الشهوات ، ولا تؤثر فيه النزاعات ، ولا يصدر حُكماً من معلوماته الخاصة ، أو تجاربه الشخصية [٤] ، فمن موجبات الحكمة وجود عدل يفرض شرعا يجري بين النوع ، بحيث ينقاد كل واحد إلى أمره وينتهي عند زجره [٥] .

([١]) ابراهيم : ١٠ .
([٢]) المؤمنون : ٢٤ .
([٣]) البقرة : ٢١٣.
([٤]) ينظر : النبوة والانبياء في ضوء القران الكريم ، ابو الحسن علي الندوي (ت:١٤٢٠هـ) : ٨٢، الدار السعودية للنشر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٣٨٧هـ .
([٥]) ينظر : النافع يوم الحشر ، المقداد السيوري (ت:٨٢٦هـ) :٨٢، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ - ١٩٩٦م.

وفي هذا الصدد يقول الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) : ((إن نوع الانسان مُحْتَاج الى اجْتِمَاع على صَلَاح فِي حركاته الاختيارية ومعاملاته المصلحية وَلَوْلَا ذَلِك الِاجْتِمَاع مَا بَقِي شخصه وَلَا انحفظ نَوعه وَلَا احترس مَاله وحريمه وَكَيْفِيَّة ذَلِك الِاجْتِمَاع تسمى مِلَّة وَشَرِيعَة)) [١] ، ولذلك لا بد من وجود قائد بينهم يحرك فيهم الضمير والعقل ويبين ما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات ، فيعرف كل شخص طريقه ، ويتساوى مع أخيه ، كونهم يعيشون في مجتمع واحد ، فأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا في من خلال المشاركة في مجتمع ما ، ولا تتم المشاركة ، إلا بمعاملة ولابد للمعاملة من سنّة ، وعدل أيّ : قانون وشريعة ، والنبيّ وحده هو الذي يبين للناس بأمر الله وأذنه ووحيه ويخاطب الناس ويلزمهم السنّة والعدل لإن حياة الإنسان بين الجماعة تقتضي وجود نبيّ ، وهذا من غير المعقول أن يترك الناس ، وشأنهم في المشاركة وحدهم ، كونهم يختلفون في معايير العدل والظلم ، فيرى كُل إنسان ما له عدلاً وما عليه ظلماً فالواجب يحتّم وجود نبيّ ، ومن الضروري أن يكون إنساناً ، وأن تكون له خصوصية ليست كسائر الناس حتى يشعر الناس فيه أمراً لا يوجد له ، فيتميز به عنهم [٢] ، فضلاً عن ذلك تزكية النفوس ، والتخلص من براثن الفسق والفساد قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [٣] ، والمنّ النعمة ايّ : لقد أنعم الله في تخصيصه للمؤمنين بذكر هذه النعمة وإن كانت نعمة على جميع المكلفين لإنها على المؤمنين أعظم منها على الكافرين ،لإنها نعمة عليهم من حيث هي نفع في نفسها وقوله : ﴿ **من أنفسهم** ﴾ فيه ثلاثة أقوال : الأول – من أنفسهم ليكون ذلك شرفا لهم ، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الإيمان ، والثاني – المراد من أنفسهم ، سهولة تعلم الحكمة عليهم ، لأنه بلسانه ، والثالث – من أنفسهم ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة [٤] ، ويعلم آيات الكتاب وأحكامه ويزكيهم والمراد من التزكية تطهير القلوب من الرذائل وإنماء الفضائل والمعروف في علم الأخلاق باسم التربية [٥] ، حتى عُد إن حاجة الناس إلى شريعة ومشرعاً اكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب يقول ابن القيم القيم (ت: ٧٥١هـ) : ((إنّ حَاجَة النَّاس إِلَى الشَّرِيعَة ضَرُورِيَّة فَوق حَاجتهم إِلَى كل شَيْء...، لِأَن غَايَة مَا يقدر فِي عدم التنفس وَالطَّعَام وَالشرَاب موت الْبدن وتعطل الرّوح عَنهُ وَأما مَا يقدر عِنْد عدم الشَّرِيعَة

---

(١) معارج القدس في مدراج معرفة النفس : ١٣٣.
(٢) ينظر : الشفاء ، ابن سينا (ت:٤٢٧هـ) : ٤٤١/٢، تح : الاب قنواتي وسعيد رايد .
(٣) ال عمران : ١٦٤.
(٤) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٣٩/٣.
(٥) ينظر : عصمة الأنبياء في القران الكريم ، جعفر السبحاني : ٥٣، مؤسسة الامام الصادق (ع) ، ط٣ ، ١٤٢٥هـ .

ففساد الرّوح وَالْقلب جملَة وهلاك الْأَبدَان وشتان بَين هَذَا وهلاك الْبدن بِالْمَوْتِ فَلَيْسَ النَّاس قطّ إِلَى شَيْء أحْوج مِنْهُم إِلَى معرفَة مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول وَالْقِيَام بِهِ والدعوة إِلَيْهِ وَالصَّبْر عَلَيْهِ وَجِهَاد من خرج عَنهُ حَتَّى يرجع إِلَيْهِ وَلَيْسَ للْعَالم صَلَاح بِدُونِ ذَلِك الْبَتَّةَ وَلَا سَبِيل إِلَى الْوُصُول إِلَى السَّعَادَة والفوز الْأَكْبَر إِلَّا بالعبور على هَذَا الْجِسْم)) [١] .

ومن خلال ما سبق نبيّن إن حاجة البشر إلى قادة ضرورة من الضروريات بأعتبار الأنبياء رواداً يؤخذ منهم مناهج الحياة الصحيحة الإجتماعية والشخصية ، ولا سيما النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي يُعد النبراس الأعلى ، والبشري المصطفى على سائر البشر بإتفاق الأعداء والأولياء ، وإن سننه وحركاته هي أفضل نموذج للإقتداء وأكمل مرشد للسلوك والاتباع وأحكم دستور وأعظم قانون يمكن أن يتخذه أساساً في تنظيم حياته [٢] .

رابعاً – الأنبياء بشر مختارون من قبل الله .

المعروف أن الممّثل عن شيء لا بد وأن يتصف بصفات كاملة تعكس صورة جيدة عن من أرسله كونه ناقل رسالة لا سيما أن تكون الرسالة صادرة من السماء ، والناقل ممثلاً عن الله هنا لا بد وأن يتصف بكافة الصفات المثالية ، حيث أن الله أختارهم من بين جموع البشر لما يحملوه من ميزات قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [٣] [٣] ، استئناف للرّدّ عليهم بأنّ النبوة ليست بالنسب ولا بالمال ، وإنّما هي بفضائل نفسانيّة يخص اللّه بها من يشاء من عباده ، فيجتبي لرسالته من عَلِم أنّه يصلح لحملها ، وهو – تعالى – أعلم بالمكان الّذي فيه يضعها [٤] .

وقوله تعالى ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [٥] ، وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ**

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) : ٢/٢، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
(٢) ينظر : النبوة وضرورتها للإنسانية ، خديجة النبراوي : ٦٢ .
(٣) الانعام : ١٢٤.
(٤) ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ١٥٤/٢.
(٥) ال عمران : ١٧٩.

الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١] ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾** [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾** [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [٤] ، والإصطفاء : الأختيار والإجتباء ، والصافي هو النقي من الكدر ، إذ مثّل الله خلوص الأنبياء من الفساد ، كالخلوص من شوائب الأدناس [٥] ، حتى قيل : ((فَإِنَّهُ لَا يُنْزِلُهَا إِلَّا عَلَى أَزْكَى الْخَلْقِ قَلْبًا وَنَفْسًا. وَأَشْرَفِهِمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرِهِمْ أصلا)) [٦] ،

كما يملكون من القوة والإرادة ما يجعلهم أهلاً لحمل المسؤولية قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾** [٧] .

وهذا ما يميزهم عن غيرهم يقول الغزالي : (ت: ٥٠٥هـ) ((فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا ؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم...، فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة)) [٨] ، وفي هذه الآيات دحضّ لجميع التُهم التي وجهت إلى الأنبياء والرُسل من قبيل إتهامهم بالسحر والجنون ، والكهانة ، وغيرها من الصفات السيئة والمرفوضة عند البشر السوية بصورة عامة ، إلا إن الحقد والحسد والغيرة التي أعمت قلوبهم كانت هي الدافع للاعتراض على النبوة لاسيما نبوة الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) رغم معرفتهم به منذ صغره بصدقه وأمانته حتى كانوا يلقبونه بـ (الصادق الأمين) ، فسلوكه وسيرته العطرة لا غبار عليها ، وحكمته وفطنته ، ورجاحة عقله لا يضاهيها أحد حتى قيل عنه : ((اعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَاهَدَ أَحْوَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْغَى إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَعَادَاتِهِ وَسَجَايَاهُ وَسِيَاسَتِهِ لِأَصْنَافِ الْخَلْقِ وَهِدَايَتِهِ إِلَى ضَبْطِهِمْ وَتَأَلُّفِهِ أَصْنَافَ الْخَلْقِ وَقَوْدِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ مَعَ مَا يحكى من عَجَائِبِ أَجْوِبَتِهِ فِي مَضَايِقِ

---

(١) القصص : ٦٨.
(٢) الدخان : ٣٢ .
(٣) ص : ٤٧.
(٤) ال عمران ٣٣ – ٣٤ .
(٥) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٧٧/٢ – ٢٧٨ .
(٦) تفسير القران العظيم ، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ٢٠٧/٧.
(٧) الاحزاب : ٣٩.
(٨) المنقذ من الضلال : ١٨٥، دار الكتب الحديثة ، مصر .

الْأَسْئِلَةِ وَبَدَائِعِ تَدْبِيرَاتِهِ في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عَنْ إِدْرَاكِ أَوَائِلِ دَقَائِقِهَا فِي طُولِ أَعْمَارِهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ فِي أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد مِنْ تَأْيِيدٍ سَمَاوِيٍّ وَقُوَّةٍ إِلَهِيَّةٍ وَأَنَّ ذَلِكَ كله لا يتصور لكذاب وَلَا مُلَبِّسٍ بَلْ كَانَتْ شَمَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ شَوَاهِدَ قَاطِعَةً بِصِدْقِهِ حَتَّى إِنَّ الْعَرَبِيَّ الْفُحَّ كَانَ يَرَاهُ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا هَذَا وَجْهُ كَذَّابٍ فَكَانَ يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ بِمُجَرَّدِ شَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أَخْلَاقَهُ وَمَارَسَ أَحْوَالَهُ فِي جَمِيعِ مصادره وموارده)) [1] ، فمن يحمل هذه الصفات ، والميزات كيف يُتهم بالكذب والجنون وغيرها ، وقد وصف القرآن الكريم كلامهم في قوله تعالى : ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾ [2] ، وجاء شبيه هذا الكلام مع نوح (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ **أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ** ﴾ [3] ، وقد فند القرآن الكريم جميع إتهاماتهم المزيفة والكاذبة في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [4] ، فالسحر والشعوذة من أعمال المفسدين وهذا لا يتناسب مع الرُسل والأنبياء ، بل على العكس هم بُعثوا لأجل الإصلاح لا الفساد كذلك إتهام الرسول بممارسة الكهانة [5] ، وقد جاء رد القرآن الكريم عليهم رداً صريحاً قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [6] فهناك مفارقة واضحة بين القرآن كلام الكهان ، إذ يترفع القرآن الكريم من أن تتناوله الشياطين ، فهم لا يستطيعون تلقفه من الملائكة الموكلون بحمله، ونقلت إلينا المصادر حديث إسلام سلمان الفارسي [7] عندما سئل الراهب الذي يمكث عنده قُبيل وفاته بمن يلتحق فقال له الراهب : : ((قَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِنْ أَدْرَكْتَ زَمَانًا تَسْمَعُ بِرَجُلٍ يَخْرُجُ مِنْ

([1]) احياء علوم الدين ، الغزالي (ت:٥٠٥هـ) : ٣٨٣/٢، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
([2]) ص : ٤ .
([3]) القمر : ٢٥ .
([4]) يونس : ٨١.
([5]) الكهانة هي : (عمل يوجب طاعة بعض الجان له ، واتباعه له ، بحيث يأتيه بالاخبار الغائبة وهو قريب السحر) ينظر : الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة ، الشيخ يوسف البحراني (ت:١١٨٦هـ) : ١٨٤/١٨، تح : محمد تقي الايرواني ، دار الاضواء ، بيروت – لبنان .
([6]) الشعراء : ٢١٠ – ٢١١ .
([7]) أحد اصحاب النبي من بلاد الفرس ، ينظر : تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن الكلبي (ت:٧٤٢هـ) : ٢٤٦/١١، تح : الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م

بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وأله وَسَلَّمَ] وَمَا أَرَاكَ تُدْرِكُهُ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَدْرَكَنِي إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فَافْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ الدِّينُ، وَأَمَارَةُ ذَلِكَ: أَنَّ قَوْمُهُ يَقُولُونَ: سَاحِرٌ مَجْنُونٌ كَاهِنٌ)) [1] .

ومن جملة الاتهامات الموجهة الى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي ردها القرآن الكريم هي الشعر ، فالنبيّ الكريم وغيره من الأنبياء والرُسل هم مرسلون من قبل الله بكلام الحق ، وليس بشعراء كما زعموا قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [2] ، وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** ﴾ [3] ، إذ ينفي سبحانه تعليمه الشعر وهم يعرفونه إنه ليس بشاعر، وإن أراد الإستشهاد بالشعر ، فكان يقوله : بطريقة نثرية [4] ، والشعر له قوافٍ ، وموازين وليس في القرآن ذلك وشِهدوا بذلك عندما سمع الوليد ابن المغيرة [5] القرآن قال ((أَنِّي وَاللهِ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ وَاللهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا السِّحْرِ وَلَا الْكِهَانَةِ)) [6] ، كذلك مسألة إرسال النبيّ من طبقة الأثرياء ، أو ممّن يملك مكانة عند العرب ، وقد جهلوا إن النبوة إختيار آلهي محضّ والله وحده خالق الخلق ، وله في إختيار النبيّ حكمة ، كما أنه سبحانه معه في التأييد والاعانة والنصر ، فلا يحتاج النبي إلى عصبة بشرية أو أموال أو حتى قوى ملائكية ، لإنه مسدد ومؤيد من الله ، أضف إلى إن حكمة إختياره من عامة الناس كي لا يتهمه أحد ، بأنه يسعى إلى المحافظة على ميراث الآباء أو الأجداد ، أو أنه يعتمد على قوة أخرى غير قوة الله [7] .

ونرى إن قولهم في جعل النبيّ من أصحاب الأموال والمناصب ما هو إلا نتاج فكر ضيق ومحدود ونظرتهم المادية التي ترى الجسد الأهم ثم الروح تابعة له ، بينما في الحقيقة الجسد تابع للروح و والأرواح هي التي تسموا بالمرء ، وترفع من شانه وليس الجسد الضعيف قال تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ**

([1]) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ابو الحسن نور الدين الهيثمي (ت:٨٠٧هـ) : ٣٣٩/٩، تح : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة – مصر ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

([2]) الحاقة : ٤٠ – ٤٣ .

([3]) يس : ٦٩ .

([4]) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٦٩/١٤ .

([5]) هو : الوليد عبد الله من بني مخزوم من قضاة العرب في الجاهلية واشرافها لقب بالعدل ، ينظر الاعلام ، خير الدين الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) : ١٢٢/٨، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م .

([6]) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ابو بكر احمد البيهقي (ت:٤٥٨هـ) : ٢٠٥/٢، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط١ ، ١٤٠٥ هـ .

([7]) ينظر : دعوة الرسل (عليهم السلام) ، الدكتور أحمد غلوش : ٥٣٠، مؤسسة الرسالة ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1] ، ومن جملة التُهم الجنون ويمكن القول أنها واحدة من التهم التي آذت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد تكفل القرآن الكريم في ردهم على إتهامهم هذا ، حيث قال : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ** ﴾ [2] ففي الآية يورد الله سبحانه إتهام المشركين حيث دعاهم إلى تدبر القول ، وتأمل حال النبيّ القائل ، فأن الكذب لا يمكن أن يخفى ويظهر واضحاً عند الكلام ، وعلى صفحاته وحركاته ، وهم أعلم الناس بشخصية النبيّ ، وأعلم بإتزانه وحكمته فكيف يتهمونه بذلك ؟ [3] ، ثم طلب الله منهم أن يستخدم كل واحد منهم عقله بعيداً عن التفكير الجماعي ، والذي يورث صاحبه التقليد البغيض ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ [4] ، المراد بالموعظة الوصية كناية أو تضمينا ، وقوله : ﴿ **أن تقوموا لله** ﴾ أيّ : تنهضوا لإجل الله ولوجهه الكريم ، وقوله : ﴿ **مثنى وفرادى** ﴾ أيّ ، إثنين اثنين ، وواحدا واحدا كناية عن التفرق وتجنب التجمع والغوغاء فان الغوغاء لا شعور لها ولا فكر وكثيرا ما تميت الحق وتحيي الباطل [5] ، إذن فالوصية دعوة أخرى للمشركين للتراجع عن الإتهامات الموجهة إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ يتناظران ويتساءلان بينهما هل صحيح ما نقوله عن محمّد ؟ أو يقف كل شخص مع نفسه ، ويتفكر في أمر النبيّ وما يقوله ويعرض أدلة الصدق والكذب ، لا شك أنه سيعرف الحقيقة ، وكل ما جاء به النبيّ قول من رب العالمين ليس بشعر ، ولا كهانة ، ولا كلام شخص مجنون [6].

([1]) الزخرف : ٣٢ .
([2]) المؤمنون : ٦٨ – ٧٠ .
([3]) ينظر : الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، محمد ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) : ٤٦٩/٢_٤٧٠، تح : علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
([4]) سبأ : ٤٦ .
([5]) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (١٤٠٢هـ) : ٣٨٨/١٦.
([6]) ينظر : الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) : ٢/ ٤٧٢.

خامساً – الأنبياء والرُسل بشر مُرسلون للبشارة والإنذار.

إن أخبار القرآن الكريم بكون الأنبياء بشر مرسلون لتبشير من يتبع تعاليم النبيّ وإنذار من يصد عنها خير دليل على أنهم مبعوثون من قبل الله ، إذ ليس من المعقول أن يشرع بشر من تلقاء نفسه في ترغيب الناس بأتباع قوانين معينة ، أو إنذارهم بعذاب محقق إن لم يؤمنوا بها ، فما الغاية من ذلك ؟ إلا أنه وراء هذه البشارة والإنذار غاية ومقصد عظيم ، وهي عبادة آله واحد خالق للكون أرسل من يمثله إلى الأرض يحمل قوانين تنظم حياة البشر رحمة منه وعدلاً حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [١] وقال في موضع آخر قال : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [٢] فإن الله لم يترك موضعاً ولا أرضاً ولم يترك أحداً من البشر ، إلا وأرسل إليها النذير [٣] .

وقوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [٤] ، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أُرسل بشيراً للمؤمنين به ، ونذيراً للمكذبين الذين استحقوها بسوء اختيارهم [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [٦] ، ومعنى الشاهد فيه قولان أحدهما شاهداً للرسل بالتبليغ والآخر شاهداً على الخلق كلهم يوم القيامة [٧] ، وقد تكرر قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [٨] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٩] ، إن طريق النجاة ينحصر في أمرين الإيمان بما جاء به الأنبياء وإصلاح النفس فلا خوف عليهم في الدنيا ولا يحزنون في الآخرة [١٠] .

---

(١) الفرقان : ٥٦ .
(٢) فاطر : ٢٤ .
(٣) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ١٠٣/١٩.
(٤) البقرة : ١١٩ .
(٥) ينظر : آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ) :١٢١/١ ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٥٢ – ١٩٣٣م.
(٦) الاحزاب : ٤٥.
(٧) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي الخازن (ت:٧٤١هـ) : ٤٣٠/٣، تح : تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .
(٨) الفتح : ٨ .
(٩) الانعام : ٤٨ .
(١٠) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٢٠٢/٤.

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** ﴾ [١] ، على الرغم من وجود البشارة والإنذار في دعوة الأنبياء (عليهم السلام) إلا أنه يوجد من يجادلهم دفاعاً عن مذاهبهم الباطلة ، والباطل المراد منه المعتقدات على خلاف ما هو به الرُسل ، ﴿ **لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ ، والإدحاض ذهاب بالشئ إلى الهلاك [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [٣] ، وقد نُقل خبر مجيء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله أعلمهم فقال النبيّ الكريم : (اما الداعي فاني أدعوا الناس إلى دين ربي ، وأما النذير فأني أنذر بالنار من عصاني ، وأما البشير فاني أُبشر بالجنة من اطاعني) [٤] .

سادساً – تأييد الأنبياء بالشرائع .

إن الله أنزل على الأنبياء والرُسل كتباً تضمنت الحكم ، والقوانين السماوية المتلائمة مع أهل الأرض والتي بيّنت المنهج القويم الذي يهديهم للسعادة والخير والفلاح في الدنيا والآخرة ثم أن الغاية الأساسية في إنزال هذه الكتب الدعوة إلى التوحيد ، وهذا ما يؤكد أهلية الأنبياء في شغل منصب النبوة ، وتفنيد الأقاويل الباطلة التي أُلصقت بهم من قبل المشككين من أقوامهم ، ولهذا نجد القرآن الكريم تحدث مراراً وتكراراً في آياته ، بأن الله أيّد رُسله بالكتب السماوية قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[٥] والفرقان هو : احد أسماء القرآن الكريم ، لكونه يفرق بين الحق والباطل بعدة المقياس الآلهي [٦] ، وفي موضع آخر جاء قوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [٨] ، وهو معجزته الكبرى قال الله متحديا فيه الأنس والجن : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ**

---

(١) الكهف : ٥٦ .
(٢) ينظر : التبيان ، الطوسي(ت:٤٦٠هـ) : ٦١/٧.
(٣) النساء : ١٦٥.
(٤) ينظر : علل الشرائع ، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ١٢٦/١، تح : السيد محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، الشيخ محمد المشهدي (ت:١١٢٥هـ) : ٤٠٦/١٠، تح : حسن دركاهي ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، طهران – ايران ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
(٥) الفرقان : ١ .
(٦) ينظر: جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٣٣/١٩ ، الوافي في تاريخ القرآن وعلومه ، الدكتور عامر عمران الخفاجي : ١٩، مؤسسة الصادق الثقافية ، ط٢، ٢٠١٩م
(٧) ص : ٢٩ .
(٨) النحل : ٨٩.

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [١] ، فهذا القرآن الذي تلاه عليه الرسول لثلاث وعشرين سنة وما فيه من أحكام منتظمة ، وقوانين محكمة يدل على أنه منّزل من قبل الله ، ومؤيد لرسالة الرسول قال سبحانه : **﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾** [٢] .

إن الأنبياء السابقين كذلك أُنزلت عليهم كتب ، وقد جاء ذكرها في القرآن في قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾** [٣] ، والزبر هو : (الكتاب الكتاب الذي نزل على داود – عليه السلام) [٤] ، وقد تكرر في آيات اخرى حيث قال سبحانه : **﴿ وَلَقَدْ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾** [٥] ، وقوله تعالى : **﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾** [٦] ، و **﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾** [٧] ومن الكتب التوراة التي أُنزلت على موسى (عليه السلام) قال تعالى : **﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾** [٨] ، و كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيهم ، فيرضون بك حكماً ، وعندهم التوراة التي أنزلناها على موسى (عليه السلام) وهي التي يقرون بها أنها كتابي الذي أنزلته ، وأنه حق ، وإن ما فيه من حكمي يعلمونه ، ولا ينكرونه والتي فيها حكم الله أيّ : أحكامه التي لم تنسخ [٩] .

والإنجيل الكتاب المنزل على عيسى (عليه السلام) قال تعالى : **﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [١٠] ، أيّ : إن الأنجيل مؤمناً و مصدق لما مضى من التوراة [١١] ، فكل الكتب السماوية جاءت مصدقة لبعضها ، ومؤيدة لرسالات الأنبياء .

---

(١) الاسراء : ٨٨ .
(٢) النساء : ٨٢ .
(٣) فاطر : ٢٥ .
(٤) ينظر : مفردات الفاظ القران ، الراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ) : ٣٧٧.
(٥) الانبياء : ١٠٥.
(٦) الاسراء : ٥٥.
(٧) النساء : ١٦٣.
(٨) المائدة : ٤٣.
(٩) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٣٣٩/٣.
(١٠) المائدة : ٤٦.
(١١) ينظر : م .ن : ٣٤٦/٣.

سابعاً – تأييد الأنبياء بالمُعجزات .

وتعرّف المعجزة لغة : العين والجيم والزاي أصلان صحيحان أحدهما يأتي بمعنى الضعف ، وهو نقيض الحزم [١] قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا**﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ [٣] ، والأصل الثاني : جاء بمعنى مؤخر الشيء [٤] .

إصطلاحاً : ((امر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي سالم من المعارضة)) [٥] ، والغاية من وجود المعجزات هو : إضهاراً للحق ، وتصديقاً للرسالة التي دعى إليها الأنبياء ، فما من نبيّ أو رسول بعثه الله ، إلا وأيده بمعجزة أو بعدد من المعاجز لتكون علامة على صدق الدعوة الناطق بها ، إذ أن اختراق قانون طبيعي على يد رجل بشري لا يتيسر إلا لمن أيدته القدرة التي أوجدت هذه القوانين تجريها متى ما شاءت ، وتوقفها متى ما أرادت ذلك ، ومفاد الآيات بإن ((الأنبياء قد بعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمة يقتدى بهم في رقيهم المعنوي ، ويبينوا في الوقت نفسه إن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية ، ونَصبهم رواداً للبشرية ، وأساتذة لها في تقدمها المادي ايضاً ، أي أنه يأمر بالإقتداء بهم ، وإتباعهم أتباعاً كاملاً في الأمور المادية والمعنوية ؛ إذ كما يحض القرآن الكريم الانسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء (عليهم السلام) ، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية ، فانه عند بحثه عن معجزاتهم المادية ايضاً يومئ إلى إثارة شوق الانسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في إيديهم ، ويشير إلى حظه على بلوغ نظائرها ، بل يصبح القول : إن يد المعجزة هي التي أهدت إلى البشرية الكمال المادي وخوارقه لأول مرة ، مثلما أهدت إليها الكمال المعنوي)) [٦] والمعاجز كثيرة منها ما جاء تأكيداً للحجّة ، ومنها جاء طلباً من الكفار، ومنها ما جاء إطمئناناً للمؤمنين وقد دلت آيات عديدة على حدوث المعجزات لدى الأنبياء والرُسل السابقين قال تعالى في محكم كتابه :

---

(١) ينظر : معجم مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٣٢/٤مادة (عجز) .
(٢) الجن : ١٢.
(٣) العنكبوت : ٢٢.
(٤) ينظر : معجم مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٣٢/٤مادة (عجز) .
(٥) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٣/٤ .
(٦) الكلمات ، بديع الزمان النورسي (ت:١٣٧٩هـ) : ٢٨٠/١، شركة سوزلر ، القاهرة – مصر ، ط٦ ، ٢٠١١م .

﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ [٢] ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [٣] ، كما إن المعاجز تختلف حسب خصائص العصور والنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثت معه معجزات حسيّة عديدة دلالة وعلامة على نبوته ، ومعجزته الخالدة القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٤] ، والحق إن القرآن الكريم وحده أبلغ حجّة على صدق دعوته ، ومن ومن المحال أن يكون من عند النبيّ شخصياً أو من عند غيره من البشر .

ولهذا فقد عُد عند ابن رشد (ت: ٥٢٠هـ) الدليل الأهم ، والشاهد الأول على صدق رسالة النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث قال : ((واما الذي دعا به الناس ، وتحداهم به ، هو الكتاب العزيز ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [٥] ، وقال : ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [٦] ، وإذا كان الأمر هكذا ، فخارقه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تحدى به الناس ، وجعله دليلاً على صدقه فيما أدعى من رسالته هو الكتاب العزيز)) [٧] ، ويمكن القول : إن المعجزات واحدة من الطرق التي يثبت بها الأنبياء والرُسل صحة دعواهم الى الناس ، وهذا ما أكده السيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢ هـ) في الغاية من وجود المعجزة (هي لأثبات رسالتهم ، وتحقيق دعواها ، وذلك أنهم ادعوا الرسالة من الله بالوحي وأنه بتكليم آلهي ، او نزول ملك ، ونحو ذلك ، وهذا شيء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الادراكات الظاهرة ، والباطنة التي يعرفها عامة الناس ، ويحدونها من انفسهم ، بل ادراك مستور عن عامة النفوس

---

(١) يونس : ١٣ .
(٢) هود : ٩٦ .
(٣) التوبة : ٧٠ .
(٤) يونس : ١٦.
(٥) الاسراء : ٨٨.
(٦) هود : ١٣.
(٧) مناهج الادلة في عقائد الملة :٢١٤ ، تح : محمود قاسم ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٤م .

لو صح وجوده لكان تصرفاً خاصاً من وراء الطبيعة في نفوس الانبياء فقط ، مع ان الانبياء كغيرهم من افراد الناس في البشرية وقواها ، ولذلك صادفوا انكاراً شديداً من الناس ، ومقاومة عنيفة) [١] .

ثامناً – الأمر بطاعة الأنبياء والرُسل .

أمر القرآن الكريم في موارد عديدة في آياته بإلزام طاعة الرسول ، وما جاء به من أحكام سماوية ، وجعل طاعته من طاعة الله ، والأمر بالطاعة ليس لمن اشرك فقط ، وإنما لمن آمن وأسلم ، فطاعته أمر مفروض على الجميع ، متى ما تنازعوا في شيء فإن مرجعهم في ذلك إلى الله وإلى الرسول ، ولم يجعل للناس خياراً إذا قضى الله ونبيه أمراً ، كما أنه رفع وصف الإيمان عنمن لم يستجب ، ويذعن إلى قضاء رسول الله ، وهذا دليل وبرهان على إن ما شرع على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما هو تشريع آلهي سماوي وجِب الإذعان ، وقد نصت العديد من الآيات الكريمات على وجوب الطاعة . قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [٢] ، قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فإن الله لا يحب الكافرين ، ولا يرضى عنهم ، ولا يثني عليهم قيل : إنما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر وانه بهذه الحيثية ينفي محبة الله تعالى وان محبته مخصوصة بالمؤمنين [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [٤] ، في الآية الآية الكريمة جعل طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتبطة بطاعة الله عز–وجل ، وفيها رد على المنافقين عندما قال لهم النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ)) ، إذ قالوا : ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما إتخذ النصارى عيسى المسيح رباً ، فنزلت الآية [٥] ، وقوله : ﴿ **فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ ، ايّ :(تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) [٦] .

---

(١) الميزان : ٨٤/١ – ٨٥.
(٢) ال عمران : ٣٢.
(٣) ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٣٢٨/١.
(٤) النساء ٨٠.
(٥) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٦٦٦/١.
(٦) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٤٧٣/١.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [١] ، فكل ما جاء به الرسول وجب على الناس الأخذ به ، وكل ما نهاهم عنه يتركوه ، ثم إن القرآن الكريم فرض بعض الأحكام بصورة مجملة ، وأوكل مهمة تفصيلها إلى الرسول مثل الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الاحكام ، والتي قد بينها الرسول الكريم مفصلة في سنته قولاً وعملاً بإذن من الله قال سبحانه ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢] ، لذلك فإن لم تكن هذه السنة البيانية حجّة على المسلمين واجبة الإتباع ، والإنقياد لها لتعذر تنفيذ ما شرعه الله ، وفرضه في القرآن الكريم .

تاسعاً - بيان عاقبة من صدقهم .

إستخدام إسلوب الترغيب واحد من الطرق المؤثرة في معالجة قضية النبوة من خلال بيان المصير الذي سيكون عليه من صدق وآمن بهم وبرسالاتهم التي جاءوا بها قال تعالى : ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾ [٣] ، فالآية تبين عاقبة المؤمنين المصدقين برسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإن لهم بقدم الصدق ، والمراد منها المنزلة الصادقة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [٤] فإن الايمان لما استتبع الزلفى والمنزلة عند الله كان الصدق في الإيمان يستتبع الصدق في المنزلة التي يستتبعها فلهم منزلة الصدق ، كما أن لهم إيمان الصدق ، فكان إطلاق القدم على المنزلة والمكانة كناية ولما كان إشغال المكان عادة إنما هو بالقدم أُستعملت القدم في المكان إن كان في الماديات ،وفي المكانة والمنزلة في المعنويات ، ثم أضيفت القدم إلى الصدق ، وهو صدق صاحب القدم في شأنه أي قدم منسوبة إلى صدق صاحبها أو قدم هي صادقة لصدق صاحبها في شأنه ، وقيل : أن لها معنى آخر وهو أن يراد بالصدق طبيعته كأن للصدق قدماً وللكذب قدماً وقدم الصدق هي التي تثبت ولا تزول [٥] .

وقال تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [٦] ، وبيّن في نص كريم آخر أن منزلة المصدقين والمؤمنين بالرسل جنات تجري

---

(١) الحشر : ٧.
(٢) النحل : ٤٤.
(٣) يونس : ٢ .
(٤) القمر : ٥٥.
(٥) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٨/١٠.
(٦) النساء : ١٣.

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وقال في موضع آخر : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [١] ، فقد بيّن في النص الكريم منزلة أخرى للمؤمنين بالأنبياء والرُسل (عليهم السلام) أراد منها الترغيب في الإيمان بهم وتصديقهم فهم مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين وهم المداومين على الصدق والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وحسن أولئك رفيقاً [٢] ، وقال تعالى : ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [٣] المغفرة من الله والجنة التي عرضها السماوات والأرض ما هي إلا جزاء الإيمان بالله ورسوله [٤] .

عاشراً – بيان عاقبة من أنكر الأنبياء وكذبهم .

لا شك إن الخزي في الدنيا ، والعذاب في الآخرة حليف المنكرين للنبوة ولأرسال الإنبياء وكل من تحجج بالحجج الواهية في سبيل عدم الإيمان في رجل موحى إليه من قبل الله ، وقد بينت ونصت كثيرٌ من الآيات على حتمية المصير السيء قال تعالى : ﴿ **إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ**﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [٦] .

.

وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ [٧] ، وهنا يبيّن حال جميع المكذبين يوم القيامة .

---

(١) النساء : ٦٩.
(٢) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ١٢٤/٣.
(٣) الحديد : ٢١.
(٤) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٤٥/١٨.
(٥) ص : ١٤ .
(٦) الانعام : ١٠.
(٧) الانعام : ١٣٠.

وقال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [2] ، إن الآيات المخصوصة بالبحث واضحة في معناها ، إذ أوضحت المصير المحتوم لكل مكذب بنبي أو رسول .

إن ما سبق من إجابات آيات القرآن المتعلقة بمسألة النبوة ، ومعالجتها بالحجج العقلية والمنطقية ، وآثار تلك المعالجات في تغيير العقيدة الفاسدة ، كون قضية النبوة ذات أهمية في تاريخ الحضارات الإنسانية وايضاً تعد واحدة من أبرز حقائق الوجود ، وأجّل هدايات الخلق إلى معرفة الله الخالق ، كما إنها تعد من أرقى منازل التلقي والتخلق وتحقيق المعرفة والعبودية الحقة والإنسانية المعمرة الهادية لعمران بشري سليم ثم إن إثباتها يستلزم إنقاذ البشرية من براثن الظلمات والفساد إلى السعادة والنجاة في مختلف مجالات الحياة الإجتماعية ، والسياسية ، والإقتصادية مع الكشف عن حقيقة النفس ، والطبيعة والعمران بوحي إلهي لا مبدل لكلماته .

([1]) النحل : ١١٣.
([2]) النساء : ١٤.

المبحث الثالث

إنكار المعاد

توطئة :

تُعد مسألة البعث والمعاد من المسائل المهمة في القرآن الكريم ومن أهم غاياته ومقاصده ، لذلك نلاحظ أن الكثير من آياته لا تخلوا من ذكر يخص المعاد أو الساعة أو الحشر أو القيامة أو البعث أو جزاء أو عقاب أو جنة أو نار، أو غيرها من الأمور الغيبية التي تحدث ما بعد الموت وبصيغ وتعبيرات مختلفة ذكرتها الآيات كقوله تعالى :﴿ **قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [١] .

وقوله تعالى :﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ..**﴾ [٢].

وقوله تعالى :﴿ **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** ﴾ [٣].

وقوله تعالى :﴿ **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [٤].

وقوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [٥].

وقوله تعالى :﴿ **... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [٦].

وقوله تعالى :﴿ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [٧].

وغيرها الكثير الكثير من الآيات الدالة على المعاد لا يسع المجال لذكرها جميعاً ، كما أننا نلحظ في كثير من الأحيان إرتباط الإيمان بالمعاد مع الإيمان بوجود الخالق كقوله تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ**

---

(١) سبأ : ٣٠.
(٢) سبأ : ٣.
(٣) الجاثية : ٣٢.
(٤) الإسراء : ١٠.
(٥) الانعام : ٣٦.
(٦) المائدة : ٩٦.
(٧) الحج : ٧ .

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] ، فهما مكملان لبعضهما ، والكفر في أحدهما كُفر في الآخر ، ويُعزى الحكمة من إرتباطهما معاً، هو إن جميع أفعال المرء وسلوكياته وأعماله سواء مع خالقه أو مع مخلوقيه مرتبط تماماً بالعقيدة ، والعقيدة هي الأصل وهي الدافع الأول للأعمال الصالحة أو الطالحة ، وقبل الولوج إلى تفاصيل الحديث حول الميعاد ، لا بد من التعريف عنه ، ففي اللغة : جاء بمعنى المرجع والمصير ، ويوم الآخرة معاد الخلق [2] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ [3] .

أمّا إصطلاحاً : ((الذي يتقدمه وجوده ، أي أعيد على الوجود الذي كان عليه)) [4] .

المطلب الأول : المعاد عند العرب قبل الإسلام

وفيما يخص موضوع المعاد عند العرب نجد إن المتأمل في كتب التأريخ والمطالع لأحاديث أهل الاخبار حول إعتقادهم بالبعث والمعاد ليسوا على سواء ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من شك وتردد في الإيمان به ، وهذا يعود إلى طبيعة الثقافة الدينية المتنوعة ، ثم إن المعاد من القضايا الغيبية غير المحسوسة والمرئية أمام الأعين لذلك دخلت الشكوك نفوس العرب والناس البسطاء ، كون البيئة العربية والعقلية العربية مادية تؤمن بالمنظور والمحسوس فقط ، لذلك يمكننا تقسيمهم على ثلاث فئات :

القسم الأول : (المنكرون للمعاد)

ويعدون الغالبية الكبرى والعظمى عند العرب قبل مجيء الإسلام ، وأكثر آيات القرآن نزلت بهم وبحقهم حيث جاءت لتثبت حقيقته وتؤكد وقوعه لهم وتفند شبهاتهم وحججهم الباطلة التي كانوا يدعونها لمحاربة النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحاربة دينه الجديد ، لا سيما إن المعاد جاء معارضاً لما جُبلوا عليه من عقيدة زائفة نتيجة بيئتهم ومعتقداتهم المحدودة بحدود حواسهم ، لذا لم يكن المنكرون على صنف واحد فقد انقسموا ايضاً على قسمين :

---

(1)) النور : ٢ .
(2)) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ٥١٤/٢ مادة (عود) .
(3)) المائدة : ٩٥.
(4)) رسائل الشريف المرتضى ، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) : ٢٨١/٢، تح : السيد أحمد الحسيني ، دار القرآن الكريم ، قم – ايران ، ١٤٠٥هـ .

الأول – منكروا البعث والنشور

البعث مرادف لكلمة الميعاد وهو لغة : الأثارة [١] ، وقيل : الإرسال [٢] .

وفي الإصطلاح ، هو: (الاحياء بعد الموت) [٣] ، والنشور من النشر وهو الريح الطيب [٤] .

ونشر الله الميت ، احياه [٥] ، و النشور إصطلاحاً : ((الحياة بعد الموت أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم)) [٦] ، ولهم في ذلك شُبهات عديدة سجّلها عليهم القرآن الكريم ، سواء كانت الشُبهات من المشركين المتأخرين أو ممّن سبقهم من آباءهم وأجدادهم ، حيث تشابهت قلوبهم .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٧] نجدها حقيقة واضحة كالشمس كما ذكر الشهرستاني: الشهرستاني: (ت: ٥٤٨هـ) عنهم : (لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم لوجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين) [٨].

ومن هذه الشُبهات التي إدعوها لأنكار البعث :

١_ **لا وجود للمعاد ولا دليل عليه** ، وقد سجّل القرآن أقوالهم حول هذه الشبهة بقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ [٩]، وقوله تعالى : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ [١٠]، حيث قالوا : ما هي إلا حياة واحدة التي حييناها في الدنيا وليس لنا حياة أخرى غيرها بعد الموت ، وهذا ذكرهم الصريح والواضح للبعث من بعد الموت ذكره أبرز المفسرين [١١] ، وجملة ﴿ **وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ يقول عنها ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) هي: (نفي للبعث، وهو يستلزم

---

(١) ينظر : مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٦٦/١ مادة(بعث) .
(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١١٦/٢.
(٣) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ) : ٢٢٢/١، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
(٤) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ٢١٤/١٤ مادة (نشر) .
(٥) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ٢١٥/١٤.
(٦) ينظر : تفسير ابن فورك ، ابو بكر محمد الاصفهاني (ت:٤٠٦هـ) : ١٧٢/١، تح : علال عبد القادر بندويش ، جامعة جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م .
(٧) البقرة : ١١٨ .
(٨) ينظر : الملل والنحل : ١٧/١.
(٩) الانعام : ٢٩.
(١٠) المؤمنون : ٣٧ .
(١١) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٢٣٤/٧، التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) :١١٣/٤الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٥٥/٧.

تأكيد نفي الحياة غير حياة الدنيا، لان البعث لا يكون إلا مع حياة) [١]، وهذا المنطق يطلقه كل كافر بالبعث واليوم الآخر سواء كان من عرب الجاهلية أو ممّن سبقهم من الأقوام المظلة ،وهنا يمكن ملاحظة إن كلام المشركين المنكرين للمعاد مشابه لكلام الدهرية حيث يصف القران قولهم : **﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾** [٢].

والدهرية نسبة الى الدهر وقد تم تعريفهم سابقاً ، فهم : (فرقة من فرق الجاهلية قالوا بأن العالم قديم وهو مركب من اربع عناصر رئيسية وهي الحرارة والبرودة والرطب واليبوس ولا حياة غير حياتها المعاصرة كما لا تعتقد بدين ولا كتاب ولا رُسل وإبتداء لشيء ولا إنقضاء ولا حدوث ولا عطب) [٣] .

وهم كما يلاحظ من الآية الشريفة لا يؤمنون ببدء الخلق ولا بالمعاد ، وجملة ﴿ **نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾ رغم معانيها العديدة [٤] ، فهي عكس ما سبق من الآيتين الشريفتين ، حيث تكلمت عن نفي المعاد فقط عند العرب ، وقد ذكرنا في المبحث الأول إن العرب يؤمنون بوجود خالق للكون إلا إنهم ينكرون أن يبعثوا من جديد ، وما هذه النظرة إلا نتيجة العقل المحدود والتفكير الضيق والمنطق الفاسد الذي كان سائداً آنذاك فهم : (كانوا ينظرون تلك النظرة القصيرة ، الحياة في نظرهم في هذا الشوط الذي يرونه في الدنيا رأي العين ،جيل يموت وجيل يحيا ، وفي ظاهر الامر لا تمتد إليهم يد الموت إنما هي الأيام تمضي والدهر ينطوي ، فاذا هم أموات ، فالدهر اذن هو الذي ينهي آجالهم ويلحق ، بأجسامهم الموت فيموتون ! وهي نظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر ، ولا تبحث عما وراءه من اسرار) [٥] ، فالموت على إعتقادهم هو فناء محضّ ، فلا توجد بعده أي حياة ، والمعروف إن من ينكر فكرة أو شيئاً أو من يثبت ذلك عليه إن يقدم دليلاً يثبت به صحة كلامه ، ومنطقه فأين الدليل المنطقي على ما يقولون ويدركون ؟! ، بل بلغ بهم الأمر إلى الَقسم بعدم الحياة بعد الموت ونحن نعرف جيداً إن القسم عند العرب في العصر الجاهلي يعد في غاية الأهمية ، فهو من أبرز مظاهر فكرهم ومعتقدهم الاخلاقي الماثل آنذاك .

([١]) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) :٧ /١٨٧.
([٢]) الجاثية : ٢٤.
([٣]) ينظر : تأريخ اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت:٢٨٤هـ) :١ /٥٨ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري (ت:٥٧٣هـ) : ٢١٧٦/٤، تح ، الدكتور حسين بن عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
([٤]) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٦ /١٥٨.
([٥]) ينظر : في ظلال القران ، سيد قطب (ت:١٣٨٦هـ) :٥ /٣٢٣٢.

إذ قال عنهم تعالى في محكم كتابه :﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [١] ، هذا القَسَم المؤكد لأنكار المعاد الخالي من أي دليل يستدلون عليه بصحة كلامهم الذي يزعمون فأي درجة وصل بهم التعصب والجهل ؟ حتى وصفت هذه المقولة ، بكونها (ابشع مقولة سجلت في تاريخ القران عليهم) [٢] ، ثم إنتقل القرآن الكريم الى آية كريمة أخرى تصف إنكارهم بقوله : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [٣] والزعم : إدعاء العلم [٤] وقيل : هو : (القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأ فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أي : يخالف الواقع في ظن سامعه ، كما يطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما اخبر به) [٥] .

والآية فيها إدعاء كذب من قبل مشركي مكة خصوصاً للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، بأن لا يوجد يوم للمعاد يحاسب فيه الناس ويبطل فيه الأمر والجزاء ، وإذا بطل فلا داعي لوجود دين ورسالة ونبيّ إلا إن الرد جاء إليهم بنفس الآية ب (بلى) و (القسم) وهذا الأمر واقع لا ريب فيه فالذي يَخلقُ من لا شيء قادر على البعث والإعادة وذلك على الله يسير ، ويذكر القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث بلسان القوم على إنكارهم بعثهم من بعد موتهم ولكن البحث لا يسع لذكرها هنا جميعا ، كونها تهدف الى غاية واحدة .

ثم أنتقل الى شُبهة ثانية أوصفو بها المعاد ، ألا وهي :

٢ـ السحر

قال تعالى: ﴿ **..وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [٦] [٦] ، ففيها إعلام من الله تعالى لنبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لو قال لهؤلاء الكفار إن الله يبعثكم بعد موتكم ويجازيكم على أعمالكم لقالوا ليس هذا القول إلا سحرُ ظاهر [٧] .

---

(١) النحل :٣٨ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) :١٤ / ١٥٣.
(٣) التغابن : ٧ .
(٤) ينظر : الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) :٤ /١١٤ ، مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ): ٥٥٣/٣٠.
(٥) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣) : ٢٨ /٢٧٠.
(٦) هود : ٧.
(٧) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٥٠هـ) : ٤٥١/٥.

إن العناد واللّجاجة التي كان عليها مشركون العرب بحيث ان النبي الأكرم محمّداً (صلى الله عليه واله وسلم) لو أحيى بنفسه الموتى أمام أعينهم لما صدقوه ، ولقالوا إن هذا سحر سَحَرت به أعيننا ، و في الآية الكريمة إشارة الى كلامه حول المعاد ، فقد اتُهِم بالسحر والسحر الكلام العاري عن أي حقيقة ، ولإن السحَرة يقومون بفعل أعمال تخدع البصر ولا واقع لها لذلك إدّعوا بمثل هذا الكلام حول كلام النبيّ ولم يكن وحده من اتُهم بهذه التهمة فقد اتُهم الأنبياء ممّن سبقوه عندما أعادوا أحياء الموتى أمام من كفر وتَجَبر، فوصفوهم بالسحرة والكهان .

ومن خلال الآيات إنتقل لشُبهة اخرى وهي :

٣ـ إن البعث إفتراء وكذب على الله تعالى

فتصف الآية الكريمة قولهم : **﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾** [١] .

الآية وأن تحدثت عن قوم هود إلا أنهم متشابهون مع الكفار في نفس المنطق الذي كانوا يخاطبون به ، فالحياة هي واحدة يعقبها الموت ولا تتجدد بعد الموت حياة [٢] ، وهذه من الشُبهات التي طالما اتُهم بها الأنبياء والرُسل وبالأخص نبينا الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث إدعوا إن ما جاء به إنما هو إفتراء على الله فلا توجد رسالة سماوية ولا بعث ولا حساب ولا عقاب ولا جنة و لا نار، وما الحديث عن المعاد إلّا من نسيج أفكاره ومخيلته ونسبها الى الله ليدعوا الناس إليه ويتبعوا دينه الجديد، فكيف لهم أن يفسروا كلام الداعي الى الله بالكذب أو يصفوا عقله بالجنون ؟! .

والحقيقة إن كلامهم هذا خديعة من خدعهم التي يوهمون بها بسطاء العقول من الناس ، إذ كيف يمكن لمن أثبتَ الزمان أمانته وعقله وذكائه وفطنته ودرايته منذ نعومة اظفاره وشبابه حتى صار رجلاً معروفاً بين قومه أن يوصف بالجنون ؟!

الثاني – المنكر للخلق الجديد

إن مسألة خلق الإنسان من جديد سواء بهيئته في عالم الدنيا أم بشكل آخر غير صورته تعد من المسائل التي أنكرها الكفار أضافة الى مسائل الحساب والجزاء وغيرها من المسائل المتعلقة باليوم الآخر، وهي من

---

(١) المؤمنون : ٣٧ – ٣٨ .
(٢) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) :١٥٣/١٦.

المواضيع الأساسية والمهمة التي تكلّم عنها القرآن الكريم لإنهم لم يقدّروا الخالق حق قدره ، وإنه قادر على إحيائهم من جديد في العالم الآخر كما أحياهم أول مرة وما استكثروا عليه هذه العظيمة فيوصف قولهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ** ﴾ [1] .

ويمكن توضيح نقطتين مهمتين لمنطق الكفار في هذه الآية الكريمة ، وهما :

الأولى – إعتقادهم إن المعاد الجسماني وعودة الاجسام كما كانت من الممّكن الطعن فيه بأعتباره حسب رأيهم لا أساس له ولا يقبله العقل ، وبالتالي الإستهزاء به وتنفير الناس من حوله .

الثانية – إن إعتقادهم بالخلق مرة اخرى يضعهم أمام ميزان الحق والعدل ، ويخضعهم لتعهدات ومسؤوليات حقيقية ممّا أعتبروه تهديداً لهم وضرباً لمصالحهم [2] .

كما إن لإعادة الخلق شُبهات أخرى ، منها :

١ــ إعادة الخلق الجديد خارج إطار القدرة : ويظهر من الذكر الحكيم إنهم كانوا يتعمّدون هذه الشُبهة لتظليل الناس ، حيث إن إعادة جسم الإنسان من بعد ما تُلف في أديم الأرض وتركيبه مرة أخرى بعد الموت أمر محال ، ويعدّونه من قبيل إعادة المعدوم ، أو من قبيل التضاد والتنافي بين الجفاف والرطوبة بين يبس العظام والتراب ونداوتها وهي مقتضى الحياة ، كما في قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [3] .

من منطوق الآية نلاحظ التعجب والإستفهام في سؤالهم وتُعّد هذه من أكبر المشاكل التي تّعرض لها الانبياء وبالأخص نبينا (صلى الله عليه واله وسلم) هو عدم تصديق أقوامهم بالمعاد الجسماني بعد إن تحول الى عظام وتراب في أديم الارض ، إلا أن القرآن كان جوابه حاضراً يردّ عليهم ، ولكن سنورد ردوده ومعالجاته في الفصول القادمة بأذن الله .

---

(١) سبأ :٧ – ٨ .
(٢) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١١ / ٢٨٢ .
(٣) الرعد : ٥ .

وقد تكرر خطابهم هذا في أكثر من اية ، كقوله :﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ [١]، والبعيد جاء بمعنى : خلاف القُرب ، ومُقابل القَبلَ بعيد عن تصور العقل[٢] ، فهو مستحيل [٣].

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ [٤] .

وقوله :﴿ **ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ [٥].

والرفات هنا بمعنى التراب [٦] ، وقيل : الشيء المتلاشي والقديم [٧] ، وكلاهما ينصب في نفس المعنى فالتراب هو مواد ومكونات متلاشية ، ومن خلال الآية نلحظ إن المنطق الذي حاجج به الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) دال على المعاد الجسماني نفسه ولو لم يكن كذلك أيّ : روحانياً فقط لما كان هناك سبب للعديد من الإشكالات من قبل المعارضين ، ويمكن أن ندرج قول أحد علمائنا الأفاضل حول المعاد الجسمي حيث قال : (ان الدليل العقلي على المعاد الجسماني لن يرى لحد الان ، إلا ان البرهان العرشي دل على انه الشخص بعينه روحاً وجسداً فلو رآه احدٌ عند يوم المحشر يقول " هذا فلان الذي كان في الدنيا") [٨] ، ويمكن إن نلاحظ إن أقوالهم في إنكار الخلق لم تكن متشابهة ، وهذا إن دل دل على شيء فإنما يدل على إنكارهم الفكرة جملة وتفصيلاً لذلك إستخدم القرآن ألفاظاً متعددة على ألسنتهم كقوله : ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ** ﴾ [٩] ، والضلال في الارض : (خَفينا وغِبْنا) [١٠] ، إذن فهو التلاشي والضياع بين أديم الأرض ، والتحول الى تراب كسائر الاتربة الموجودة على سطح الارض ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً** ﴾ [١١] ، وقوله تعالى : ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾[١٢] .

---

(١) ق : ٣ .
(٢) ينظر : معجم مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢٦٨/١ مادة (بعد) .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) :٢٦ /٢٨٠ .
(٤) الاسراء : ٤٩.
(٥) الاسراء : ٩٨ .
(٦) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٤٦٢/١٧.
(٧) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٩ / ١٨.
(٨) ينظر : الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية ، صدر الدين الشيرازي (ت:١٠٥٠هـ) : ٢٦٩.
(٩) السجدة : ١٠ .
(١٠) ينظر : الصحاح تاج اللغة ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٧٤٩/٥ مادة (ضلل) .
(١١) النازعات :١١ .
(١٢) يس : ٧٨ .

وقبل أن أختم الحديث حول هذه الشبهة سأتطرق الى ذكر قصة معبرة روتها كتب التأريخ والتفاسير عن (أُبي بن خلف ، أو أمية بن خلف ، العاص بن وائل) حيث وجد في الصحراء قطعة عظم لا يعرف من صاحبها وكيف مات ؟ وأعتقد بهذا العظم انه وجد دليلاً يخصم به محمّداً (صلى الله عليه واله وسلم) وينفي فيه البعث ، فذهب الى النبيّ وفتت العظم أمام عينيه ، وقال : كيف أن يرتدي هذا العظم البالي لباس الحياة مرة اخرى [١] ، إلا إن القرآن وعلى لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رد رداً وجيزاً وجيزاً ﴿ **وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ وقوله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ [٢] كيف لا يمكن أن يعيد الله خلق العظام من جديد وأن تفتت وتحول الى تراب ؟!

وما هذا الذي أحتجّ به الرجل إنما هو عدول من المقياس الصحيح الى المقياس الفاسد ، والمقياس الفاسد ضرب المثل بالعظم الذي رمّ وإنكاره القياس الصحيح ، وهو إنكار خلقه أول مرة ، فليس الإعادة مرة أخرى بأعظم من إبتداء الخلق على غير مثال سابق [٣] .

وهكذا أنكر الجاحدون عقيدة الخلق الجديد بحجة أنه لا يوجد ولو دليل مادي واحد على صحتها متجاهلين قدرة الله وعظمته على إحياء الإنسان بعد موته وفناء عظامه وصيرورتها تراباً ، وما قولهم إلا حجّة يرومون من خلالها التشكيك في ركن أساسي من أركان الإسلام المهمة .

ثم أنتقل بعدها الى الشُبهة الثانية ، ألا وهي :

٢ــ إن الخلق الجديد اسطورة من اساطير الأولين : تعد الأساطير واحدة من الشُبهات التي أطلقها كفار قريش لإنكار المعاد وخصوصاً أنهم يعيشون في بيئة قد تأثرت بما حولها من معتنقي الأديان السماوية السابقة والأساطير جمع أسطورة وتعرف لغة ، على إصطفاف الشيء [٤] ، وهي الأحاديثُ التي لا نِظامَ نِظامَ لها [٥] وبما أن الشرائع السماوية متفقة في الأصول إلا أن إختلافها يكون في المنهج والشرع .

قال تعالى في محكم كتابه :﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ**

---

(١) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٧٩/١٤.
(٢) القيامة : ٣ .
(٣) ينظر : درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) : ٣٣/١، تح: محمد رشاد سالم .
(٤) ينظر : معجم مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٣٩٥هـ) : ٧٢/٣ مادة (سطر) .
(٥) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ٤٠٧ .

شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [1] ، لذا كانت الدعوة الى الإعتقاد باليوم الآخر والخلق الجديد موجود فيما سلف من الشرائع ، وهي من القضايا الحتمية قوامها التسليم والإقرار بها وبكل ما جاء على ألسنة الرُسل والأنبياء حولها ولهذا آمن بها الموحدون دون جدل أو نقاش أو بحث عن العلل ، وأنكرها شرذمة وجِدت في كل عصر ومصر وأنكرت كل مواقفها وتذرعت بمختلف الأوهام لصد الناس عنها ، ومن هذه الذرائع كونها أسطورة من الأساطير الوهمية أو خزعبلات القدماء ، غير إن الدعوة الى إعتناق عقيدة قديمة لا تدل على بطلانها أو إنها أسطورة خرافية من نسيج أفكار البشر ، كما إن استحداث عقيدة جديدة لا يعد دليلاً على صحة مضمونها ومقاصدها ، وإنما العقل والمنطق هو الضابط والدليل على الصحة والبطلان ومن الآيات الدالة على هذه الشبهة قوله تعالى ﴿ **قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [2] ، وهذا جهل منهم ، لأنهم لو تفكروا في أن النشأة الأولى أعظم منه ، لما استعظموه ، وقد أقروا بأن الله خالقهم ﴿ **لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا** ﴾ أي : إن آباؤهم وعدوا في المعاد والبعث والخلق الجديد ، مثلما تعدنا يا محمد اليوم من البعث ، فما صدق وعدهم ﴿ **إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ أي : ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقة له [3].

وقد تكررت حجتهم في نص آخر قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [4] .

كثيراً ما نشاهد منطق الكفار مشابه في مسألة البعث ، وإستفهامهم الانكاري حول صيرورتهم أو صيرورة آبائهم من قبل الى تراب وعظام ، كيف تتحول الى تركيب جديد ؟ وإتهامهم لقول النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بمختلف الأقاويل الباطلة والتُهم المزيفة ، ويعزى ذلك كما يذكر الشيرازي في تفسيره الى (انهم كانوا من اشد الناس خوفاً وهلعاً من اليوم الآخر وما يحدث فيه من المحاسبة والعدالة ، حيث تذرعوا بمختلف الذرائع والاوهام لتسوغ لهم اعتراضهم عن الحق وتعلقهم بالباطل) [5] .

([1]) المائدة : ٤٨.
([2]) المؤمنون : ٨٢_٨٣ .
([3]) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٠٣/٧.
([4]) النمل : ٦٧_٦٨ .
([5]) ينظر : الامثل : ١٠/ ٣٤١ .

وتكررت شبهة الأساطير في أكثر من موضع كقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [1] ، و (أُفٍّ) كلمة تبرم يقصد بها إظهار التسخط والتوجع و ﴿ **أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ** ﴾ والاستفهام هنا للتوبيخ ، والمعنى : أتعداانني أن أخرج من قبري فأحيا وأحضر للحساب ﴿ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾ أي : أنه هلكت أمم الماضين العائشون من قبلي ولم يحي منهم أحد ولا بعث ، فجعلو لإنكار مسألة المعاد حجة إذ لو كان هناك إحياء وبعث لأحيى بعض من هلك إلى هذا الحين وهم فوق حد الاحصاء عددا في أزمنة طويلة لا أمد لها ولا خبر عنهم ولا أثر ولم يتنبهوا أن القرون السالفة لو عادوا كما يقولون كان ذلك بعثاً لهم وإحياء في الدنيا والذي وعده الله سبحانه هو البعث للحياة الآخرة والقيام لنشأة أخرى غير الدنيا [2] ، كذلك وقوله تعالى :﴿ **إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [3]

وقوله تعالى :﴿ **الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [4] ، والمعتدي متجاوز للحق إلى الباطل (أثيم) كثير الإثم ، مبالغ في ارتكابه الباطل[5] .

ومن الملاحظ إن قوله تعالى : ﴿ **أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ في القران الكريم مرتبطة دائماً بمسألة المعاد ، وهي من أكثر الشُبهات التي أحتجّ بها المنكرون له سواء كان في زمن الأقوام السالفة أو من مشركي عرب شبه الجزيرة العربية خاصة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غفلتهم ، وجهلهم وغرورهم أو إنهم بإدعائهم هذا أرادوا طعن كلام النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) والإستهزاء به وبقوله حول المعاد والحساب لصرف الناس عنه ، وإدعوا إن الكلام قيل لإسلافهم الذين سبقوهم فلا جديد جاء به محمّد ، ولا داعي للتفكير والمراجعة في أمر الله .

بعدها أنتقل لشُبهة ثالثة اخرى ، وهي:

٣ـ أحيوا آبائنا ان كان المعاد حقيقة . قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [1] ، فإذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات فما كانت حجتهم أن

([1]) الاحقاف : ١٧ .
([2]) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٠٣/١٨.
([3]) القلم : ١٥ .
([4]) المطففين : ١١-١٣ .
([5]) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٩٢/١٠.

قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) أي لم يكن لهم إلا أن قالوا ائتوا بأبائنا إن كنتم صادقين في أن الله يعيد الأموات ، ويبعثهم يوم القيامة من جديد، وأحيوهم حتى نعلم أن الله قادر على ذلك ، لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين ، لا طالبين الرشد [٢] ، غير إن طلبهم هذا ما هو إلا تعليل لدعوة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فطلبهم لإعادة إحياء آباءهم إلا نتيجة لمنطقهم الخاوي ، لذا نجد كثرة السؤال عن إحياء آباءهم عند الحديث عن المعاد ، كقوله :﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** ﴾ [٣] وكذلك قوله تعالى :﴿ **وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** ﴾ [٤] ، ولو إفترضنا فرضاً إن قام النبيّ فعلاً بأحياء الآباء لطلبت كل قبيلة من قبائل العرب ، بل كل شخص فيها نفس الطلب حتى يؤمنوا به فتنقلب بذلك الدعوة ألعوبة بأيديهم إلا إن رد القرآن جاء صافعاً له في قوله : ﴿ **قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٥] ، فقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً (صلى الله عليه وبله وسلم) : قل لهم يا محمد ﴿ **اللَّهُ يُحْيِيكُمْ** ﴾ في دار الدنيا ، لأنه وحده القادر على الإحياء ، ﴿ **ثُمَّ يُمِيتُكُمْ** ﴾ عند انقضاء آجالكم وموتكم ﴿ **يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ بأن يبعثكم ، ويعيدكم أحياء من جديد و ﴿ **لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ لقيام الحجة عليه وإنما أحتج بالإحياء في دار الدنيا ، لأن من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في وقت مع إرتفاع الموانع المعقولة ، وكونه حيا عجز عنه في كل وقت ﴿ **وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه [٦] .

وفيما سبق من آيات البعث والخلق الجديد نرى إن القرآن الكريم قد أولى النفس البشرية عناية مهمة بالأخص نفوس عرب شبه الجزيرة ، حيث عجزت عن إدراك عالم ما وراء المحسوس ، والمعاد يعد من القضايا الغيبية البعيدة كل البعد عن منظورهم الحسي :﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٧] ، فاستبعد بذلك العربي وقوعه فيما بعد الموت .

---

(١) الجاثية : ٢٥ .
(٢) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ١٣١/٩.
(٣) الصافات : ١٦_١٧.
(٤) الواقعة :٤٧_٤٨.
(٥) الجاثية : ٢٦.
(٦) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ١٣٢/٩، تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٨/٥.
(٧) يونس : ٣٩ .

القسم الثاني : (الشك في أمر المعاد)

هناك طائفة من عرب العصر الجاهلي قد شكت في أمر المعاد بين وقوعه وعدم وقوعه ، ويُعزى ذلك إلى أسباب عديدة سأتطرق إليها فيما بعد ، فهم في شك منه ولم يحصل لديهم اليقين الكافي بحصوله كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ** ﴾ [١] ، والمرية هنا : بمعنى الشك [٢] ، فهم في شك في قيام الساعة لذلك لا يعبئون به ولا يتفكرون ولا يحذرون .

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾ [٣] ، والظن ايضاً هنا بمعنى الشك [٤] والضمير في مفردة (ظنوا) راجع الى مشركي مكة [٥] ، ولمفردة (البعث) في الآية الكريمة آراء مختلفة لإن البعض عدها بعث للأنبياء والرُسل يمكن مراجعتها في تفسير التسهيل ، إلا إن الكثير منهم إعتبرها خاصة بالبعث والمعاد الموعود به في القران [٦] ، ولا بأس بإضافة رأي الشوكاني : (ت: ١٢٥٠هـ) في في تفسير الآية الكريمة ، حيث يقول : (إن هذا من قول الجن للإنس أي: وان الجن ظنوا كما ظننتم إيها الانس انه لا يبعث وقيل : المعنى وان الانس ظنوا كما ظننتم إيها الجن والمعنى : انهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم لا تؤمنون) [٧] ومن الآيات الدالة على شك مشركي العرب بالمعاد قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [٨] ، والريب هنا بمعنى (الشك) (الشك) [٩] أي إنهم في شك من البعث والنشور وكثيراً ما نجد شكهم وشبهتهم في خطاباتهم وإشعاراهم ،

---

(١) فصلت :٥٤ .
(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) :٢٧٧/١٥ مادة (مرا) .
(٣) الجن :٧ .
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٣ /٤٦٢ مادة (ظنن) .
(٥) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، عبد الله بن احمد النسفي (ت:٧١٠هـ) :٥٥٠/٣، تح : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
(٦) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ) :٤١٨/٢، تح : الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
(٧) ينظر : فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) :٣٦٦/٥، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق-بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
(٨) الحج : ٥ .
(٩) ينظر ك لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) :١/ ٤٤٢ مادة(ريب) .

ويعود السبب في ذلك كما سبق وإن ذكرنا الى البيئة الصحراوية البسيطة لذلك نجد إن الله تعالى عندما ضرب لهم الأمثال ضرب أمثالاً قريبة من مقياسهم الفكري وإدراكهم الحسي ، وهذين المثالين في الآية الكريمة للذي وجد في نفسه شكاً في يوم القيامة والبعث من بعد الممات ، وليتفكر في قرارة نفسه حتى يزيل كل ريبة وشك عن ذلك اليوم العظيم [١].

وترى الباحثة إن وجود الفئة المشككة يُعزى الى وجود أسباب معينة جعلتهم في ميزان متأرجح وهي وجود المنكرين الجاحدين للمعاد الجسماني والروحاني جملة وتفصيلاً ، ووجود الموحدين من معتنقي الديانات السماوية والتي تؤمن وتعتقد بوجوده في الطرف المقابل ، ولإن العرب في شبه الجزيرة لا يمتلكون خزيناً ثقافياً عالياً ولا حضارة عتيقة ، فكان لتأثير معتنقي الأديان والجاحدين تأثيرٌ قويٌ على عقولهم ،خصوصاً إن فكرة البعث عدها البعض فكرة مستحدثة لم يسمع بها من قبل ، إضافة الى سبب آخر وهو أن فرقة من سكان الجزيرة كانوا يعتقدون ببقاء الروح بعد الموت بشكل أو بآخر سواء بالتناسخ أو غيرها من الطرق كما في: (طائر الهامة) [٢] والتي أبطلها الإسلام و(البلية) [٣] ، فهذه الأسباب وغيرها تشكلت تشكلت فيما بينها وأدت الى ظهور الفرقة المشككة بالبعث من جديد .

القسم الثالث (المؤمنون بالمعـاد)

جميع الشرائع السابقة للإسلام إتفقت على وجود المعاد ، إلا إنها اختلفت في بعض الجزئيات والتفاصيل الصغيرة فيما بينها سبق وإن نوهتُ لذلك ، لذلك لا ننكر وجود مؤمنين بهذا اليوم في كل عصر ومصر ومنه في شبه الجزيرة العربية لا سيما وإن فيها من بقايا دين التوحيد الدين الإبراهيمي ، وهذا ما نلاحظه في كتاباتهم وأشعارهم حول الدين نُقلت إلينا عبر السنون ، ومن هذه الأبيات التي تدل على ذلك اليوم الذي تُجزى كل نفس ما عملت بكتاب يسطر فيه كل ما عمله في دنياه ، وهذا ما لمسناه واضحاً في شعر أشهر شعراء العصر الجاهلي زهير بن ابي سلمى [٤] ، والذي إعتقد إن للكون خالقاً يعلم سرائر وظواهر عالم الوجود بما فيها الإنسان وإن كل شيء يصدر من المرء مدّخر حسابه أو ثوابه ، حيث يقول فيها :

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى مهما يكتم الله يعلم

([١]) ينظر : في ظلال القران ، سيد قطب (ت:١٣٨٦هـ) :٤ /٢٤٠٩ .
([٢]) ينظر : الامثل . ناصر مكارم الشيرازي :٢٦ /١١١.
([٣]) ينظر : بلوغ الارب ، البغدادي (ت:١٣٤٢هـ) :٢ /٣٠٧.
([٤]) هو أحد الشعراء الكبار ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كما أنه أحد أصحاب المعلقات المشهورة ينظر : رجال المعلقات العشر ، مصطفى محمد سليم الغلاييني (ت:١٣٦٤هـ) : ٢٩.

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم [١]

ولا ننسى إن الشعر تعبير عن معتقداتهم وما يؤمنون به ، لذلك كانت هناك عادة عند بعض العرب التي تؤمن بيوم الحشر أن تدفع مع من يتوفى منهم راحلته التي كانت معه عندما كان حياً لإعتقادهم بأنه يركبها يوم البعث ، لذا وصل إلينا شعر جُريَبة بن اشيم [٢] ، يقول فيها :

يا سعد أما اهلكنّ فأنني أوصيك إن اخا الوصاة الأقرب

لا تتركن اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكب [٣]

ويستفاد من شعرهم فيسجل لنا شعراً لعمرو بن زيد التميمي [٤]

ابني زودني اذا فارقتني الى القبر راحلة برحل فاتر

للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوثقين معاً لحشر الحاشر [٥]

كما إن هناك قصيدة لأمية بن ابي الصلت [٦] يذكر فيها الجنة والنار ، يقول فيها :

هما فريقان فرقة تدخل الجنة خفت بها حدائقه وفرقة منهم قد ادخلت النار فساءتهم مرافقها [٧]

وهكذا وصلت إلينا الادلة الجلية من أشعارهم في إن العقل العربي رغم بساطته فقد آمن وأعتقد بوجود حياة أخرى غير حياة الدنيا .

([١]) ديوان زهير ابن بي سلمى ، زهير ابن ابي سلمى (ت:٦٠٩م) :١٠٧، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٨هـ_ ١٩٨٨م .

([٢]) هو شاعر جاهلي كان من الذين يؤمنون بوجود المعاد ، ينظر : الأعلام ، الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ) : ١١٨/٢.

([٣]) بلوغ الارب ، البغدادي (ت:١٣٤٢هـ) : ٣٠٧ .

([٤]) هو شاعر جاهلي، ومن رؤساء كلب في زمانه ، في شعره دلالة على إيمانه بالبعث والحساب بعد الموت ، ينظر : معجم الشعراء العرب ، محمد بن عمران المرزباني (ت:٣٨٤هـ) :١٨١١.

([٥]) بلوغ الأرب ، البغدادي (ت:١٣٤٢هـ) :٣٠٩ .

([٦]) هو : هو أميّة بن أبى الصّلت بن أبى ربيعة بن عبد عوف بن عقدة احد شعراء الجاهلية ، تحدث في شعره عن قصص الأنبياء ، وكان يؤمن ببعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا انه كفر به حسداً ، وقال : عنه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (آمن لسانه وكفر قلبه) ، ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ) :٤٥٠/١، دار الحديث، القاهرة – مصر ، ١٤٢٣هـ .

([٧]) ينظر : ديوان امية بن ابي الصلت ، امية ابن ابي الصلت (ت:٥هـ) :٤٣، المكتبة الاهلية ، ط١ ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م في طريق الميثولوجيا عند العرب ، محمود سليم الحوت (ت:١٤٠٩هـ) :١١٤، ط١ ، ١٩٥٥م .

ويبدو إن هذه الفئة التي آمنت بوجود يوم آخر ولم تكن على دين سماوي مؤثر فيها ولم تتلوث بشوائب المعاندين والملحدين لوجود العادل ، فما إيمانها هذا إلا نتيجة السجية والفطرة التي فطروا عليها والتي تذهب الى إن العالم وما وجدوا فيه من مخلوقات والنجوم والكواكب وإختلاف الليل والنهار وطبائع الانسان المختلفة لا بد أن يُجازى ويُعطى كل حق حقه ، فالظلم والطغيان مرفوض عند كل صاحب قلب وإن لا بد للظالم إن يردع على ما اقترفه في حياته في عالم الدنيا أو في يوم تؤخر فيه المحاسبة لينال جزاءه منها .

المطلب الثاني : معالجـة إنحراف إنكار المعاد

إن قضية المعاد تُعد قضية مهمة لا تقل أهمية عن التوحيد وإثبات نبوة الأنبياء ، إذ إن القضايا العقدية مكملة بعضها لبعض في تثبيت أصل واحد ، وهو وجود خالق واحد للكون لا شريك له ولا بديل ، والميعاد يثبت من خلاله إن الكون مثلما له بداية له نهاية يفنى فيه كل شيء ، وينتهي كل موجود على هذه الارض ثم يرجعه الله بعد ذلك مرة ثانية للحساب والثواب ، فيجد كل إنسان ما عمله خلال مسيرة حياته الدنيوية ماثلاً أمامه هناك ، ولأجل أثبات حقيقة هذا اليوم أتّبع القرآن الأدلة المنطقية العقلية ، والحسيّة في أقناع العقول المنكرة له ، والمشككة بوجوده من خلال ذكر نماذج في الدنيا مشابهة للمعاد في الآخرة من قبيل إحياء الإنسان والكائنات الأخرى ، وإعادة الحياة إلى الأرض ، والإستدلال بخلق العظيم على الضعيف ، وإستخدامه مسلك الترهيب للجاحد ، والمعاند من بعد طرح كل الأدلة ، والبراهين إنذاراً وتخويفاً لهم ، ومن إجابات القرآن الكريم بإعادة البعث ما يلي :

اولا– الخلق الأول دليل إمكان الخلق الثاني .

إن واحدة من أبرز الأدلة الواضحة على وجود بعث ، وخلق جديد هو بداية الخلق الأول قال تعالى : ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ [١] ، فالله يخبر أنه لم يعجز عن الخلق الأول فكيف يعجزه الخلق الثاني ، إلا إن اللبس والإشتباه تمكن منهم ، حيث أشتبه عليهم إحياء الموتى ، هو موجود عقلاً بالأمر المستحيل في العقل ، لذلك نفوا إمكانية حصوله وتركوا القياس بأن من قدر عليه الخلق الأول قدر عليه الثاني [٢] ، والعجيب إن المشركين لا يترددون في حقيقة خلق الله الأول ، كونه محسوساً ومشاهداً عندهم ، إلا أنهم يشككون في المعاد ، وتعد هذه من جملة إحتجاجاتهم المتناقضة المنزوية وراء التعصب الأعمى والهوى ، فمن جهة يقولون إن الله خالق كل شيء بداية ، كما نص قوله تعالى لسان حديثهم : ﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [٣] ، ومن جهة أخرى ينكرون خلق الإنسان من جديد من بعد تجميع عظامه ، ويعدون ذلك امراً محالاً لا يمكن تحقيقه ! ومهما أبدوا من حجج وأقوال فأن القرآن يملك الإجابات لأقوالهم قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ**

---

(١) ق : ١٥ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٢٩٨/٢٦.
(٣) يونس : ٣١ .

أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [١] ، والآية مخاطبة فيها الإنسان بصورة عامة [٢] ، على صيغة سؤال تعجبي [٣] ، فمن العجيب أن يعلم الإنسان انه مخلوق من نطفة [٤] ، ليتفاجئ بإنه خصيم مبين ، ايّ : مجادل في الخصومة مبيّن للحجّة [٥] ، ثم أنه مخلوق ضعيف كثير النسيان والدليل هنا واضح للقارئ والسامع ، إذ إحتجّ بإبتداء الخلق على الخلق مرة ثانية فالنشأة الأولى دليل على إعادة النشأة الثانية ، ولو كان الله عاجزاً عن الثانية لعجز عن الأولى ، ثم أنه سبحانه أراد التنبيه بأنه نسي خلق نفسه ﴿ **وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾ ، وكيف أوجده الله في بداية تكوينه إلى الحال الذي صار عليه من رجل بالغ ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ ، إذ كانت الإجابة واضحة وصريحة ، وفي هذا الصدد يقول الكندي (ت: ٢٥٦هـ) [٦] : ((فأي دليل في العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام ، بل إن لم تكن ، فممكن ، إذا بطلت ، بعد أن كانت ، وصارت رميماً ، أن تكون أيضاً؟! فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه ، ومن أبدعه ، فأما عند باريهم فواحد لا أشد ولا أضعف فإن القوة التي أبدعت ممكن أن تنشئ ما أدثرت ، وكونها بعد أن لم تكن ، موجد للحس فضلاً عن العقل فإن السائل عن هذه المسألة الكافر بقدرة الله ، جل تعالى ، مقرّ أنه كان بعد أن لم يكن وعظمه لم يكن هو معدوم ، فعظمه كان اضطراراً ، لم تكن فإعادتها واحياؤها كذلك ايضاً ، فإنها موجودة حية بعد أن لم تكن حية فممكن ايضاً أن تصير حية ، بعد إذ هي لا حية)) [٧]

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٨] .

---

(١) يس : ٧٧ – ٧٩.
(٢) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٧٧/١٤.
(٣) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ١١١/١٧.
(٤) هي الماء الصافي ، ينظر : مجمل اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٨٧٢.
(٥) ينظر :الجامع لإحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٨٥/١٥.
(٦) ينظر : تتمة صوان الحكمة ، ظهير الدين البيهقي (ت:٥٦٥هـ) : ٥-٦ .
(٧) رسائل الكندي الفلسفية :٣٧٤/١ ، تح : محمد عبد الهادي ابو رُيدة ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .
(٨) الواقعة : ٥٧ – ٦٢.

يخبر القرآن الكريم المنكرين بيوم المعاد ، والمشككين به بإنهم يومياً على ولادة وممات فيما حولهم من الموجودات وتعلمون بداية كل ولادة تشاهدونها بأعينكم وتشهدون على ذلك ، فكيف لكم أن تكذبوا وتنكروا المعاد؟ قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [1] ، قل لهم يا محمد حين أنكرتم البعث والنشور أو لم تروا كيف يبدئ الله الخلق ، أيّ ، إذا أنكرتم الإعادة كان الابتداء أولى بالإنكار ، وحيث أقروا بإن الله خالقهم إبتداء فيلزمهم ذلك أن يقروا بالإعادة مرة ثانية [2] .

إن الإيمان بالمعاد إيمان بوحدانية الله ، فهما متلازمان ، وهذا ما نصه القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [3] .

وجدير بالذكر إن هذا التشكيك بالمعاد ، رغم إيمانهم ببداية الخلق ، ونشأته على يد الله ما هو إلا تهرب من عبادة الله الملازمة لترك عبادة الأصنام ، حيث إن هذا الإعتقاد كاف لتقبل فكرة البعث من جديد والإيمان بها ، فكانوا يدلون بحججهم الواهية رفضاً للتسليم بوحدانية الله ، وحفاظاً على تراث عبادة الآباء والأجداد وخوفاً على المكانة الإجتماعية من أن تتزلزل بين قبائلهم .

ثم إن القرآن الكريم لم يكتفِ بهذه الأدلة فقط ، فحجيته في إثبات الشيء لا بد أن يكون دامغاً ، فقد أخبر في كتابه إنه خلق الإنسان من التراب من أديم الارض ، كما نص قوله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [4] .

ويذكر المفسر الشيرازي إن نسبة بدايتنا إلى التراب فيه تفسيران :

الأول – أن جميع البشر يعودون إلى آدم ، وآدم (عليه السلام) مخلوق من تراب قال تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [5] ، والتفسير الثاني – إن المواد الغذائية التي تكونت منها أجساد الآباء والأجداد مكونة من عناصر التراب ، وما نحن إلا سليل لتلك

---

(1) العنكبوت : ١٩ – ٢٠ .
(2) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٩٣/٨.
(3) يونس : ٣٤ .
(4) طه : ٥٥.
(5) ال عمران : ٥٩.

الأجساد [١] ولهذا نجد العديد من الآيات تحدثت عن أصل تكويننا من التراب قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ﴾ [٣] ، فبعد خلقكم من التراب ، فإذا أنتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض ، متصرّفين على ظهرها ، متفرّقين في أطرافها [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ [٥] ، هذا خطاب من الله سبحانه لجميع خلقه من البشر انه خلقهم من تراب ويريد أن آدم الذي هو أبو البشر، ومنه تناسلوا خلقه من تراب ومنه توالدوا ،وقيل : إن المراد به جميع الخلق ، لأنهم إذا خلقهم من نطفة والنطفة تستحيل من الغذاء ، والغذاء يستحيل من التراب ، فكأنه خلقهم من تراب ، ثم جعل التراب نطفة بتدريج [٦] ، ثم جعلكم أزواجاً أيّ: أشكالاً و أنواعاً [٧] .

وتماشياً مع ما تمّ ذكره فإن التراب من التراكيب البسيطة ليس من الصعب والعجيب أن يخلق الله إنساناً مرة أخرى مثلما خلقه أول مرة من التراب يخلقه مرة أخرى من التراب ايضاً ، وهذا ما أراد القرآن إيصاله إلى المشككين بالبعث والعود من جديد ، ثم إن خلق الإنسان مرة ثانية أهون عليه من الخلق الأول قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [٨] فهو بداية خلقه من لا شيء قال تعالى : ﴿ **قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** ﴾ [٩] ، فالقادر على خلق البدن من لا شيء قادر على جمع أجزاءه المتلاشية ، وبعبارة أخرى إن إستبعاد خلق الإنسان بداية من العدم أولى من إستبعاد عودته مرة أخرى للحياة ، لإن وجود المواد الأساسية لخلقه موجودة من العظام ، وغيرها المتناثر في أرجاء الأرض والفضاء وهذه حقيقة واضحة كالشمس في علياءها ، فالأرض التي نسير عليها ، والفضاء الذي يدور حولنا يحمل بين جزئياته من مكونات أسلافنا الذين سكنوا وعاشوا في هذه الأرض ، ويطرح هذه الحقيقة أحد الشعراء الكبار ، حيث قال :

---

(١) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٤/١٠.
(٢) نوح : ١٧ – ١٨ .
(٣) الروم : ٢٠ .
(٤) ينظر : زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ٢٥٧/٥.
(٥) فاطر : ١١.
(٦) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٤١٨/٨.
(٧) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ) : ٤٣٢/٢.
(٨) الروم : ٢٧.
(٩) مريم : ٩ .

كُلُّ ذَرَّاتِ هذهِ الأرْضِ كانَتْ ... أَوْجُهاً كَالشُّمُوسِ ذاتَ بَهَاءِ

أُجْلُ عَنْ وَجْهِكَ الغُبَارَ بِرِفْقٍ ... فَهْوَ خَدٌّ لِكَاعِبٍ حَسْنَاءِ [1] .

فقط تحتاج إلى إعادة تنظيم ، والله يقول : للشيء كن فيكون ، فيرجع الشيء ويرجع الإنسان إلى شكله وتركيبه الأول [2] ، بل إن قدرته سبحانه لم تكتفي بجمع العظام فقط ، وإعادة هيكلتها مثل ما كانت ، بل بل قادر حتى في تسوية بنانه ، وإعادة البصمات الأولى للمخلوق قال تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ [3] ، والبنان ، الأصابع وتسويتها تصوريها على ماهي عليه [4] ، ثم إن الذي يفنى هو خصوص الجسد في الدنيا ، أمّا الروح باقية لا تفنى يتلقاها ملك الموت قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾ [5] ، وهذا ما لا يستطيع فهمه في الجاهلية ، ، إذ إن نظرتهم المادية تقتصر على المحسوس المرئي فقط ، أمّا الروح فهي أكبر من أن تستوعبه العقول آنذاك .

ثانياً – خلق الإنسان أسهل من خلق الموجودات العظيمة .

إن ميزان السهل والصعب والكبير والصغير فقط عند البشر ، والقرآن الكريم طرح هذه الفكرة من منظور فكر الإنسان ، أمّا عند الله فواحد لا يعجزه شيء ، فهو يملك القدرة المطلقة ، والقادر على كل شيء وإجابات القرآن بهذا الميزان لتقريب الفكرة وتأكيد قضية أعادة الخلق مرة ثانية ، وبهذا قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا** ﴾ [6] ، فخلق الإنسان الرقيق لا شيء أمام خلق أكبر وأعظم منه مثل مثل الأفلاك والسماوات والأرض وما فيهن من موجودات عظيمة ، وإن الحجارة والحديد قد تكون أقوى

([1]) رباعيات الخيام ، غياث الدين الخيام (ت:٥٢٦هـ) :١ ، تر : احمد الصافي النجفي ، طهران .
([2]) ينظر : الاقتصاد في الاعتقاد ، ابو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) : ١١٦، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
([3]) القيامة : ٣ – ٤ .
([4]) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ٢٣٥/٢٣.
([5]) السجدة : ١٠ – ١١ .
([6]) الاسراء : ٤٩ – ٥٠ .

وأكبر من العظم وأبعد عن صفة الحياة يقول الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ((فَإِنَّ الْمُنَافَاةَ بَيْنَ الْحَجَرِيَّةِ وَالْحَدِيدِيَّةِ وَبَيْنَ قَبُولِ الْحَيَاةِ أَشَدُّ مِنَ الْمُنَافَاةِ بَيْنَ الْعَظْمِيَّةِ وَبَيْنَ قَبُولِ الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءا مِنْ بَدَنِ الْحَيِّ أَمَّا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ فَمَا كَانَا الْبَتَّةَ مَوْصُوفَيْنِ بِالْحَيَاةِ، فَبِتَقْدِيرِ أَنْ تَصِيرَ أَبْدَانُ النَّاسِ مَوْصُوفَةً بِصِفَةِ الْحَجَرِيَّةِ وَالْحَدِيدِيَّةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِيدُ الْحَيَاةَ إِلَيْهَا وَيَجْعَلُهَا حَيًّا عَاقِلًا كَمَا كَانَ)) [١] .

وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى في موضع آخر : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ [٤] ، فإن الله مثلما قادر على خلق هذه التراكيب العظيمة قادر على خلق الإنسان ، كما إن له مطلق التصرف فيها خلقاً وإيجاداً ، وفناءً وإن ضرب المثال هنا للإستدلال بالأعلى على الأدنى وبالأكبر على الأصغر ، وبالأعظم على الأضعف ، يقول سبحانه : ﴿ **أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** ﴾ [٥] ، والإستفهام هنا إنكاري [٦] فما خلق الإنسان الدقيق من هذه التراكيب العظيمة والدقيقة ، والقرآن الكريم يطرح هنا تساؤلاً يقول فيه : إن هذا الكون المرئي أمام أعين المشككين في المعاد ، وما فيه من مخلوقات متناهية دقيقة وأخرى عملاقة عظيمة حيث إن كل جزء في هذا الكون عالم كامل متكامل ، والقوانين التي تحكمه والأنظمة التي تسيره هل يصعب عليه أن يخلق مثلهن ؟! ، ويأتي الجواب في ذات الآية لكونه لا يحتاج إلى تفكير لإن الإجابة تقبع في الأرواح والقلوب ، فالله له القدرة المطلقة والعلم المطلق الذي خلق كل هذه العظمة قادر على خلق الإنسان الضعيف المكون من مجموعة عظام وانسجة دقيقة ، فهو مخلوق من

---

(١) مفاتيح الغيب : ٣٥٢/٢٠ .
(٢) غافر : ٥٧.
(٣) الاحقاف : ٣٣ .
(٤) الاسراء : ٩٨ – ٩٩ .
(٥) يس : ٨١ .
(٦) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٨٤/١٤.

مادة لا تملك مكوناتها القوة والصلابة ، وهو الطين قال تعالى : ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ** ﴾ [١] ، قال ابن عباس (ت:٦٨هـ) الطين اللازب هو الملتصق من الطين الحر الجيد[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ [٣] ، وفي المجمع السلالة : اسم لما يسل من الشئ ، وتسمى النطفة سلالة ، والولد سلالة ، وسليلة ، والجمع سلالات وسلائل فالسلالة : صفوة الشئ التي يخرج منها كالسلاف [٤] ، وقال تعالى في نص آخر : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ [٥] ، ولملمة أجزاءه مرة أخرى يوم الحساب يقول أحد الباحثين : ((قبيح في نظر البشر أن يُرمى بالعجز عن حمل الشيء الحقير من يستطيع حمل العظيم، ومثله إذا غلب إنسان رجلاً شديد البأس قوياً لا يقال له: إنك لا تستطيع أن تصرع هذا الهزيل الضعيف، ومن استطاع أن يبني قصراً لا يعجزه بناء بيت صغير، ولله المثل الأعلى فإن من جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس، فكيف يقال للذي خلق السماوات والأرض أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها)) [٦] .

ثالثاً – إحياء الأرض دليل إحياء الخلق .

إن الارض الخالية عندما ينزل عليها المطر تنبت فيها النباتات والأشجار وتدب فيها الحياة ، وهذه المشاهد الحية للأراضي مثلها تعود يوم القيامة ، حيث تبث الحياة من جديد ، ويخرج الناس من قبورهم بعد إن كانوا أموات إلى الحياة مرة أخرى قال تعالى : ﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾ [٧] في الآية الكريمة يوضح كيفية إحياء الأرض من قبيل مدها وتثبيت سلاسل الجبال فيها وإنبات النباتات المختلفة من كل صنف وزوج والتي إمتلأت بها البساتين من الثمار والحبوب والنخيل التي هي رزق للعباد فخرجت من الأرض الميتة كذلك خروج الإنسان من بعد موته وهي لفتة عظيمة من عالم

([١]) الصافات : ١١.
([٢]) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٤٨٦/٨.
([٣]) المؤمنون : ١٢.
([٤]) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٧٩/٧.
([٥]) الانعام : ٢.
([٦]) القيامة الكبرى ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (ت:١٤٣٣هـ) : ٧٧، دار النفائس ، الأردن ، ط٦ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
([٧]) ق : ٧ – ١١ .

النباتات والحياة لتكشف عن حقيقة البعث وإن الذي بارئ عالم الموجودات قادر على الإعادة مرة اخرى [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٢] ، فمثلما تبدل الارض الميتة والجافة والتي كانت أشبه بمقبرة هامدة إلى مركز فعّال نابض بالحياة ، كذلك خروج الأموات إلى الحياة الجديدة كذلك يخبر القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾** [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾** [٤] ، ففي لغة الخطاب إستعمل ﴿أَنَّكَ﴾ وهي عامة لكل سامع لم يحدد معين في توجيه الخطاب إليه ترى الأرض خاشعة والخشوع من التذلل فوصف حال الأرض الخالية من النباتات كحال المتذللة ، فإذا نزل عليها الماء أهتزت فقد شبه الأرض بعد إنباتها وأرتفاع النبات فيها بعد إن كانت منخفضة بالأهتزاز ، وهذا التشبيه في الأرض إستخدمه في المعاد والآيات واضحة في دلالتها ، فمثلما أحيا الله الأرض يحي غيرها من مخلوقاته ، وهذا خير دليل على البعث ، والنشور يوم القيامة [٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾ [٦] ، ايّ : تخرجون وتنشرون من قبوركم [٧] ، وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ للسائل : أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا؟ قَالَ : بَلَى، قَالَ : ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ [٨] ،

([١]) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٣/١٧-١٤.
([٢]) الاعراف : ٥٧.
([٣]) فاطر : ٩ .
([٤]) فصلت : ٣٩.
([٥]) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٣٠٢/٢٤.
([٦]) الزخرف : ١١ .
([٧]) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٣٨٥/٤.
([٨]) ينظر : المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ) : ٦٠٥/٤، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠م .

، ومن جملة إجابات القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [١] .

ثم يخبر الله المراحل التي يتكون منها الإنسان ، وهذه بحد ذاتها علامة من علامات قدرة الله العجيبة في تكوين تركيبة البشر ، حيث قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [٢] ، فالبداية خلق الله تعالى الإنسان من التراب ثم من نطفة وقد تقدم الحديث عنهما ، ثم العلقة ، وهي عبارة عن دم جامد ، بعدها يتحول إلى المضغة وهي القطعة من اللحم تامة وغير تامة ، قال الاعرابي : مخلّقة قد بدأ خلقها ، وغير مخلّقة لم تصور ، بعدها يصبح الطفل وتستمر معه سلسلة الحياة إلى أرذل العمر، فالتغيرات التي تحدث خلال مراحل تكوين الجنين واحدة من أكبر الادلة الدالة على قدرة الله في خلق الإنسان ، وبالتالي القدرة في إيجاد معاد للناس يعيدهم من جديد بعد الفناء ، وبما ان المعاد أمر غير محسوس وثير الشك في من لا يحرك عقله فإستند في حقيقة وجوده على ظاهرة حسية ملموسة [٣] .

وقد تحدثت آيات أخُر عن هذه المراحل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ [٤] .

وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ**﴾ [٥] .

---

(١) الروم : ٥٠ .
(٢) الحج : ٥ – ٧ .
(٣) ينظر : من وحي القرآن ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ١٩/١٦.
(٤) المؤمنون : ١٢ – ١٦ .
(٥) القيامة : ٣٧ – ٤٠ .

إن المراحل التي تحدث عنها القرآن الكريم وقت نزول الآيات لم يتوصل العالم في حينها إلى معرفتها وعن مرور التكوين الإنساني بمراحله المختلفة إبتداءً من الطين مروراً بالنطفة ، والعلقة والمضغة ، لتتحول بعدها إلى العظام ، وتنتهي بإكساها اللحم ، ويتكون الطفل داخل رحم أمه ، ثم يخرج بعدها إلى عالم الدنيا ، وتأتي بعدها المراحل الدنيوية من الطفولة إلى الكهولة ، وهو أرذل العمر ، وقد تناولت العديد من الكتب العلمية والإنسانية هذه المراحل العديدة ، حيث إن كل مرحلة منها عالم عجيب مليء بالأسرار والعجائب كلها علامة وبرهان على قدرة الله سبحانه وتعالى ، فمن أبدع كل هذا الخلق ، وبهذه الدقة والتنظيم يعجز عن إعادة رفات شخص ما مرة أخرى ؟ وهو الذي خلق الإنسان من لا شيء يصيره من تراكيب متعددة افلا يفكروا قليلاً ويعقلوا ما حولهم ؟ فالآيات التي حاججهم القرآن بها علامة على توحيده ، ونفي عبادة غيره من الآلهة المتعددة التي كانوا يعبدونها من خلال لفت القلوب والعقول إلى مواطن تفرّد الله ووحدانيته في الخلق .

رابعاً – الإخبار عن قصص إحياء الأموات في الدنيا .

من الأدلة الحتمية على وجود المعاد ورجع الأجساد والأرواح مثلما كانت الأخبار التي حكاها القرآن الكريم عن إعادة الحياة وبعثها من جديد في الأجساد ذاتها ، حتى تكون عبرة لمن أنكر وجود يوم آخر يعود فيه الناس مرة ثانية ، ومن ضمن هذه القصص التي تحدثت عنها ، ونقلتها جميع الكتب السماوية قصة أصحاب الكهف قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [1] ، والتي تعد من القصص العجيبة حقاً وكيف أعاد الله الحياة الى الفتية المؤمنة بعد إن أماتهم سنين طويلة ، لذلك عندما إستيقضوا بعد نومهم وجدوا كل شيء مختلف عن قبل النوم هذه هي قدرة الله التي أرجعت إليهم الحياة هي نفسها قادرة على إرجاع الحياة إلى البشر بعد الموت يوم المعاد ، ثم إن المشككين والمنكرين لوجود المعاد موجودين في كل عصر غرضهم محاربة دعوى التوحيد والقرآن عندما حكى قصتهم أراد من خلالها إبطال مزاعم الكافرين ، وفي الوقت ذاته تفنيد شكوك المشككين وتأكيد يقين المؤمنين .

([1]) الكهف : ٩ – ١٣.

لم يكتفِ القرآن الكريم بحكاية واحدة فقط ، لإن حجته قوية دامغة ومؤكدة ، فقد أخبر ايضاً عن قوم موسى (عليه السلام) الذي أماتهم الله بالصاعقة ، ثم أحياهم من جديد ، حيث قال : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [١] وهذه الحادثة خير دليل وبرهان على العودة إلى الحياة بعد الممات ، إذ تتحدث عن مجموعة من بني إسرائيل أخذهم موسى (عليه السلام) لمناجاة الله ، إلا أنهم طلبوا منه أن يروا الله جهرة ، حتى يصدقوا كلام موسى (عليه السلام) فأخذتهم الصاعقة نتيجة قولهم هذا ، وكانت علامة على وجود الله [٢] .

كذلك أخبر القرآن الكريم عن قصة القتيل الذي أحياه الله بأحد أعضاء البقرة قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [٣] ، فالواضح من الآية الكريمة إن هناك شخص مقتول واختلفوا فيما بينهم ، عن معرفة القاتل ، إلا أن الله طلب من موسى أن يضربوا القتيل بأحد أجزاء البقرة ليعود إلى الحياة ، ويخبر عن القاتل والغرض الأساسي من القصة ، ومن الإحياء وقت حدوث الحادثة واضح لا يحتاج إلى تأويل أو شك هو إثبات وقوع البعث والمعاد مرة ثانية أمام المنكرين وإن الله قادر على إعطاء الحياة من بعد الموت ، ثم تحدث القرآن الكريم عن أحد الأقوام الي كانت تخشى وباء معين أنتشر فيما بينهم ، أو في المكان التي كانوا يقطنون فيه ، فهربت جموع مؤلفة من القرية خوفاً من المرض ، فأماتهم الله بذلك المرض ، ثم أحياهم من جديد [٤] ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ [٥] ، وهذه الحادثة ايضاً من دليل حي على تأكيد المعاد ، ثم حكى ايضاً عن قصة عزير العجيبة فقال في كتابه العزيز : ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٦] ، وكيف أماته الله مئة عام ، ثم

---

(١) البقرة : ٥٥ – ٥٦ .
(٢) ينظر : بحر العلوم ، ابو الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) : ٥٤/١.
(٣) البقرة : ٧٢ – ٧٣.
(٤) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :١٣٨/٢-١٣٩.
(٥) البقرة : ٢٤٣.
(٦) البقرة : ٢٥٩.

أحياه وأحيا حماره معه ، بل أصبحت آية للناس ، وهي من الشواهد الحية على وجود الميعاد ايضاً [١].
كذلك قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) مع الطيور قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [٢] ، إذ طلب منه تعالى مزج لحم الطيور مع بعضها ليريه الجواب الفعلي لسؤاله ، ووضع كل مجموع من اللحم والريش على نقطة معينة ، ثم يناديها لتأتي إليه ، وتتشكل مثلما كانت قبل الذبح ، فكانت هذه المعجزة علامة إعادة الحياة والأجساد مرة أخرى [٣] ، ثم يخبر القرآن إن واحدة من معجزات نبي الله عيسى (عليه السلام) هي أحياء الموتى بأذن الله كما قال تعالى : ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [٤] ، فالنبي البشري وهو إنسان محدود القدرات قام بأحياء الأموات بقوة من قبل الله فكيف بالله الواحد الأحد هل هذا العمل محال عليه ؟

خامساً – إقامة العدل .

إن الناس في هذه الدنيا أقسام ما بين عادل ، وظالم ، ومؤمن ، وكافر ، وصادق ، وكاذب وغيرها من الصفات الحسنة والقبيحة ، فالبعض يرتكب في حياته المفاسد والشرور ، ثم تنتهي دون أخذ الجزاء على جرائمهم ، وهناك من يقضي حياته بالظلم والآلام ، ثم يختم ملف حياته دون نيله السعادة والراحة ، وهذا الشيء لا يتناسب مع الحكمة الالهية ، والعدل الرباني قال تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [٥] ، والألف هنا للإستفهام ، والمقصود منه الإنكار ، فكيف له أن يظن أنه يهمل ، وهو يرى في نفسه ، ومن تنقل الأحوال المصّيرة لتكوينه ، ما يمكنه أن

---

(١) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٣٢٢/٢.
(٢) البقرة : ٢٦٠.
(٣) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٩٢/٢_١٩٣.
(٤) ال عمران : ٤٩.
(٥) القيامة : ٣٨ – ٤٠ .

يستدل به على أن هناك صانعاً حكيماً أكمل عقله وأقدره وخلق فيه الغرائز ، فيعلم أنه لا يجوز أن يخليه من دون تكليف [١] .

فلا بد وأن يعود الإنسان إلى يوم عدل تؤخذ فيه الحقوق المسلوبة وتعطى لأصحابها ، وهذه عدالة الله للبشر لا يتساوى فيها الصالح والطالح قال تعالى : ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ [٣] ، وفي موضع آخر أكد العدالة بقوله : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [٥] ، وقال تعالى :﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾ [٦] ، فإن الله لم يخلق البشر عبثاً ، ولم يتركهم يتركهم وحدهم في الدنيا دون إختبار ودون الرجوع إليه ، وأعطاء كل ذي حق حقه لينال المحسن الإحسان ويجازي المسيء بالعقاب قال تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [٧] [٧] ، إذ إن وجود يوم المعاد كائن حتماً ، فلو لم يوجد لتعطل توفية عقاب المفسدين الظالمين ، ولتعطل توفية ثواب المحسنين وهذا يعارض خلق السماوات والأرض بالحق قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ [٨] .

([١]) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٠٤/١٠ .
([٢]) ص : ٢٨.
([٣]) يونس : ٤ .
([٤]) القصص : ٦٠ – ٦١ .
([٥]) الجاثية : ٢١.
([٦]) ابراهيم : ٤٢ .
([٧]) المؤمنون : ١١٥.
([٨]) الحجر : ٨٥.

سادساً – النوم دليل وجود البعث .

النوم في عالم الدنيا يشبه كثيراً الموت والإستيقاظ يشبه البعث من جديد قال تعالى : **﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [١] .

وقوله في النص : **﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾** واضح وصريح في هذا المعنى ، قال ابن زيد [٢] : ((النوم وفاة ، والموت وفاة)) [٣] ، ولعل الآية الكريمة في قوله تعالى : **﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [٤] أدل دليل على إن النوم موت ، وفي حديث للرسول الكريم يؤكد هذا المعنى قال : (صلى الله عليه وآله وسلم) ((اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا)) ،إذا استيقظ من منامه قال : ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)) [٥] ، وفي حديث آخر نقله جابر بن عبد الله الأنصاري (ت: ٧٨هـ) قال : سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن نوم أهل الجنة فقيل : يا رسول الله ، أينام أهل الجنة ، فقال : (صلى الله عليه وآله وسلم) ((النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَلَا يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ)) [٦] ، ففي النوم علامة علامة وبرهان على الإحياء من جديد ، وفيه إلقاء حجّة على المنكرين لقدرة الله على إحيائهم مرة ثانية بعد أن يصبحوا رفاتاً وعظاماً ، مثلما يوقظ نفوسهم بعد النوم يقول المفسر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) : ((النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ جَوْهَرٍ مُشْرِقٍ رُوحَانِيٍّ إِذَا تَعَلَّقَ بِالْبَدَنِ حَصَلَ ضَوْؤُهُ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ وَهُوَ الْحَيَاةُ، فَنَقُولُ إِنَّهُ فِي وَقْتِ الْمَوْتِ يَنْقَطِعُ تَعَلُّقُهُ عَنْ ظَاهِرِ هَذَا الْبَدَنِ وَعَنْ بَاطِنِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْمَوْتُ، وَأَمَّا فِي وَقْتِ النَّوْمِ فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ ضَوْؤُهُ عَنْ ظَاهِرِ الْبَدَنِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ وَلَا يَنْقَطِعُ ضَوْؤُهُ عَنْ بَاطِنِ الْبَدَنِ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمَوْتَ وَالنَّوْمَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّ الْمَوْتَ انْقِطَاعٌ تَامٌّ كَامِلٌ وَالنَّوْمُ انْقِطَاعٌ نَاقِصٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ظَهَرَ أَنَّ الْقَادِرَ الْعَالِمَ الْحَكِيمَ دَبَّرَ تَعَلُّقَ جَوْهَرِ النَّفْسِ بِالْبَدَنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: أَنْ يَقَعَ ضَوْءُ النَّفْسِ عَلَى جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ وَذَلِكَ الْيَقَظَةُ وَثَانِيهَا: أَنْ يَرْتَفِعَ ضَوْءُ النَّفْسِ

---

(١) الزمر : ٤٢.
(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوي مفسر من اتباع التابعين ، ينظر : تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (ت:٧٧٧هـ) : ١٧٧/٦، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، ط١ ، ١٣٢٦هـ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٢٦١/١٥.
(٤) الانعام : ٦٠.
(٥) صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ٦٩/٨.
(٦) شعب الإيمان ، ابو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) : ٤٠٩/٦، تح : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

عَنْ ظَاهِرِ الْبَدَنِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ دُونَ بَاطِنِهِ وَذَلِكَ هُوَ النَّوْمُ وَثَالِثُهَا: أَنْ يَرْتَفِعَ ضَوْءُ النَّفْسِ عَنِ الْبَدَنِ بِالْكُلِّيَّةِ وَهُوَ الْمَوْتُ فَثَبَتَ أَنَّ الْمَوْتَ وَالنَّوْمَ يَشْتَرِكَانِ فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَوَفِّيًا لِلنَّفْسِ، ثُمَّ يَمْتَازُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ بِخَوَاصَّ مُعَيَّنَةٍ فِي صِفَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمِثْلُ هَذَا التَّدْبِيرِ الْعَجِيبِ لَا يُمْكِنُ صُدُورُهُ إِلَّا عَنِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ)) [1] .

سابعاً – حتمية المعاد ، والعقاب مصير المكذبين .

إن القرآن الكريم يستعمل إسلوب الترهيب ، والتخويف بعد إستهلاك كل الإجابات المؤكدة لوجود المعاد ، وهذا الأسلوب سبق وإن تطرقنا إليه وعرفنا به ، وهو أسلوباً يستخدم في المراحل النهائية من العلاج لردع المعاندين والمتمسكين بفكرهم المنحرف يقول تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾ [2] ، هنا يدعو بالويل لمن كذب بيوم المعاد هذا ويوم بعث الأموات من جديد ، ثم يصف حالهم بأنهم لا ينطقون من شدة الفزع من أهواله ، أو أن الله يطبق على أفواههم كما نص في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [3] ، كما لا يؤذن لهم للإعتذار ، فلس لهم الحق ، ولا الرخصة في الكلام أو الإعتذار عن ما فعلوه في الدنيا من تكذيبهم لهذا اليوم ، وتكذيب دعوة الأنبياء الذين أكدوا لهم وجود البعث والمعاد ، وكأن الأقفال ضريبة الأنكار ، ويعد هذا الختم عذاب بحد ذاته ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:((الله أجل واعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر ولا يدعه يعتذر به ولكنه فلج فلم يكن له عذر)) [4] وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [5] .

إن الواضح من خلال الآية الكريمة إرتباط الإيمان بوجود المعاد مع الإيمان بتوحيد الله ، وربوبيته ، وهذا ما ذكرناه سابقاً ، فسوء الظن بوجود المعاد ما هو إلا نتيجة سوء الظن والكفر بالله ، ثم إن كفرهم وعنادهم قيدهم بقيود الأصنام وعبادتها وقيود المادة والجهل وربطها بهم كالأغلال لا يستطيعون الإنفكاك

---

(1) مفاتيح الغيب : ٤٥٦/٢٦.
(2) المرسلات : ٣٤ -٣٦.
(3) يس : ٦٥.
(4) تفسير نور الثقلين ، الحويزي (ت:١١١٢هـ) : ٤٨٩/٥.
(5) الرعد : ٥.

منها ، ومثل هكذا أشخاص ليس لهم عاقبة ومصير ، إلا دخول النار ، وهذا ما قاله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [1] ، وقال في موضع آخر : ﴿ **بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ** ﴾[2] ، وهناك الكثير من الآيات التي تصف عذاب المكذبين بيوم الآخرة والبعث من جديد ، لا يسع المجال لذكرها هنا جميعاً .

إن القرآن دائماً ما يبحدث على إستعمال العقل ، فمن خلال النظر في هذا الكون وما يحدث فيه يومياً من ولادة وممات ممكنة لزم التصديق بإمكانية حدوث عالم آخر غير عالم الدنيا فمن أوجد الدنيا يستطيع إيجاد الآخرة وفي هذا الصدد يقول أحد العلماء (رحمه الله) ((العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود لأن هذا العالم ممكن الوجود وحكم المثلين واحد ، فلما كان هذا العالم ممكنا وجب الحكم على الآخر بالإمكان وإلى هذا البرهان أشار بقوله : حكم المثلين واحد)) [3] .

ومن هذا المنطلق نرى إن هذه المعالجات التي طرحها القرآن الكريم كانت كفيلة في القضاء على عقيدة إنكار اليوم الآخر ، كما كانت دليلاً قوياً على المشككين بوجوده ، إذ أن من خلال تنوع الأدلة الدالة على المعاد أغلقت كل الأبواب أمام الحجج الضآلة في كل عصر ومصر ، فجاءت متماشية مع كل الأزمان ومخاطبة لكافة العقول ، وعلى إختلاف مستوياتها ، وأصبحت كقوة الجذب إمتصت من خلالها كل الشكوك والشُبهات التي حاولت تغيير عقيدة البسطاء من الناس ، وتغلبت على أقوال الإستهجان والاستغراب الخارجة من افواه المنكرين من خلال بديهيات ومسلمات واضحة وجليّة لا يمكن إنكارها من ذوي العقول السليمة .

([1]) الاسراء : ١٠.
([2]) سبأ : ٨.
([3]) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ) : ٥٤١ ، تح : آية الله حسن زاده الآملي ، مؤسسة نشر الإسلامي ، قم –إيران ، ط٧ ، ١٤١٧هـ.

الفصل الثاني : (الإنحرافات التشريعية ومعالجاتها)

المبحث الأول – الميراث

المبحث الثاني – الزواج

المبحث الثالث – الحج

المبحث الأول

الميراث

توطئة :

يشغل الميراث جانباً من جوانب الأمم والشعوب ، وقد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من مسألة الميراث فالأقوام والشعوب تعرفها قديماً وحديثاً ، وشُرعت لأجله القوانين سواء كانت سماوية أمّ أرضية ، ووضعت العقوبات لمن تسول له نفسه الإحتيال والقفز على قوانينه ، حتى عُد واجباً وضروريا عند البعض من أن يوصي على ثروته ، ثم إن نظام الكون يتطلب وجود تشريع للميراث لإن الإنسان غير مخلد في الحياة وإن له يوماً يغادر فيه هذه الدنيا ويبقى ما لديه من أموال وتركات ، فلا بد من جود نظام وقانون يعمل على حفظها من الضياع والتلف أو ضمان عدم وقوعها في آيادٍ غير أمينة ، فيعمل على تقسيمها وتوزيعها على ذوي الرحم والقرابة ، لإن المصلحة الإجتماعية والواقع العملي يملي تشريع قوانين للميراث لذلك كان الآباء والأجداد ، إذا إقتربت آجالهم يقومون بتوصية من بعدهم على تركتهم .

المطلب الأول – الميراث عند العرب قبل الإسلام .

من القضايا التي كانت منتشرة في المجتمع العربي قبل الإسلام قضية الإرث أو الميراث وقبل الدخول في تفاصيل توزيعها عند العرب ومعالجتها من قبل القرآن لابد من الوقوف على تعريف الإرث وأصل الهمزة فيه واواً ويعني به الأصل ، فيقال : إرث شيء أي : أصل شيء [١] ، وقيل : البقية [٢] ، فالمعنى يجمع بين انتقال الشيء وبقاءه بين الناس .

أمّا في الإصطلاح ، فهو: (إنتقال شيء كامل أو جزء من شيء من شخص انقضت حياته يسمى الموروث إلى شخص آخر أو مجموعة أشخاص يسمون الوارثين وقد يكون هذا الشيء مادياً وقد يون معنوياً) [٣] وجاء ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ** ﴾ [٥] .

---

(١) ينظر : الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ٢٧٢/١ مادة (إرث) .
(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١١٢/٢ مادة (إرث) .
(٣) ينظر : التحقيق في كلمات القران ، حسن مصطفوي (ت:١٤٢٦هـ) :٨٥/١٣ .
(٤) آل عمران : ١٨٠ .
(٥) النمل : ١٦ .

والميراث بصورة عامة في العصر الجاهلي يقتصر على علل معينة لإنتقال التركة وهي النسب والتبني والموالاة [١] ، ورغم هذه الأسباب إلا إن لهذه المسألة عند العرب إجحاف وظلم لشريحة كبيرة ممّن يستحقون الحق الشرعي من الميراث بسبب بعض الاعتقادات الخاطئة ، حيث إن العرف السائد العام في الجزيرة معروف أن يكون الإرث خاص بالرجال الأشداء والأقوياء الذين يخوضون المعارك الطاحنة ويدافعون عن القبائل متسلسلاً من الأبناء لكونهم الأقرب الى صاحب الميراث (المتوفى) ، ثم الآباء ثم الأخوة وبعدها يأتي أبناء العمومة أي: العظماء من رجال القبيلة وكما يقولون : (هي للذي قاتل على ظهر الخيول ، وطاعن بالرماح ، والضارب بالسيف والمحرز الغنيمة) [٢] ، إذ توجد عند أغلبهم قاعدة عامة في تقسيم الميراث بين الكبار من المحاربين الرجال ، فهم لا يرثون النساء ولا الجواري ولا الغلمان إلا من أطاق القتال [٣] ، ويُعد هذا العرف مرآة للظلم بحق النساء والصغار من الذكور فهم محرومون من التركة ، حتى وإن كانوا أقرب أقرباء المتوفى ، فالمعيار الأول للوراثة : (المقاتلة دون الذرية) [٤] ، على الرغم من إن الأولاد الصغار هم أحق وأولى في الحق وضمان لحياتهم كما يذكر القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ((ان الورثة الصغار كان ينبغي ان يكونوا احق بالمال من الكبار لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم فعكسوا الحكم ، وابطلوا الحكمة فظلوا بأهوائهم واخطأوا في آرائهم وتصرفاتهم)) [٥] و لم يكتفوا ببخس حقهم ، بل قد يصل الظلم احياناً الى أن تكون النساء من ضمن التركة هذا إذا لم يكن لديها ولد فتكون من حق الذكر البكر وهو المتصرف في الميراث إن شاء أبقاها معه وتزوج منها وإن شاء تنازل عنها إلى غيره وهكذا تنتقل من شخص لشخص حتى تستقر عند أحد ما من أهل أو أقارب المتوفى ، فهي ضمن التركة وما التركة إلا ملك وفي هذا المقام يذكر الرازي (ت:٦٠٦هـ) عاداتهم السيئة هذه : (إنهم كانوا إذا توفي الرجل كان لأوليائه الحق في أمرأته ان ارادوا زوجوها وان ارادوا لم يزوجوها فهم احق واولى بها حتى من نفسها واهلها) [٦] ، وقد بقي هذا العرف المشؤوم لبعض النساء سائداً عند العرب حتى جاء عصر الإسلام وأُلغيّ بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا**

---

(١) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) :٥ /٤٣٩.
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القران ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) :٤٦/٥.
(٣) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٣٩/٥ .
(٤) ينظر : احكام الاسرة في الجاهلية والإسلام ، ابراهيم فوزي : ١٨٨، دار الكلمة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣م .
(٥) الجامع لأحكام القرآن :٤٦/٥.
(٦) ينظر : مفاتيح الغيب :٩ /١٩٤.

تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [١] .

على الرغم من إن الأخبار متضاربة في إن هذه القاعدة لم تكن عامة وشاملة لكل القبائل فقد وجدت الإستثناء التي نقلتها إلينا كتب التأريخ في إن إرث المرأة يختلف حسب البيوتات العربية فقد كان هناك نساء يتصرفن بأموال ورثت إليهن كيف يشاء لهن ، كما أن هناك من أعطى للأنثى حقها من الإرث أمثال عامر بن جشم الملقب ب (ذو المجاسد) [٢] ، الذي كان تقسيمه مشابه لتقسيم القرآن ، إذ جعل حق كل إثنتين من الإناث حق رجل واحد ، وهذا فقد أثنى الشاعر أدهم بن ابي الزعراء الطائي [٣] ، على تصرف الحكيم عامر بتقسيم الإرث لان حكمه إتفق تماماً مع حُكم الإسلام فقال :

منا الذي حكم الحكوم فوافقت في الجاهلية سنة الإسلام [٤]

وعندما جاءت ام كجّة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شاكية عمّا فعل أخوة زوجها بعد إستشهاده [٥] أكبر دليل على وجود من ترث من النساء عند العرب ، حيث إستولوا على كل ما ورثته ولم ولم يعطوا بناتها حقهم فضيقوا عليهن الخناق وضاق الحال بهن ممّا إضطرت أمّ كجّة الى التوجه الى النبيّ شاكية سوء الحال وضعف الحيلة وكانت هذه الحالة أولى قطرات الغيث لإرجاع الحق إلى مستحقيه وللتغيير الذي سينال من عادة سيئة قبعت على حقوق الضعفاء من النساء والصغار فنزلت الآية : **﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾** [٦] دون التطرق الى التفصيل .

أمّا الأمر الثاني الذي تنتقل بسببه التركة هو التبنيّ والذي كان شائعاً عند العرب ، وهو أن يأتي رجل بولد غير ولده الذي أنجبه (أسيراً أو عبداً أو مولى)[٧] ، وينسبه إليه أمام الملأ فيوَرثه ويورِث منه

---

(١) النساء : ١٩.
(٢) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٥ /٤٤١.
(٣) أحد شعراء ديوان الحماسة عاش في العصر الأموي، وأدرك دولة بني العباس ، ينظر : الإعلام ، الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ) : ٢٨٢/١ .
(٤) المحبر ، ابن حبيب (ت:٢٤٥هـ) : ٢٣٦.
(٥) ينظر : اسباب نزول الايات ، ابي الحسن الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) : ٩٥، دار الاتحاد العربي ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٢م ، كنز العرفان في فقه القران ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، احمد بن محمد الثعلبي (ت:٤٢٧هـ) : ٢٦١/٣ تح : أبي محمد بن عاشور ، المقداد السيوري (ت:٨٢٦هـ) : ٣٢٦/٢، تح: الشيخ محمد باقر (شريف زاده) ، المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٤هـ .
(٦) النساء : ٧ .
(٧) ينظر : تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان (ت:١٣٣٢هـ) : ٢٥/٤، مؤسسة هنداوي ، القاهرة- مصر .

حسب عادات القبيلة أنذاك ، أيّ : إذا توفي المتبنيّ ورث ماله من تبناه كما يرث إبنه الحقيقي والعكس صحيح [١] ، وأستمر هذا الوضع جيل بعد جيل حتى مجيء الإسلام ، إذ لم يكن التبنيّ إنتقال للأموال فقط حتى إنتساب لأسمائهم ولقبائلهم ، وهذا ما حدث مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في بداية الإسلام عندما تبنى زيد بن حارثة وكان يسمّى بـ (زيد محمد) [٢] ، وهذا خير دليل على شيوع الأمر عند العرب وقد أستمر حتى بعد مجيء الإسلام ، ويمكن القول إن الرجل إذا رأى ما يعجبه في شخص من جلد وظفر ضمه لنفسه وخصه بنصيب من ميراثه المادي أو المعنوي كالنسب مثلاً .

أمّا العلة الثالثة فهي الموالاة أو الحلف ، وهو عقد أو ميثاق بين رجلين أو رجل وقبيلة ويقف عليه شهود من الملأ عند إبرامه مع القبول والرضا من قبل الطرفين وتكون صيغة العقد (دمي دمك وهدمي هدمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك) [٣] ، والحليف له منزلة كمنزلة أولوا الرحم يقع عليه ما يقع عليهم من ميراث وغيرها رغم كونه لا تربطه رابطة الدم والنسب ولا ينحدر من الجد الأعلى للقبيلة التي وضع نفسه تحت حمايتها وحماية افرادها ، إلا إنه فيما بعد ألغى الإسلام الأحلاف وذلك ما نتج عنها من إنتهاك لميراث أولي القربى وضياع لحقوقهم .

وبناءً على ذلك نرى إن سبب حصر التركة في الرجال الذكور سواء من الأقرباء أو التبنيّ أو الحلف ما هو إلا نتيجة لعادات وأعراف لقبائل القاطنة في شبه الجزيرة فعندما تسود المجتمع عادة الغارات والحروب فالقبائل بحاجة الى مقاتلين تستند إليهم لا على غلمان صغار ونساء قد تكون عبءاً على كاهل القبيلة واحياناً قد تكون سبباً في ضياع وهدر الأموال ، ويمكن القول إن الشجاعة هي الصفة البارزة عند العرب وهي مفخرة ومقدرة عندهم لذلك فأن الرجال الشجعان كان ما كان لهم من الميراث وهم مفضلون على سواهم من التركة حتى من أولياء الميت .

---

(١) ينظر : تاريخ العرب قبل الاسلام (دراسة في الاحوال الاجتماعية والفكرية والاقتصادية من خلال صحيحي البخاري ومسلم) ،اسعد عبد العزيز : ٢٩، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

(٢) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) :٢١/ ١١٩.

(٣) ينظر : زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ٥٧، تح : مؤسسة المعارف ، الناشر مؤسسة المعارف ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الإرث

راعى القرآن الكريم ومنذ أن نزل طبيعة البيئة الإجتماعية للعرب والأخلاقيات والسلوكيات التي كانت متجذرة في نفوسهم لذا لم تكن معالجاته دفعة واحدة لاسيما في مجتمع متخم بالمخالفات التشريعية وطباعهم القاسية ، لإن الغاية الأساسية تغيير المفاهيم الخاطئة والسلوكيات التي قد تكون ظالمة بحق الإنسان فكانت معالجاته متدرجة مراعية ظرف البيئة الإجتماعية ، حيث إن المتأمل في آيات القران الكريمة يدرك تماماً التباين والإختلاف في الإسلوب بين مواضيع السور المكية والسور المدنية ومسألة الإرث واحدة من القضايا التي كان من الصعب جداً تغيرها في البيئة المكية لكونها متجذرة بقوة في عقول ونفوس العرب لذلك بدأت معالجته في المدينة ، أيّ : بعد أن قويت شوكة الإسلام وثبتت الدولة الإسلامية قواعدها في الأرض وترسخت العقيدة في نفوس المسلمين حتى أصبحوا قادرين على تلقي تشريعات الإسلام وتطبيقها كما أراد الله لها أن تكون دون تردد أو شك ، ولهذا نجد إن أول ما قام به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وصوله المدينة عَمِد إلى نظام المؤاخاة بدل الحلف الذي كان سائداً آنذاك ، فأصبحت سِمة إجتماعية لها قيمة أكبر من الحلف ويكون التوارث بين المسلمين دون الأقارب قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [1] .

إن المقصود بقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ هم المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن جاهدوا بأموالهم في سبيل الدفاع عن الإسلام وأنفسهم بمباشرة القتال ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ﴾ هم الأنصار الذين تبوّءو الدار والإيمان والذي إنضمّ إليهم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والمهاجرين ونصروهم على الأعداء ، فبعضهم أولياء لبعضهم في الميراث ، وهذا ما قاله إبن عباس (ت:٦٨هـ) في قوله : ﴿ **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ أيّ : أولياء في الميراث ، إذ أن الهجرة هي علّة الوراثة في بداية تشريع الإسلام للميراث ولا يكتفي الإيمان فقط دون الهجرة [2] .

([1]) الانفال : ٧٢ .

([2]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) : ٥٦/٨ ، تح : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ٦٦/٣ ، تح : مؤسسة المعارف ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا** ﴾ ، قد نفى علّة التوارث بينهم في الحلف بنفيه الموالاة ، إذ لا تكفي الموالاة دون الهجرة [١] ، وقوله : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ إن نصرة المسلمين واجبة حتى وإن لم يهاجروا ، إلا في حالة وجهد عهد وميثاق مع غير المسلمين فلا يجوز لكم نصرهم عليهم لإنّهم لا يبتدؤن بالقتال ، إذ الميثاق مانع عن ذلك ، وتُعد نصرتهم نقض للميثاق [٢] .

ثم نسخ الحكم للمؤمنين المهاجرين من ذوي الأرحام كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [٣] ، فإن الملتحقين من المهاجرين والأنصار حكمهم ثابت في كتاب الله كحكم الأوائل ، لذلك وجب موالاتهم ونصرتهم وإن تأخّر إيمانهم وهجرتهم ، وقوله : ﴿ **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ فيه دلالة على أن من كان أقرب إلى الميّت في النسب كان أولى به في الميراث [٤] ، وهنا نهاية حكم التوارث بالهجرة بعد الفتح وسقوط حكم الهجرة ، كما جاء في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ...)) [٥] ، وبداية التوارث بالنسب [٦] .

ثم تقدم الإسلام خطوة أعلى في تشريع الميراث في سبيل القضاء على التقسيم الظالم في الجاهلية فجعل الميراث مناطاً بالقرابة وإبتدأ بالأبناء وأعطى للنساء حقها من الإرث قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾ [٧] ، فجاء التشريع بذكر الأقرباء اولاً ، سواء كان رجالاً أو نساءاً أو أطفالاً والآية فيها حكم مطلق وكلي لجميع الموارد فلا يدخل فيه التخصيص أو القيد [٨] .

---

(١) ينظر : أحكام القرآن ، أحمد بن علي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) : ٢٦٢/٤ ، تح : محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ .

(٢) ينظر : زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت٩٨٨هـ) : ٦٧/٣.

(٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) ينظر : م . ن : ٦٨/٣ .

(٥) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٤/٣ ، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

(٦) ينظر : أحكام القرآن ، الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) : ٢٦٢/٤ ، أحكام القرآن ، علي بن محمد الكيا الهراسي (ت: ٥٠٤هـ) : ١٦٦/٣ ، تح : موسى محمد علي وعزة عبد عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .

(٧) النساء : ٧ .

(٨) ينظر : أحكام القرآن ، الجصاص (ت:٣٧٠هـ) : ٣٦٦/٢ ، أحكام القرآن ، محمد بن عبد الله أبن العربي (ت:٥٤٣هـ) : ٤٢٦/١ ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ١٩٩/٤.

وقوله تعالى : ﴿ **مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ** ﴾ زيادة في التوضيح وأن لا مجال للمسامحة في شئ منه مهما كان قليل [١] ، وأكد عليه : ﴿ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ ، وأصل الفرض الثبوت [٢] ، إذ إستخدم إسلوب الأمر لكي يقطع كل شك وريبة في هذه المسألة ، لإن الإسلام عندما جاء وألغى عرف الجاهلية في الإرث أقام قوانينه على أساس الإنسانية لا على أساس مصلحة ومنفعة ، فالمرأة كائن إنساني مثلها مثل الرجل لها ما للرجل من حقوق الحياة وعليها ما على الرجل من واجبات أُنيطت إليها كل حسب سعته وقدرته قال تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...**﴾ [٣] .

ثم إن الدين الإسلامي ألتفت الى قضية خلقية بحتة حيث راعى فيها مشاعر الضعفاء في قولة تعالى : ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾ [٤] ، ففي الآية رعاية ملفتة ، بعد إن حصر الإرث في أولي الرحم الأقرب للمتوفي جعل للأيتام والمساكين من الأقرباء نصيباً من الإرث على إن هذا الأمر (مندوب) [٥] ، والقول المعروف ما هو ، إلا كلام عن طيب خاطر تسر قلوبهم حتى لا تبقى ضغائن وحقد تجاهكم ، ثم يدعوا الى الأوصياء أو الورثة أن يتفكروا في قرارة أنفسهم إذا ما منعوا القربى من النساء والصغار حقهم من الميراث فأن حال أبنائهم سيصبح كحال من منعوا ميراثه قال تعالى : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ [٦] ، وهذه واحدة من أساليب القرآن يخاطب فيها الوجدان ويدعوا للتأمل ، يقول ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : (فقد ابتدأ الموعظة أمرهم بالخشية من الله ، ثم لمس قلوبهم بأثارة شفقة الآباء على ذريتهم بأن جعل مكانهم مكان المورثين الذين اعتدوا على اموالهم وجعل مكان ابنائهم منزلة اصحاب الحق وزاد من الشفقة على تنبيهم بأنهم ضعاف) [٧] ثم يحذرهم إذا إستمروا في عصيانهم ولم تؤثر فيهم كل العلاجات السابقة عن سماعة عن بن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ((إن الله وعد في حال اليتيم عقوبتين اثنتين : اما احدهما : فعقوبة الآخرة النار واما الأخرى : فعقوبة الدنيا وقوله (وليخش الذين ظلموا) قال : يعني بذلك يخش أن أخلقه في ذريته كما

---

(١) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ١٩٩/٤.
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٢٠/٣ .
(٣) البقرة : ٢٨٦ .
(٤) النساء : ٨ .
(٥) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) :٢٥١/٤ ، الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٣ /٨٠.
(٦) النساء : ٩ .
(٧) ينظر : التحرير والتنوير :٢٥٢/٤.

صنع بهولاء)) [1] وقد ورد إسلوب الترهيب في القرآن في سن الفرائض عموماً ومنها الميراث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [2] ، فبدأ بتحذير من يأخذ أموال الورثة الصغار من أقرباء المتوفى حتى لا تبقى باقية من رواسب المجتمع الجاهلي بين المسلمين ، فعن السدي في صدد الآية قال : ((إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلمًا، يُبعث يوم القيامة ولهبُ النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم)) [3] ، فالتشبيه في الآية الكريمة خير رادع للذين يؤمنون بالحقائق هذه حتى لا تطاوعهم أنفسهم ويأخذهم الغرور في إرتكاب مثل هذه المعاصي ، فأي عاقل يجرأ أن يلمس شعلة بسيطة من نار الدنيا ، فكيف له أن يحمل في بطنه نار حامية وأيّ نار ، نار الآخرة .

ثم يبدأ القرآن مسألة تقسيم الإرث بحسابات ربانية دقيقة نزلت وأعطت كل مستحق حقه وحسب درجة القرابة قال تعالى ﴿ **يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [4] ، تعددت الأسباب في نزول الآية الكريمة إلا أنه لا ضير في ذلك ، لإن الغاية المرادة بيان تشريع قوانين الميراث الثابتة فإبتدأ بأقرب الأرحام وهم الأولاد ، والقاعدة عامة ، والوصاية هنا بمعنى الأمر والفرض أيّ: يأمر الله عز– وجل أن تجعلوا سهم الذكر مثل سهم الأنثيين [5] إبتدأ الخطاب بـ ﴿ **يُوصِيكُمُ** ﴾ لإن الوصاية تحمل النفع للمأمور دائماً وإهتمام الآمر لصلاحه [6] ، وإذا نظرنا إلى إلتفات القرآن في قوله : ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾ لمّا كان في الجاهلية يرثون الرجل دون النساء جاءت الصيغة مقدمة لفظ الذكر حيث إنها توحي يكفي للذكور إن ضوعف نصيبهم من الميراث ضعف الأنثى حتى لا يتمادوا في حقهن ولا يحرمن من حقهن ثم أنها الأصل في تعيين سهم الذكر ، إذ أن من خلال معرفة سهم الأنثى يعرف سهم الذكر [7] ، فمن كان له أولاد ولم يكن له ورثة غيرهم فكل ذكر فيهم صغيراً أو كبيراً سهم

([1]) البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني (ت:١١٠٧هـ) : ٣١/٢، تح: قسم الدراسات الاسلامية ، قم – إيران .
([2]) النساء : ١٠.
([3]) جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٢٦/٧ .
([4]) النساء : ١١.
([5]) ينظر : معاني القرآن واعرابه ، ابو أسحاق إبراهيم الزجاج (ت:٣١١هـ) : ١٨/٢ ، تح : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) :٢ /٣٢-٣٣ .
([6]) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٢٥٦/٤ .
([7]) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٨٨/٣.

إثنين من الإناث [١] ، وممّا يجب بيانه إن هذا التقسيم للمسلمين يخرج منها العبد والكافر والمرتد والقاتل [٢] ، لحديث النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ قال ((لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ)) [٣] ، وقوله وقوله : ﴿ **فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ** ﴾ ، فأن كان للميت بنات أكثر من أثنتين فلهن الثلث يُقسم بينهن ، ثم جعل للبنت الواحدة النصف كما في النص الكريم [٤] ، أمّا الإمامية فقد قالو إن البنت إذا أنفردت تأخذ جميع المال لإنهم أنكرو الميراث بالعصبة وحصروه بالطبقات وهو أصل الميراث عندهم فلا يرث مع الولد والأبوين إلا الزوج والزوجة [٥] ، وإذا كانتا أثنتين أو اكثر فيقسم المال بينهن بالتسوية [٦] ، وقد وقع الخلاف بين العلماء عند بقية المذاهب في في تعيين سهم البنتين بين الثلث والنصف ولا يسعنا طرح الآراء ، لإن ذلك سيؤدي إلى الخوض في الجزئيات والخلافات وهذا يخرج عن عنوان البحث الرئيسي .

وقوله ﴿ **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ .

وفي الآية بيّن القرآن ميراث الأم والأب ، فإذا كان للميت أولاد فمقدار سهميهما السدس ، أمّا إذا لم يكن للمتوفى ولد فللأم الثلث والباقي للأب [٧] ، أمّا في قوله ﴿ **فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ** ﴾ ففي المسألة خلاف بين المذاهب لا يسع البحث الخوض في تفاصيلها .

---

(١) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٣٠/٧ .
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٢٩/٣ .
(٣) ينظر : سنن أبن ماجة ، أبو عبد الله محمد ابن ماجة (ت:٢٧٣هـ) : ٩١٢/٢ ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء إحياء الكتب العربية ، الأستبصار ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٨٩/٤ ، تح : لسيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية – طهران .
(٤) ينظر : أحكام القرآن ، الجصاص (ت:٣٧٠هـ) : ٩/٣ ، اللباب في الفقه الشافعي ، أحمد بن محمد الشافعي (ت٤١٥هـ) : ٢٧١ ، تح : عبد الكريم بن صنيتان العمري ، دار البخارى، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية ،ط١ ، ١٤١٦هـ ، المبسوط ، محمد بن احمد السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) : ١٣٨/٢٩، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، فقه القرآن ، قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ) : ٣٣١/٢ ، تح : السيد أحمد الحسيني ، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، المغني ، موفق الدين ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ) : ٢٧٢/٦ ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، الذخيرة ، شهاب الدين أحمد بن أدريس القرافي (ت:٦٨٤هـ) : ٤٦/١٣ ، تح : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤م .
(٥) ينظر : فقه الرضا ، علي بن بابويه القمي (ت: ٣٢٩هـ) : ٢٨٦ ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم – – إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، الفقه على المذاهب الخمسة ، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) : ٥١١، دار التيار الجديد ، بيروت – لبنان ، ط الأخيرة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
(٦) ينظر : المقنع ، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) :٤٨٦ ، تح : لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) ، ١٤١٥هـ .
(٧) ينظر : مختصر المزني ، إسماعيل بن يحيى المزني (ت:٢٦٤هـ) : ٢٣٨/٨ ، دار المعرفة ، بيروت –لبنان ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، المقنع ، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٤٨٨ ، المبسوط ، السرخسي (ت:٤٨٣هـ) : ١٤٥-١٤٦ ، =

ويختم الآية من تأكيد الوصية بقوله ﴿ **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ ، إذ يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره : ((إن هذه العبارة تفيد أن قانون الإرث المذكور قد أرسى على أساس متين من المصالح الواقعية ، وأن تشخيص هذه المصالح بيد الله ، لإن الإنسان يعجز عن تشخيص مصالحه ومفاسده جميعاً فمن الممكن ان يظن البعض ان الآباء والأمهات اكثر نفعاً لهم ، ولذلك فهم أولى بالإرث من الأبناء وإن عليه أن يقدمهم عليهم ، ومن الممكن أن يظن آخرون العكس و ولو كان أمر الإرث وقسمته متروكاً إلى الناس لذهبوا في ذلك ألف مذهب ولآل الأمر الى الهرج والمرج والفوضى ، وإنتهى إلى الخلاف والتشاجر ، ولكن الله الذي يعلم بحقائق الأمور كما هي أقام قانون الإرث على نظام ثابت يكفل خير البشرية ويتضمن صلاحها)) [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ [٢] . فالشطر الأول من الآية واضح ولا يحتاج إلى تأويل وهو تقسيم سهم الأزواج ، فقد بيّن القرآن الكريم إن الزوج إذا توفيت زوجته كان له النصف من ميراثها إن لم يكن لها ولد أو أولاد ولو من زوج آخر، والربع إن كان له ولد أو أولاد ولو من زوج آخر ، كما أوضحت ميراث الزوجة إن توفي زوجها وترك لها ميراث ، فلها الربع إن لم يكن له ولد ولو كان من زوجة اخرى والثمن إن كان له ولد أو أولاد ولو من زوجة أخرى ، وهذا ما إتفقت عليه الأمة [٣] ، ثم أوضح الإسلام مسألة الكلالة ، فهي لم تكن وليدة الإسلام وإنما كانت شائعة عند العرب ولهذا أستعمل إصطلاحها القرآن الكريم ، وقد تعددت الأقوال في الكلالة ، فمنهم من ذهب إلى أنها الورثة المحيطة بالمتوفى على إختلاف الآراء عن ماهية الورثة (العصبة أو الأبناء أو الآباء أو الأخوة) ، ومنهم من جعل الكلالة أسم للمتوفى [٤] ، وكل فريق إستدل بأدلة قرآنية ونبوية .

=بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابو الوليد محمد ابن رشد الحفيد (ت:٥٩٥هـ) : ١٢٧/٤ ، دار الحديث ، القاهرة –مصر ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ، المغني ، ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ) : ٢٧٥/٦ .

(١) الأمثل : ٩٣/٣ .

(٢) النساء : ١٢.

(٣) ينظر : الفقه على المذاهب الخمسة ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٥٥٩ .

(٤) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٣٥/٣ .

وقد بيّن القرآن تقسيم الكلالة وأعطى كل صاحب حق فيها بميزان عدل دقيق قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ ، فبيّن الإسلام إن من توفي ميراث الأخ أو الأخت السدس هذا إذا كان أخاً واحداً أو أخت واحدة ، وهذا ما هو واضح في النص الكريم ، أمّا إذا كانوا أكثر من أخ فهم شركاء في الثلث وقد تعددت الأقوال في شراكة الثلث بين من يقسّمها بالتسوية بينهم وبين من يقسّمها حسب الأسهم التي ذكرها القرآن سابقاً ، ولكل منهم حجيته وذهب الإمامية إلى أن الاخوة والأخوات الموضح سهمهم في الآية المذكورة هم الأخوة من جانب الأم وهذا ما تمّ تأكيده بعد بيان نص الكلالة في آية اخرى في قوله تعالى : ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [1] ، فبيّن هنا إن الاخوة ميراثهم النصف والمراد منهم الأخوة من جانب الأب أو من جانب الأب والأم ، وميراث الأختين واضح في النص الشريف وهما الثلثان [2] ، ولمسألة تقسيم الميراث بين الورثاء فيه خلافات وآراء كثيرة بين المذاهب إرتبطت هذه الأقوال بتفسير الآيات ، كما إستندت على القرآن والسنة وكل فرقة أعطت أدلتها في ذلك ، لذلك لم أتطرق إلى ذكر أقوال العلماء لإن ذلك يؤدي إلى الخوض في تفاصيل بعيدة عن البحث المطلوب .

أمّا في مسألة وراثة زوجة الأب المتوفى والتي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ، عندما يتوفى الاب ويترك زوجة غير الأم الوالدة فتصبح كالتركة يورِثها الأبن الذكر الأكبر أو من يشاء من الأبناء [3] ، فقد ألغاها الإسلام وأمر ، ونهى عن العمل بها إكراماً للنساء قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [4] .

([1]) النساء : ١٧٦.

([2]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٤٠٨/٣ ، فقه القرآن ، قطب الدين الراوندي (ت:٥٧٣هـ) ٣٣٨/٢ ، الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٩٥/٣ .

([3]) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٠٤/٨ ، تفسير القرآن العزيز ، ابن زمين المالكي (ت:٣٩٩هـ) : ٣٥٥/١ ، مجمع البيان ، الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) : ٤٦/٣ .

([4]) النساء : ١٩ .

ثم يعود القرآن في نص وكانه الخلاصة في الميراث ، إذ قال تعالى : ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدً**﴾ [١] ، والجعل حكم تشريعي بمعنى شرعنا [٢] .

موالي جمع مولى من الولاية وهي العصبة أو الرابطة التي تربط الأفراد بأي نوع من الارتباط سواء من رابطة الأرحام وهم الأولى أو رابطة الولاء [٣] ، وعلى الرغم من آراء المفسرين في نوعية العقد الذي ورد في الآية الكريمة ، إلا أن الأقرب معنى هو العقد المقصود به (حكم الجريرة) الذي كان معروفاً في الجاهلية ، والذي ينص ((دمي دمك ، وهدمي هدمك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ، وترثني وأرثك ، وتعقل عنّي وأعقل عنك)) [٤] ، إلا أن الإسلام عدله وشذبه ، وهذا ما تذهب معه الباحثة ، شرط على أن لا يكون للوارث أقرباء من نسب أو سبب أولى به إستناداً إلى حديث الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال يوم الفتح : ((ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فأنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام)) [٥] .

أمّا قضية التبنيّ لم تلغَ في الإسلام ، إلا إن المتبنيّ لا يُورَث ولا يُورِث وأمر بتسميتهم بأسماء آبائهم الحقيقين قال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۞ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [٦] .

---

(١) النساء : ٣٣ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) : ٣٣/٥ .
(٣) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٦٠٩/١ ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ) : ١٠١/٢ .
(٤) زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ٥٧/٢ .
(٥) ينظر : الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٥٠٥/١ ، كنز العرفان في فقه القرآن ، المقداد السيوري (ت:٨٢٦هـ) : ٣٢٤/٢ .
(٦) الاحزاب : ٤ – ٥ .

وقد رفعت الآية العذر : (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) أيّ : عند عدم معرفتكم بآبائهم الواقعيين لا يجز لكم وضع أسم آخر مكانه كوالد لهذا الأبن ، بل يمكن مناداتهم بالإخوان أو الأصدقاء أو المواليين [١] .

وجديرُ بالذكر إن معالجة القرآن لمسألة الإرث المتبنيّ في أعلى درجات الحكمة ، لإن القرآن ينظر إلى كافة الجوانب المحيطة بالمسألة عند معالجتها ، فعندما أمر بدعوتهم بأسماء آبائهم الذين أنجبوهم هذا حتى لا يحصل الإختلاط بين الأنساب وربما قد يضيع نسبه الحقيقي ، ثم إن الأمر راعى فيه الأبناء الحقيقين كي لا تحصل عداوة وضغينة بينهم وبين الأبن المتبنى وقد تصل احياناً الى سفك الدماء لأجل لا شيء ، كما إن من المعروف في الجاهلية إن الولد المتبنى يرث ويورث ، لذلك فان الكثير منهم يأبون الإستلحاق بأحد لأجل مالهم فتبقى ثروتهم خاصة بهم لا تنتقل لمتبنيهم .

وخلاصة القول إن الميراث بعد إن كان عند العرب ينتقل بالنسب والتبنيّ والحلف ، وهذا كله خاص بالرجال الذكور دون الإناث والغلمان الصغار حصر بالنسب تدريجياً من الأقرب الى الأبعد دون التمييز بين ذكر أو أنثى صغير أو كبير فالكل مشمول ، كما أنه لم يعطِ الحق بأن يكون الوريث واحداً بل أوجب الشراكة ، كما ينتقل بالسبب كالمصاهرة والولاء على شرط عدم وجود ذوي قربى يرثونه أو ينتقل الى بيت مال المسلمين ، فكانت هذه معالجات القرآن لقضية مثبتة جذورها في نفوس العرب إستخدم فيها أساليب التدرج والتذكير والترهيب والأمر والنهي لأجل التخلص من شوائبها وبناء مجتمع انساني سليم يقوم على أساس العدل لتحقيق السعادتين الدنيوية والآخروية .

([١]) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي :١٣ / ١١٧ .

المبحث الثاني

الـزواج

توطئة :

إن الله عز – وجل عندما بدأ بخلق الخلق جعل كل شيء في هذا الكون من زوجين أثنين ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] ، وجعل للبشرية نصيباً من هذا التصنيف الذكر والأنثى ، فكان أول البشر آدم وزوجه حواء الذين خُلقا من طين ، ثم أنزلهم تعالى إلى الارض وإستمرت سلسلة التناسل والتكاثر إلى يومنا هذا ، عن طريق النكاح الشرعي والذي يمكن عده السبيل الوحيد لحفظ نسل البشر وإستمراره ، لذلك عُد الزواج آية من آيات الله في موجوداته قال تعالى : **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** [2] وسنّة في هذا الوجود لا يشذ عنها كائن حيّ من كائناته ، فهو سنّة مشروعة عريقة على وجه البسيطة منذ بداية الحياة ، وهو حاجة طبيعية وجِدت في الإنسان منذ تكوينه ، كما أنه رباط مقدس بين الأقوام والشعوب تختلف تفاصيله في كل عصر ومصر لإعتبارات تختص بها العصور ، والعرب من هذه الأقوام التي عرفت الزواج وإهتمت به ونقلت إلينا الأخبار عن كيفيته ونظامه ، لذلك كان لا بد من التطرق والتعرف على كيفية نظام الزواج عند العرب في الجاهلية .

([1]) الذاريات : ٤٩.
([2]) الروم : ٢١.

المطلب الأول : الزواج عند العرب قبل الإسلام

قبل الولوج إلى معرفة نظام العرب حول الزواج لابد من الوقوف على تعريف الزواج وهو لغة : الإقتران حيث يقال : زوجّ الشيء وزوجه إليه قرنه به ، وتزاوج القوم : تزوج بعضهم البعض [١] ويعبّر عن الزواج في الفقه الإسلامي ب (النكاح) [٢] وهو بمعنى الوطء [٣] ، أمّا في الإصطلاح العام : فما هو إلا (عقد تزاوج بين إثنين رجل وامرأة ، محدد بأركان وشروط معينة حددها الشارع الحكيم) [٤] ، والزواج في شبه الجزيرة العربية لم يكن واضح الملامح ، إذ لم تكن هناك قواعد أساسية عامة عند العرب ، بل تختلف بإختلاف القبائل ، حيث وجدت لكل قبيلة دستور معين في نكاحها تختلف فيه عن غيرها ، ورغم الإختلاف إلا أن له أهمية كبيرة عندهم لما يتناسب مع طبيعة الفرد العربيّ والذي يتفاخر بالأولاد والأنساب ، وكما قيل : (ان القبائل لا تهنأ إلا بثلاث : غلام يولد ، او شاعر ينبُغ او فرس تنتج) [٥] إذ أنه السبيل الوحيد لتحصيل الولد وإستمرار بقاء نسلهم لكونهم كثيرو الحروب والغارات ، وهذا ما أكده علماء النفس من إن الغاية الأساسية في حياة الإنسان بصورة عامة هو المحافظة على نوعه ، ولهذا السبب نجد إن الغريزة الأساسية عنده هي التكاثر [٦] .

وأول ممهدات الزواج الخِطبة : وتعد خطوة مقدمة لعقد الزواج يتم من خلالها أخذ الموافقة من أولياء أمر الفتاة وبعض الشروط التي تحدد فيها أحياناً من طرف واحد أو من كلا الطرفين ، ولكون العرب كما سبق ذكره ثقافات متعددة ، فمنهم من يُجبر الفتاة على الموافقة حتى مع الإكراه وأحياناُ لا يؤخذ رأيها اثناء الخطبة ومنهم من يشترط رضاها خصوصاُ إن المرأة الحرة في الجاهلية كانت على درجة عالية من المكانة الإجتماعية ، ولها منزلتها وكرامتها ورأيها يؤخذ بعين الإعتبار في الإيجاب والرفض [٧] رغم من

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٦١/٢مادة (زوج) .
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤١٢/٥.
(٣) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٦٢٥/٢- ٦٢٦ مادة (نكح) .
(٤) ينظر : المغني ، ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ) : ٣/٧، تح : محمود عبد الوهاب فاير وعبد القادر احمد عطا ، مكتبة القاهرة ، ط١، ١٩٩٦م ، كفاية الأخيار في حل غاية الأختصار ، تقي الدين الحصني (ت:٧٧٢هـ) : ٤٦٦، دار المنهاج ، بيروت- لبنان ، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .
(٥) ينظر : العمدة ، ابن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦هـ) : ٣٧/١، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م .
(٦) ينظر : علم النفس اسسه وتطبيقاته التربوية ، الدكتور عبد العزيز القوصي (ت:١٤١٣هـ) : ١٥٥_١٥٦، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٤ ١٩٥٤م .
(٧) ينظر : تاريخ العرب قبل الاسلام ، محمد سهيل طقوّس : ١٧٧، دار النفائس ، ط١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

أن الأب يعتبر المثل الأول في الأسرة وصاحب السلطة عليها [١] ويتم من خلال الخِطبة تحديد المهر ويسمى الصداق [٢] ، ويعرف :(هو مال يجب بوطء غير الزنا منها، ولا ملك يمين ، او بعقد نكاح) [٣] [٣] كما إنه لم يكن فرضاً واحداً عند القبائل ، إلا إن الغالبية الكبرى من زواج البعولة يشترط فيه المهر ويختلف حسب القدرة الإقتصادية للفرد ، إذ ليس له حد معلوم من الأموال أو الذهب أو الفضة أو من الماشية وغيرها كما ويعتبر المهر علامة من علامات الشرف ، إذ لم يعين لنكاح معين عُد سفحاً وبغياً [٤] والعرب لم يكونوا على عرف واحد في حق الإنتفاع من المهر فمنهم من يأخذه كاملاً لنفسه ، حتى شاع بينهم إن الرجل إذا ولدت له بنتاً قالوا له (هنيئاً لك النافجة) [٥] أي : المعظمة لمالك ، إذ ترفعه وتكثره [٦] ومنهم من يأخذ جزء من المهر المقدم لوليته ، ومنهم من يعطيه كاملاً لها ، ومنهم من يجهز مهراً كاملاً ، ويضيف عليه إكراماً للفتاة والأصل في مهر المرأة عند العرب دفعه لها ولها الحق في إسترداد مهرها اذا حصل الطلاق [٧] .

أنواع الزواج عند العرب :

تعددت أنواع الأنكحة عند العرب في العصر الجاهلي نتيجة لإختلاف البيئات العربية من جهة وكثرة الإتصال مع الحضارات المجاورة وتأثيرها على العرب من جهة اخرى ، وتباين الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية حتى بلغت أنواعاً عديدة منها :

١- زواج البعولة .

وهو الأكثر شهرة عند العرب ، إذ إن القبائل كانت تتبعه في نكاحها الشرعيّ ، رتب الحياة العائلية وعين من خلاله واجبات الآباء والأبناء ، وهو مشابه تماماً للزواج الدائم المتعارف عليه اليوم ، وقد ذكرته السيدة عائشة في حديث لها تصف به أنواع الأنكحة في الجاهلية ، إذ قالت : ((أن النكاح في الجَاهلِّية

---

(١) ينظر : سطور منسية في تاريخ الحجاز ، الدكتورة شكران خربطلي : ١٥٥_١٥٦، دار رسلان ، دمش - سوريا ، ٢٠١١م .
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤١٥/٥.
(٣) ينظر : مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الاسلام ، زين العابدين العاملي (ت:١٠٧٤هـ) : ١٥٧/٨، مؤسسة المعارف ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ .
(٤) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤١٥/٥.
(٥) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٣٨٢/٢ مادة (نفج) .
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) :٤١٦/٥.
(٧) ينظر : المصدر نفسه : ٤١٧/٥.

كَانَ عَلَى أَرْبعَة أَنْحَاء: فَنكَاح منْهَا نكَاح النَّاس اليَوْمَ: يَخْطب الرَّجل إِلَى الرَّجل وَليَّتَه أَوابْنَتَه ، فَيصْدقَها ثمَّ ينَكحهَا...)) [١] ، ولا يتم نكاح البعولة إلا بعقد ،لأن أصل الزواج عند العرب العقد وتتقدمه الخِطبة ويحدد فيه المهر ويشترط لصحته القبول والإيجاب ، وبموجب هذا النكاح يكون فيها الرجل بعلاً للمرأة ، إذ أنها برعايته وحمايته [٢] وللرجل في هذا الزواج الإكتفاء بواحدة أو له أن يتزوج ما يشاء من النساء عدداً [٣] حتى روي إن (غيلان الثقفي) [٤] كانت تحته عشر نساء في الجاهلية قبل أن يعلن إسلامه ، ، ويُعزى السبب في ذلك إلى الرغبة في إنجاب أكثر عدد من الأولاد المقاتلين ،لإن كثرة الأولاد تعتبر قوة داخل القبيلة وخارجها خصوصاً أنهم كانوا أصحاب غزوات وحروب متصلة ، أضف إلى ما جُبل عليه العربي من التفاخر بالنسل والولد بين قومه وعشيرته ، لذلك كانت التعدد بلا عدد معين من موجبات التفاخر.

وفي نكاح البعولة للرجل حق ما يشاء أن يختار من النساء للنكاح ، ماعدا محرمات عندهم نُهوا من الإقتراب منها ، ولكون بقايا دين التوحيد راكز في نفوسهم وأطباعهم وآثار أهل الكتاب ، فقد راعوا محرمات من الأصول والفروع وعندما جاء الإسلام اكّد واقرّ على هذه المحرمات كلها التي حُرمت في العصر الجاهلي من ألام والأخت والجدات وبنات الاخ وبنات الاخت وغيرها ، بل حتى زوجة الأبن المتبنى حُرمت ايضاً لإكتساب التبنيّ عندهم صفة الأبن الحقيقي ، لذلك نجد إن المشركين عيروا النبيّ محمّد(صلى الله عليه واله وسلم) عندما أحل الله له الزواج من طليقة زيد الذي تبناه النبيّ (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) [٥] .

٢-الزنا .

ويراد به وطء الرجل لإمراة معينة لا تحل له لإجل الإستمتاع ، وكان يسمّى عندهم سفاحاً[٦] ، وفرقه عن بقية أنكحة البغاء أنه بلا مقابل ولا صداق ولا عقد [٧] والأحرار من العرب لا تقربه بل تستنكره

---

(١) صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٥/٧.
(٢) المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤١٧/٥.
(٣) المصدر نفسه : ٤١٧/٥.
(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبن الاثير الجزري (ت:٦٣٠هـ) : ٣٢٨/٤-٣٢٩.
(٥) ينظر : أحكام الاسرة ، ابراهيم فوزي : ٨٨.
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٥/ ٤١٣.
(٧) ينظر : لزواج عند العرب ، الدكتور عبد السلام الترمانينيّ (ت:١٤١١هـ) : ٣٣، عالم المعرفة ، ١٩٩٨م .

وتعده عيباً كبيراً ، ورغم ذلك فقد كان متفشياً بينهم وهناك من كان يمارسه علانيّة ويتفاخر به .

٣-الضيزن .

والضيزن في اللغة : الرجل الذي زاحم وآلده في أمرأته [١] وله تسمية أخرى وهو (المقت)[٢] والمقت شديد البغض [٣] وسميّ بذلك لإنه كان ممقوتاً عند أغلب العرب في الجزيرة العربية والولد الناتج من هذا النكاح النكاح يسمى مقتي أو مقيت [٤] وصورته أن يتزوج الأبن الأكبر زوجة أبيه بعد أن يتوفى أو بعد طلاقها من أبيه وطريقته يقوم الولد بإلقاء ثوبه عليها ، فتصبح في عرفهم ملكه الخاص إن شاء تزوجها وإن شاء عضلها وبقيها معه حتى يرثها أو يزوجها غيره [٥] وينقل الطبري (ت: ٣١٠هـ) صورة لنا يقول فيها : (كانت الوراثة في مدينة يثرب ان الرجل يموت فيرث ابنه إمرأته ، كما يرث أمه ، فان أحب أن يتخذها كما كان ابوه ، وإن كره فارقها ، وان كان صغيراً حبست عليه إلى ان يكبر إن شاء أصابها وإن شاء فارقها)[٦] .

ويبدو إن السبب في وجود مثل هكذا نوع هو لإجل الاحتفاظ بالزوجة وأموالها ، إذ أن هذه الصورة التي نُقلت من أكثر الصور تخلفاً عند العرب ، حيث تُعامل فيها المرأة أو الفتاة كالمال المتروك والذي يجب الإحتفاظ به ، وكالسلعة المستهلكة حيث تنتقل إلى الذي يشاء الزواج بها من الأبناء وكالآلة الصناعية في إنجاب الأولاد برغبة منها أو لا حرصاً منهم ورغبة في الإحتفاظ بالأموال وتكثير النسل .

٤-الزواج المؤقت .

ويسمّى أيضاً بزواج (المتعة) [٧] واللفظ مأخوذ من مفردة إستمتعتم الواردة في الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [٨] وصورته أن يعمد الرجل إلى امرأة معينة ينكحها لفترة معينة تحدد من

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٢٥٤/١٣ مادة (ضزن) .
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤١٨/٥.
(٣) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٩٠/٢مادة (مقت) .
(٤) ينظر : المبسوط ، محمد السرخسي ، دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١٩٨/٤.
(٥) ينظر : نهاية الارب ، النويري (ت:٧٣٣هـ) : ١٢٠/٣، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة – مصر ، ط١، ١٤٢٣هـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٤٦٩/٢، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) :٤١٨/٥.
(٦) ينظر : جامع البيان : ١٠٨/٨.
(٧) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :١٢٢/٣.
(٨) النساء : ٢٤.

قبل الرجل يفترق بعدها الزوجان عند إنتهاء العقد المحدد ، ويرجع السبب لوجود مثل هكذا نكاح ، هو إن العرب في الجاهلية كانوا كثيري الأسفار والترحال ، أضف الى كثرة الحروب قد تكون خارج أراضيهم فيقبلون على الزواج من إمرأة من نفس المكان الذي إرتحلوا إليه .

وإن ولد الأولاد نتاج هذا النكاح فينسبون الى الأم أو إلى عشيرتها [١] ، وترى الباحثة إن من المشاكل الناتجة منه سابقاً قبل مجيء الاسلام هو إختلاط الأنساب كون العدة لم تكن معروفة ولم تفرض عند العرب في جاهليتهم عقب الإنتهاء من الوقت المحدد للنكاح وقبل الدخول في نكاح آخر جديد ، يمكن للمرأة أن تتزوج أكثر من شخص في طهر واحد ، وإذا ما ولد ولدٌ لا يمكن تحديد الأب الحقيقي له .

٥-نكاح الاماء .

والإماء جمع مفردة أمه ، أيّ : المملوكة [٢] وهن السراري والمسبيات نتيجة الحروب والغارات وتطلق العرب عليه أسم (نكاح الضعينة) [٣] وكانت العرب تستهجن نكاح الأمة ، وتسمي الولد الناتج بـ (الهجين) (الهجين) [٤] فكانوا لا يرضون بنكاحها شرعاً ، ولا يرضون بجعلها حليلة كالحرة ، لإنها مُلك للسابيّ أو المالك فيسقط عنها المهر والعقد .

٦-نكاح البدل .

وهو من الأنكحة الموجودة عند العرب إلا أنه لم يكن واسع الإنتشار ، إذ يقول الرجل فيه لرجل آخر: ((أنزل لي عن إمرأتك ، وأنزل لك عن إمراتي)) [٥] ، فيتم فيه الرجلان تبادل إمرأتيهما بغير مهر [٦] .

.

٧_ نكاح الشغار

وهو واحد من الأنكحة في الجاهلية ، وصورته أن يُزوج الرجل إمرأة ما ، كأن تكون إبنته أو اخته أو ممّن يلي أمرها إلى شخص ، هو الآخر يُزوجَه أبنته أو اخته أو ممن يلي أمرها من النساء [١] ويكون بدون

---

(١) ينظر : الزواج عند العرب ، الدكتور عبد السلام الترمانيني (ت: ١٤١١هـ) : ٣٥.
(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ١٣٦/١.
(٣) المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٢٧/٥.
(٤) الجامع لاحكام القران ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ١٤١/٥.
(٥) بلوغ الأرب ، الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ) :٥/٢.
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٢٠/٥.

مهر ايضاً [٢] ، وهو مشابه تماماً لزواج البدل ، وينتشر مثل هذا النوع بين الطبقات الفقيرة ، نتيجة لتدهور الوضع الإقتصادي والإجتماعي ، كان الرجال ينظرون إلى بناتهم وأخواتهم كرأس مال ، يمكن إستخدامه والاستفادة منهن في تحسين الوضع الإقتصادي أو لرفع المكانة الإجتماعية ، كونه يترتب عليه عقد محالفات وإنتسابات مع قبائل قد تتمتع بمقام رفيع بين قبائل شبه الجزيرة العرب [٣] ولم ينضر العرب الى هذا الزواج نضرة مستهجنة لإن التقايض حل محل المهر ، إذ أن كل واحدة منهن أصبحت مهراً للأخرى .

٨_أنكحة البغاء .

يختلف البغاء عن الزنا كونه بأجر ، أمّا الزنا فلا أجر فيه ، والبغاء يكون سريّاً أو علنيّاً ، أمّا الزنا علنيّ ومعروف ، والبغاء برضى أو إكراه أحد الطرفين ، أمّا الزنا فبرضى الطرفين وتشمل :

أ- الخدن :

وهو الصديق [٤] وطريقته أن يتخذ الرجل صديقة له وتتخذ هي صديقاً لها تبغي معه خاصة دون غيره [٥] كما إنه خالٍ من العقد والمهر [٦] .

وقد جاء وصف هذا النوع من البغيّ في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ..**﴾ [٧] وقوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [٨] ، والخدن لفظة تطلق على الرجل والمرأة على حد سواء ويكون بشكل سريّ ، كون

---

(١) ينظر : المقنعة ، الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) : ٥٠٨، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم- ايران ،ط٢، ١٤١٠هـ ، المهذب ، عبد العزيز الطرابلسي (ت:٤٨١هـ) : ٢٠٠/٢، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم- ايران، ١٤٠٦هـ ، السرائر ، ابن ادريس الحلي (ت:٥٩٨هـ) : ٥٨٠/٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم – ايران ،ط٢، ١٤١٠هـ .

(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٢١/٥.

(٣) ينظر : العرب قبل الاسلام ، الدكتور محمود عرفه محمود (ت:١٤٤١هـ) : ٣٧٩، دار الثقافة العربية .

(٤) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١٣٩/١٣مادة (خدن) .

(٥) ينظر : زاد المسير ، جمال الدين ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) : ٣٩٤/١، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٣٣/٣.

(٦) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٤٦٠هـ) : ٣٤/٣.

(٧) النساء : ٢٥.

(٨) المائدة : ٥.

أهل الجاهلية كما سبق ذكره يحرمون وينبذون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي ، لإن الزنا والبغاء العلني يعتبر عندهم لؤم وعيب ، أمّا السريّ ، فهو حلال لا عيب فيه ! [1]

ب–صاحبات الرايات :

كان في الجاهلية بغايا ينصبن على أبوابهن رايات حمراء اللون ، تكون علامة وإشارة ليهتدي إليهن من أراد البغاء ، حيث يجتمع العديد من الرجال ولا يمنعن أحداً منهم ، وإذا ما وضع ولدٌ أجمعوا لهن وألحقوا الولد إلى من يرون من الرجال ، ولا يمتنع أحدهم من الرفض [2] ، وهذا النكاح ضمن الأنكحة التي ذكرتها السيدة عائشة ، اذ قالت : ((يَجْتَمع النَّاس الكَثير ،فَيَدْخلونَ عَلَى امرْأَة ، لاَ تَمْتَنع ممَّنْ جَاءَهَا، وَ هنَّ البَغَايَا، كنَّ ينصبْنَ عَلَى أَبْوَابهنَّ رَايَات تكون لهم عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهنَّ دَخَلَ عَلَيْهنَّ، فَإِذَا حمَلَتْ إِحْدَاهنَّ وَوَضَعَتْ حمْلَهَا جمعوا لهَا، وَدَعَوْا لهَم القَافَة ابْنَه ، لاَ يَمْتَنع منْ ذَلكَ يبرَوْنَ،... ، ثمَّ أَلحقوا وَلَدَهَا بالَّذي يرون ..)) [3] .

ج- الرهط : وصورته أن يجتمع الرجال دون العشرة فيدخلون على امرأة كلهم ، مع وجود التراضي والتواطء بينهم وبينها فاذا حملت ووضعت تختار من تشاء منهم اباً للولد ، وتنسبه إليه [4] وقد وصفته السيدة عائشة في حديث لها حول انواع الأنكحة في الجاهلية ، إذ قالت : ((وَنكَاح آخَر: يَجْتَمع الرَّهْط مَا دونَ العَشَرَة ، فَيَدْخلونَ عَلَى المرْأَة ، كلُّهمْ يصيبهَا، فَإِذَا حمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَال بعَدَ أَنْ تَضَعَ حمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهمْ، فَلَمْ يَسْتَطعْ رَجل منْهمْ أَنْ يَمْتَنعَ، حَتّى يَجْتَمعواعندَهَا،تَقول لهَمْ: قَدْ عَرَفْتم الَّذي كَانَ منْ أَمْركمْ وَقَدْ وَلَدْت، فَهوَ ابْنكَ يَا فلاَن، تسَمّي مَنْ أَحَبَّتْ باسمه فَيَلْحَق به وَلَدهَا، لاَ يَسْتَطيع أَنْ يَمْتَنعَ به الرَّجل..)) [5]، و يكون هذا النوع داخل القبيلة أو داخل الأسرة ، بين الأخوة وغالباً ما يكون في الأراضي التي يكثر فيها الوأد لقلة عدد النساء لذلك هو نادر جداً إلا إن الظروف الإجتماعية أملت على وجوده .

د- المضامدة :

([1]) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٨/ ١٩٣، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ١٤٣/٥.
([2]) ينظر : بلوغ الأرب ، الالوسي (ت: ١٣٤٢هـ) : ٤/٢- ٥.
([3]) صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٥/٧(ح:١٥٢٧) .
([4]) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٢٢/٥.
([5]) صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٥/٧(ح:٥١٢٧).

والأسم مشتق من الضمد وهو اللف والعصب [١] وصورته أن تُعاشر المرأة رجلاً غير زوجها وكانت تلجأ إليه النسوة أيام القحط ، ويمارس عند القبائل الفقيرة والمعدومة ، إذ يضطرها الجوع إلى المضامدة مع رجل غنيّ ، إذ تحبس نفسها عليه ، ومتى ما حصلت على المال عادت إلى زوجها [٢] .

هـ – الإستبضاع :

وطريقته أن يقول الرجل لإمراته [٣] او جاريته : (أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه) [٤] ، إذ كان يرسلها إلى أصحاب الشدة والقوة والنجابة والشجاعة والكرم رغبة منه في نجابة الولد والحصول على أولاد اقوياء يقومون بخدمة المالك ، أو يقوم هو ببيعهم فالأبناء الحاصلين هم رقيق يتم المتاجرة بهم ، وقد ذكر ايضاً ضمن حديث السيدة عائشة (كَانَ الرَّجل يقول لامْرَأَته إِذَا طَهرَتْ منْ طَمْثهَا: أَرْسلي إِلَى فلاَن فَاسْتَبْضعي منْه ، وَيعتَزلهاَ زَوْجهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا،حَتَّى يتَبَين حمْلهَا منْ ذَلكَ الرَّجل الَّذي تَسْتَبْضع منْه فَإِذَا تَبَيَّنَ حمْلهَا أَصَابَهَا زَوْجهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يفعَل ذَلكَ رَغْبَةً في نَجَابَة الوَلَد، فَكَانَ هَذَا النكَاح نكَاحَ الاسْتبْضَاع) [٥] ، ومن الملاحظ إن هذا النوع قد يكون بإجبار المرأة وإكراهها على ذلك ، لذا يمكن عده من أندر أنواع البغاء لكونه لا يتناسب مع طبيعة ومروءة الفرد العربيّ ، وما يحمله من غيرة وحمية وإعتداد بالنفس ، بل كان يخوض الحروب الجسام ، لإجل الدفاع عن أهله ومحارمه ونساء قبيلته وكتب التأريخ خير شاهد ودليل على تلك الحروب ، والظاهر إن هذا التنوع في الأنكحة عند العرب في جاهليتهم نتيجة ما أتصل العرب من الأمم والأقوام المجاورة ، لذلك لم تشكل نظاماً ، بل استثناءات لا يستسيغها الأحرار منهم ، فكانت شائعة بين الإماء والجواري .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٦٥/٣مادة (ضمد).
(٢) ينظر : الزواج عند العرب ، عبد السلام الترمانيني (ت:١٤١١هـ) : ٢٠.
(٣) ينظر : بلوغ الارب ، الالوسي (ت:١٣٤٢هـ) : ٤/٢.
(٤) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٢٢/٥.
(٥) صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٥/٧(ح:١٥٢٧) .

المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الزواج

جاء الإسلام ووضع تشريعاً وصيغة صحيحة للزواج وصحح كل صور الأنكحة في الجاهلية لكونها أقرب الى البِغاء منها إلى نكاح شرعي صحيح وأقر على ما كان يشرطه العقد والرضا والمهر مع التهذيب والتعديل ، ولكون الإسلام صب جُل إهتمامه بالفرد والأسرة ، لكونها الأساس في بناء مجتمع صحيح سليم خالٍ من براثن الرجعية والتخلف ، مجتمع يليق بمستوى كائن هو خليفة لله في الأرض ، فجاءت معالجات القرآن تختلف بين التدرج والأمر والنهي والتهديد رعاية ورحمة للفرد آنذاك بعد إن شوهت تلك المخالفات فطرة الإنسان النقية التي فُطر عليها ، ولإنتشال مجتمع سيرته الغرائز البشرية بعيد كل البعد عن العقل والإنسانية ، والزواج واحد من أهم القضايا التي عالجها القرآن فكانت البداية مع الخِطبة والإسلام إشترط الرضا للطرفين ، فلم يجز إجبار أو إكراه احد على الزواج من آخر دون رغبة منه ، بل عُد الزواج الناتج مع الإكراه مشبوهاً ، لإن الغاية الأساسية من الزواج بناء علاقة يُراد بها الدوام والإستمرار ، ولإن هذا لا يمكن أن يتم دون القبول .

أمّا مسألة الصِداق ، فقد أوجب الإسلام إعطاء الصِداق كاملاً ولإشعار المرأة بأهميتها وكونها إنساناً لها حقها ، إذ صرح في القرآن في آيات عديدة بدفعه لها كاملاً دون أنقاص منه قال تعالى : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** ﴾ [1] ففي الآية الكريمة الإلتزام والإلزام بدفع الصداق بأكمله إلى الفتاة [2] سواء سمّي أم لم يسمّي بعد ، وعلى الرغم من إختلاف الآراء في كون الخِطاب موجه إلى الأزواج أو إلى أولياء أمر النساء [3] ، فالأمر واحد وهو دفع الحق للفتاة دون غيرها ودون الأخذ منه ، وفي الآية الكريمة إستخدم لفظة ﴿ **نِحْلَةً** ﴾ ، إذ أنها قريبة للهبة منها إلى

([1]) النساء : ٤.
([2]) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٤٩٤/٩.
([3]) ينظر : زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ١٢/٢ ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٢٣٠/٤.

العوض لإن الأصل في النكاح العقد بين رجل وامرأة بقصد المعاشرة وتبادل الحقوق وتكوين آصرة قوية ، والتي لا يقيمها أكبر عوض ماليّ ولو كان الصِداق لأجل التعويض لكان متجدداً بتجدد المنافع لطالما الزوجين مستمرين في عقد النكاح ، إلا إن شاء الله ، أن جعله هدية خاصة إكراماً لها ، والغرض من الوجوب تفريقه عن غيره من الأنكحة [١] .

وفي نص آخر قال تعالى :﴿ **فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ [٢] ، أيّ : أعطوهن مهورهن بلا نقص ولا ضرر [٣] .

وفي مقام آخر ينهى عن الأخذ من الصِداق مهما بلغ مقداره قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [٤] والقنطار المال الكثير والعظيم [٥] ، بل وصل الأمر في الإسلام بأن جعله ديناً ، إذا لم يستطع دفعه كاملاً على أن لا يسقط منه شيئاً ، فعن الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) أنه : أجاب رجلاً سأله عن ذلك ، فقال له (أتزوج المرأة وادخل بها ولا اعطيها شيئاً ، فقال الإمام : نعم ويكون ديناً عليك) [٦] ، هذا فيما يخص به الخِطبة والصِداق .

وفي الزواج لم يتعارض الإسلام مع زواج البعولة ، بل اقرّه واكدّه وعَمِد إلى شيء من التعديل والترتيب على بعض أحكامه مراعياً فيها الجانب الإنساني ، فمن جملة ما هذبه القرآن مسألة التعدد قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ [٧] بعد إن كان الرجل في الجاهلية له الحق في في الزواج بقدر ما يشاء من النساء ، وينقل الطبري (ت:٣١٠هـ) صورة التعدد في الجاهلية ، إذ يقول: (إن الرجل في الجاهلية ، كان يتزوج الاربع والست والعشر ويقول : ما منعني أن اتزوج كما تزوج فلان) [٨] وقد نقلت إلينا الأخبار إن (قيس بن حارث)

---

(١) ينظر : م .ن : ٢١٣/٤.
(٢) النساء : ٢٥ .
(٣) ينظر : زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني (ت:٩٨٨هـ) : ٤٧/٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٥٩٩/١ .
(٤) النساء : ٢٠.
(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٥١/٣ ، الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ١/ ٤٩١.
(٦) ينظر : الأستبصار ، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٧١/٣، تح : علي اكبر غفاري ، دار الحديث ، قم – ايران ، ط١ ، ١٣٨٠هـ .
(٧) النساء : ٣.
(٨) ينظر : جامع البيان : ٥٣٥/٧.

[1] ، كانت لديه ثمان نسوة في الجاهلية قبل مجيء الإسلام فلما نزلت الآية أمره رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطلق أربع ويمسك أربعاً ، فامتثل لإمره [2] ، وعلى الرغم من إن الإسلام الإسلام أباح التعدد حد الأربعة ، إلا إنه إشترط العدالة الكاملة ، وإذا ما خاف شخص من أن يعدل بينهن ، فعليه أن يكتفي بواحدة فقط ، حتى لا يجور على أحد ، إذ أن حكم القرآن جاء مراعياً فيها الجانب النفسي للمرأة ، آخذاً بعين الإعتبار مشاعرها وأهميتها في المجتمع ، وإنها لا يمكن الحصول عليها متى ما شاء الرجل ، ويقصد بالعدالة المطلوبة هنا ، هي عدالة المأكل والملبس وغيرها من أمور زوجية ، أمّا عدالة القلب ، فهي خارجة عن قدرة الإنسان ويقف عاجزاً أمامها ، ولهذا لم يكلف الله بالعدل فيها ، ويقول سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ) في هذا الصدد : (والعدل المطلوب هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة ، أما العدل في مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس فلا يطالب به أحد من بنيّ الإنسان وهو العدل الذي قال عنه الله في قوله تعالى : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [3]) [4] وإستمر تحريم الزيادة على أربع من قبل المسلمين الى هذا الوقت ما دامت النسوة في ذمة الرجل [5] .

أمّا المحرمات في الجاهلية ، فهي ذاتها التي أقرها الإسلام وأيدها من الأصول والفروع قال تعالى :

﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ** ﴾ [6] ، إذ جاء في النص صيغة التحريم صريحة والمراد منها تحريم العقد عليهن وتحريم والوطء ومن هذه المحرمات نسباً الأمهات وأمهات الأمهات أيّ : الجدات فصاعداً سواء من جهة الأم أو من جهة الأب ، والبنات نزولاً ايّ الحفيدات من بنات الأولاد وبنات البنات وأولاد البنات والبنين ، والأخوات سواء من الأم والأب أو من جهة الأب أو من جهة الأم ، والعمات والخلات ، وبنات الأخ وبنات الأخت ونزولاً [7] .

([1]) ينظر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، يوسف النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) :١٢٨٤/٣، تح: علي محمد البجاوي دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

([2]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ١٧/٥ .

([3]) النساء : ١٢٩.

([4]) ينظر : في ظلال القران : ٥٨٢/١.

([5]) ينظر : الناسخ والمنسوخ ، ابو جعفر النحاس (ت:٣٣٨هـ) : ٢٩٢، تح : محمد عبد السلام محمد ، دار الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

([6]) النساء : ٢٢.

([7]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ): ١٥٦/٣ – ١٥٧.

أمّا المحرمات سبباً فهن الأمهات من الرضاعة ، والأخوات من الرضاعة ، وأمهات نسائكم وأمهاتهن صعوداً ، وربائب نسائكم الاتي دخلتم بهن ، والربائب جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من زوج آخر [١]

(والدخول شرط التحريم ، فلو كان مجرد عقد وإفترقوا سقط التحريم [٢]) ، فقد نقل عن ابي حمزة الثمالي [٣] قال : (سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها أتحل له ابنتها ؟ قال : فقال قد قضى في هذا أمير المؤمنين (عليه السلام) لا بأس به إن الله يقول : ﴿ **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** ﴾ لكنه لو تزوجت الإبنة ، ثم طلقها قبل أن يدخل بها لم تحل له أمها ، قال : قُلت : أليس هما سواء ؟ قال : فقال : لا ليس هذه مثل هذه ، إن الله يقول : ﴿ **وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ** ﴾ لم يستثن في هذه كما اشترط في تلك هذه ها هنا مبهمة ليس فيها شرط وتلك فيها شرط) [٤] ، ومن المحرمات حلائل أبنائكم ، أيّ : : زوجات أبنائكم الذين من أصلابكم [٥] ، والقيد (من أصلابكم) يراد منه إبطال عادة جاهلية وهي تحريم تحريم زوجة الإبن المتبنى والتي سنتحث عنها لاحقاً .

فإن المحرمات في النسب والسبب سبعاً كما قال : أبن عباس (ت:٦٨) [٦] إستناداً إلى قول الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)) [٧] .

وأمّا زوجة الأبن المتبنى أباحها الإسلام ،لإن العرب كانت تنسب الأبن المتبنى إلى الأب وحرمة إمرأته كحرمة إمرأة الأبن الحقيقي ، أمّا الإسلام دعاهم إلى آبائهم .

قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۞ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [٨] لذلك شرع الإسلام بحليتها من خلال ما نزل بحق النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وزينب بنت جحش

---

(١) ينظر : مختار الصحاح ، الرازي (ت:٦٦٦هـ) : ١١٦ ، تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ٤٦٨/٢مادة (ربب) .
(٢) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١١٧/٣ .
(٣) هو ثابت بن دينار الكوفي الملقب بأبي حمزة الثمالي ، من رواة الحديث الثقاة عند الإمامية ، ينظر : الأعلام ، الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) : ٩٧/٢ .
(٤) ينظر : تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي (ت:٣٢٠هـ) : ٢٣٠/١، تح : السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية ، إيران – طهران .
(٥) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٥٧/٣ ، معالم التنزيل ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٥٩١/١-٥٩٤ ، فقه القرآن القرآن قطب الدين الراوندي (ت:٥٧٣هـ) : ٨٢/٢ ، مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٢/١٠ .
(٦) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٤٠/٨ ، التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٥٦/٣ .
(٧) صحيح البخاري ، البخاري (ت: ٢٥٦هـ) : ١٧٠/٣ ، من لا يحضره الفقيه ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٤٧٥/٣.
(٨) الأحزاب : ٤ – ٥ .

[1] زوجه متبناه زيد بعد إن طلقها ، فانزل الله قوله : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾ [2] ، أيّ : لا يظن أحدٌ أن إمرأة المتبنى لا تحل ، وقوله : ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ خطاب خاص بالنبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالزواج شُرع من قبل الله ، وشمل جميع المسلمين بعده قال تعالى ﴿ **لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا** ﴾ ، وبذلك قطع اليقين على ما إعتاده العرب في هذه القضية .

ومن القضايا الأخرى التي هذبها الاسلام ضمن زواج البعولة قضية الجمع بين الأختين ، والذي كان معروفاً عند العرب في نكاحهم الشرعيّ [3] قال تعالى : ﴿ **...وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [4] ، والأمر بالتحريم جاء بعد نزول الآية ، أمّا ما سبقها فلا يحاسب عليه وقد عفا الله عنكم ذلك ، ولكن في حالة وفاة أو طلاق الزوجة أُبيح للرجل الزواج من أخت المتوفاة أو المطلقة ، إذ إن كثيراً ما تملي الظروف العائلية كحفظ الأولاد أو الثروة من الإقدام على زواج الأخت على الرغم من وجود الحرج في ذلك .

ومن هذا المنطلق نرى إن الغاية من تحريم الجمع بين الأختين في حياتهما ، ما تجنيه المرأة داخل نفسها من الغيرة والحسد والحقد من إمرأة أخرى تشاركها في زوجها ، الأمر الذي يؤدي إلى مشاكل جمّه قد تصل إلى قطع الأرحام والعداوة والبغضاء بينهن ، وهذا نقيض ما يسعى إليه الدين الإسلامي ، وحرصه من تقريب الأواصر والألفة والمحبة بين أولي الأرحام والقربى خاصة ، فلا يمكن للإسلام أن يهدف لغاية ويشرع حكم يهدم تلكم الغاية .

أمّا موضوع الزنا ، لم يكن من السهل معالجته بالأمر والنهي المباشر ، إذ إستخدم القرآن أسلوب التدرج في هدمه ، لكون الزنا من العادات المتفشية في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وايضاً مراعاة للشخصية العربية وما جُبلت عليها من شدة التمسك بميراث الآباء والأجداد من عادات وتقاليد ، فالتدرج يعد الحل الأمثل للقضاء عليه ، في مجتمع يحمل كل معاني الولاء والإنتماء للموروث ، خصوصاً إن الزنا الأشد

([1]) ينظر : الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد البغدادي (ت:٢٣٠هـ) : ٨٠/٨، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
([2]) الاحزاب : ٣٧.
([3]) ينظر : المحبر ، ابن حبيب (ت:٢٤٥هـ) : ٣٢٧ .
([4]) النساء : ٢٣ .

مقتاً وتجذراً في نفوس العرب ، فكان من الصعب تحريمها والقضاء عليها دفعة واحدة ، فبدأ العلاج في مكة حين بيَّن القرآن الكريم أوصاف المؤمنين قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾ [١] ، إذ أدرج مع الشرك والقتل ، وهذا يعني إن المؤمن لا يقترف مثل هذه الموبقات من الشرك والقتل والزنى لكونها أبشع الجرائم وأفحشها وتترتب عليها عقوبات دنيوية وآخروية [٢] ، ثم ذكر ايضاً بصيغة أخرى ضمن صفات المؤمنين قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [٣] .

إن الآية الكريمة بينت صفات المؤمنين وهي المحافظة على الفروج فقط على الأزواج وما ملكت أيمانهم والمراد بهن : الإماء ، فإنهم غير موبخين ولا مذمومين على فعلتهم ، ثم يؤكد أن من ألتمس منكحاً غير ذلك فهو من العادين المتجاوزين حدود الله ، وسمي الزاني من العادين [٤] ، وفي هذا تنبيه إلى أن من سلك طريق الزنا هو من العادين .

ثم جاء النهي في مكة عن الإقتراب من الزنا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٥] ، وقد جاء النهي صريحاً بـ (لا الناهية) [٦] ، وفحوى الآية تحريم للزنا ، إلا أن الملاحظ من الآية الكريمة إنها لم تقل : (لا تزنوا) ، وقالت : **(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)** ، وهذا يعني أن هناك مقدمات تؤدي الى إرتكاب مثل هذا الفعل المشين ، وعليه ينبغي تجنبها وعدم الإقتراب منها [٧] ، وهناك دليل آخر آخر يدل على إن الإسلام بدأ تحريم الزنا في مكة ما روته كتب السيرة والتأريخ عن الصحابيّ الجليل (جعفر الطيار) [٨] أثناء الهجرة إلى الحبشة ، حينما عدد مزايا الإسلام أمام ملك الحبشة وكان من جملة ما قاله ((أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

---

(١) الفرقان : ٦٨.
(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٤/ ٤٨٤، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ): ٧٥/١٣.
(٣) المؤمنون : ٥ -٦ -٧ .
(٤) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٠/١٩-١١،الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٣٥٨/٥.
(٥) الاسراء : ٣٢.
(٦) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٦/١٥.
(٧) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣٤٤/٨.
(٨) ينظر : سير اعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي (ت:٧٤٨هـ) : ١٣٠/٣، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ ...)) [1] .

ثم نهى عن الإقتراب منه بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** .. ﴾ [2] ، والفواحش الظاهرة الزنا ، والباطنة ما سبق ذكره من أنكحة البغاء ، ثم بعدها نزل نص بتحريمه في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[3] ، فالتحريم صريح والزنا من الفواحش الظاهرة كما نصت المرويات عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة الهدى (عليهم السلام)[4].

ولم تتوقف المعالجة عند السور المكية بل إنتقلت الى المدينة خصوصاً بعد إن ضبطت قواعد الدولة الإسلامية وثبتت أعمدتها على الإرض ، فكان إجتناب الزنا ضمن شروط البيعة ، إذ قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [5] .

وبعد ما تقدم من التدرج في نبذ الزنا ، يضع القرآن الحل الأخير لمن سولت له نفسه على الإستمرار في عناده ليشرّع عقوبة الجلد لغير المحصَن[6] ، والرجم للمحصَن [7] ، قال تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الزَّانِي لَا ينكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [8] ، فالأمر الصريح في الآية هو جلد الزاني بصورة عامة ، إلا أنه قد ثبت بالسنة المتواترة عن النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإجماع المذاهب على إن عقوبة الزاني (المحصن) [9] ، الرجم بالحجارة حتى الموت ، والجلد عقوبة الزاني غير المحصن [1] ،

([1]) السيرة النبوية ، عبد الملك ابن هشام (ت:٢١٨هـ) : ٣٣٦/١، تح : ابراهيم السقا وآخرون ، شركة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .

([2]) الانعام : ١٥١.

([3]) الاعراف : ٣٣.

([4]) ينظر : البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني (ت:١١٠٧هـ) : ٥٣٩/٢.

([5]) الممتحنة : ١٢.

([6]) ينظر : شرائع الاسلام ، المحقق الحلي (ت:٦٧٦هـ) : ٣٩٩/٢، دار القارئ ، بيروت – لبنان ، ط١١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

([7]) ينظر : الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية (ت:١٠٦٩هـ) : ٣٢٢/٣_٣٢٣، زين الدين العاملي ، تح : الشيخ حسن القاروبي ، دار التفسير ، قم – ايران ، ط٩ ، ١٣٨٧هـ .

([8]) النور : ٢-٣.

([9]) هو : البالغ ، العاقل ، الحر، المتزوج ينظر : معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٥٩ ، تح : محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة –مصر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م .

ومنهم من جمع بين الرجم والجلد للمحصن ، كذلك البعض جمع بين الجلد مائة جلدة والنفي سنة إلى بلد آخر لغير المحصن [٢] ، وما هذه العقوبات إلا للردع ، حتى لا تقود النفس إلى إرتكاب مثل هذا الفعل القبيح شرعاً وعرفاً ، فالإسلام بعقوباته قصد به صيانة النسل والأعراض وحفظها من التلوث والإختلاط .

أمّا الضيزن فقد عالجه القرآن بالنهي الواجب ، حيث جاء صريحاً بعدم الإقدام على هكذا نوع من الأنكحة إلا ما قد سلف قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [٣] ، أيّ: لا أثم على من فعل ذلك قبل نزول حكم النهي [٤] والنكاح الوارد في الآية بمعنى العقد ، فكل إمرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده من بعده [٥] ، وإستخدم القرآن عبارات شديدة للنهي عنه ﴿ **فَاحِشَةً** ﴾ و ﴿ **وَمَقْتًا** ﴾ ،إذ إن العقول والفطرة السليمة لا تتقبله ولا تستسيغه ، ﴿ **وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ ، أيّ : سلوك وعادة خبيثة وسيئة [٦] ، ولا غريب في ذلك ، فهو ممقوت ومنبوذ عند العرب قبل مجيء الإسلام لما فيه من تبعات ومشاكل ، إذ إن الزواج من إمرأة الأب يشبه تماماً الزواج من الأم الحقيقة ،لإن منزلتها كمنزلة أمّ ثانية ، وهذا ما لا تتقبله العقول السليمة [٧] ، فضلاً على أنه هتك لحرمة الأب وتجاهل إحترامه وكرامته [٨] ، ولا شك إن القيام بهكذا عمل يزرع بذور الحقد والضغينة بين الأبناء (أي منهم من يتزوج منها) أو بين الأب والأبن في حالة طلاق الزوجة ، إذ إن زوجة الاب ستحظى بمنزلة ومقام أرفع عند زواجها من الأبن ، ممّا يؤدي إلى تأجج نيران الحسد بينهم [٩]، هذا غير أبعاده الخطيرة في إختلاط الأنساب والمواريث إضافة إلى الإرباك في تقسيم الميراث.

---

(١) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٣٧٩/٣ ، الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٣٩٥/٥ .
(٢) ينظر : التهذيب في اختصار المدونة ، خلف بن أبي القاسم محمد البراذعي (ت:٣٧٢هـ) : ٤٠١/٤-٤٠٣ ، تح: محمد الأمين بن محمد سالم بن الشيخ ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م ، الحاوي الكبير ، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت:٤٥٠هـ) : ١٩٥/١٣-١٩٦ ، تح : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م ، المبسوط ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢/٨ ، تح : محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفري ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين بن مسعود الكاساني (ت:٥٨٧هـ) : ٣٣/٧ ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، موفق الدين عبد الله ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ) : ٨٥/٤ ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
(٣) النساء : ٢٢.
(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٢٩٢/٤.
(٥) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ١٧/١٠.
(٦) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١١٤/٣.
(٧) المصدر نفسه : ١١٤/٣.
(٨) ينظر : محاسن التأويل ، جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) : ٦٣/٣، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٨هـ .
(٩) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١١٥/٣.

كما نهى الإسلام عن عضل المرأة قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [١] ذهب بعض المفسرين إلى سبب نزول الآية ، إن : كبشة بنت معن الانصارية ، كانت امرأة قيس بن الأسلت الانصاري عندما توفي قام إبنه من أمّ اخرى بطرح ثوبه على امرأة ابيه ، فورث نكاحها ومالها حسب ما كان سائداً في الجاهلية ، إلا انه لم ينفق عليها ولم ينكحها ،فجاءت الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شاكية ، فنزلت الآية اعلاه [٢]

[٢]

وعليه إن تحريم نكاح المقت جاء تحريماً مباشراً دون تدرج ، لكونه ممقوتاً أساساً عند العرب رغم وجوده ، والإسلام جاء مؤكداً معززاً لهذا المقت كون تعاليمه جاءت إنسانية تحفظ كرامة الإنسان ، وليس الحق لإي شخص تصدير حق وأختيار شخص آخر .

أمّا بالنسبة للنكاح المؤقت ، فلم يختلف الإسلام عليه كثيراً ، إلا إنه عدّل عليه بعض أحكامه ، وكما هو معروف أنه نكاح لمدة معينة مع عقد ومهر وقبول من كلا الطرفين ، إذ أنه مشابه لزواج البعولة ، إلا أنه بوقت معين ومن شروطه التي أقرها الإسلام العدة [٣] ، قبل الزواج من شخص آخر كما إن حقوق الاولاد المولودين من النكاح المؤقت تقع على عاتق الأب ، فهو المسؤول عن نفقتهم لإنهم يرجعون في النسب إليه [٤] ، وكما هو معروف إن الإسلام أبقى على زواج المتعة خصوصاً مع بداية الفتوحات الإسلامية ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله))[٥] .

ومن خلال ما وصلنا من كتب التفسير إن النكاح المؤقت كان مشروعاً في صدر الإسلام أباحه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد اتفق العلماء عامة على حليّته ، وقد عُمل به ، وخير دليل على ذلك قول عمر ابن الخطاب : ((متعتان كانتا على عهد رسول الله ،وانا محرمهما ومعاقب عليهما ، متعة النساء ومتعة الحج)) [٦] ، إلا إن الخلاف بين المذاهب على شرعيته وعدم شرعيته ، فيما بعد ، أيّ :

---

(١) النساء : ١٩.
(٢) ينظر : الزواج عند العرب ، الدكتور عبد السلام الترمانيني (ت:١٤١١هـ) : ٣٦.
(٣) ينظر : الهداية ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٣٣٨ ، تح : مؤسسة الإمام الهادي (ع) ، مؤسسة الإمام الهادي و قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
(٤) ينظر : الكافي في الفقه ، أبو الصلاح الحلبي (ت: ٤٤٧هـ) : ٢٩٨ ، تح : رضا إستادي ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – اصفها ن .
(٥) ينظر : نور الثقلين ، عبد علي الحويزي (ت:١١١٢هـ) :٤٦٧/١.
(٦) السنن الكبرى ، البيهقي (ت:٤٥٨هـ) : ٣٣٥/٧، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كما إن لكل فريق أدلته التي يستند عليها في حكمه عليه حلالاً أو حراماً [١] ، ونكتفي بحليتها المشروطة [٢] .

في ذكر قول المفسر الرازي في تفسيره والذي ينص ((أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى أَنَّ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ كَانَ جَائِزًا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِيهِ، إِنَّمَا الْخِلَافُ فِي طَرَيَانِ النَّاسِخِ، فَنَقُولُ: لَوْ كَانَ النَّاسِخُ مَوْجُودًا لَكَانَ ذَلِكَ النَّاسِخُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا بِالتَّوَاتُرِ، أَوْ بِالْآحَادِ، فَإِنْ كَانَ مَعْلُومًا بِالتَّوَاتُرِ، كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ مُنْكِرِينَ لِمَا عُرِفَ ثُبُوتُهُ بِالتَّوَاتُرِ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَكْفِيرَهُمْ، وَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعًا، وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا بِالْآحَادِ فَهَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ ثُبُوتُ إِبَاحَةِ الْمُتْعَةِ مَعْلُومًا بِالْإِجْمَاعِ وَالتَّوَاتُرِ، كَانَ ثُبُوتُهُ مَعْلُومًا قَطْعًا، فَلَوْ نَسَخْنَاهُ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ لَزِمَ جَعْلُ الْمَظْنُونِ رَافِعًا لِلْمَقْطُوعِ وَإِنَّهُ بَاطِلٌ. قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى بُطْلَانِ الْقَوْلِ بِهَذَا النَّسْخِ أَنَّ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَاحَ الْمُتْعَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَفِي يَوْمِ الْفَتْحِ، وَهَذَانِ الْيَوْمَانِ مُتَأَخِّرَانِ عَنْ يَوْمِ خَيْبَرَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ مَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَسَخَ الْمُتْعَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ، أَنَّ النَّاسِخَ يَمْتَنِعُ تَقَدُّمُهُ عَلَى الْمَنْسُوخِ، وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ حَصَلَ التَّحْلِيلُ مِرَارًا وَالنَّسْخُ مِرَارًا ضَعِيفٌ، لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُعْتَبَرِينَ، إِلَّا الَّذِينَ أَرَادُوا إِزَالَةَ التَّنَاقُضِ عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ)) [٣] .

كذلك الحجة التي أدلى بها الشيرازي والذي يرى إن : (الروايات التي ادعت نسخ حكم زواج المنقطع مضطربة إضراباً كبير ، فبعضها يقول : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي نسخ حكم التحريم ، وعلى هذا يكون الناسخ للحكم القرآني هو سنة نبوية ، في حين يرى البعض ان ناسخه هي آية الطلاق إذ يقول تعالى : ﴿ **إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ [٤] ، في حين إن الآية المطروقة لا ترتبط بحكم زواج المتعة ، إذ تبحث في مسألة الطلاق ، والزواج المؤقت لا طلاق فيه ، وإنما افتراق بين الزوجين يتم في نهاية المدة المحددة ، أذن فالحكم المتيقن فيه إن أصل مشروعيته قائمة في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا شك فيه وليس هناك دليل يمكن الإطمئنان إليه يثبت نسخ الحكم وتحريمه وبالتالي نحكم ببقاء حكمه على ما كان عليه في أصل تشريعه دون نسخ او تغيير) [٥] ، ولا بئس أن

---

(١) ينظر : المتعة النكاح المنقطع ، مرتضى الموسوي الاردبيلي : ٢٦-٤٦.
(٢) ينظر : المقنع ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٣٣٨ ، تح : لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) ، مؤسسة الإمام الهادي (ع) ، ١٤١٥هـ ، زواج المتعة في كتب أهل السنة ، الدكتور علاء القزويني ، ط١ ، ١٤١٥هـ.
(٣) مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٤٣/١٠ .
(٤) الطلاق : ١.
(٥) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣/ ١٢٤.

ندرج قول : من هم أولى بتطبيق السنة النبوية الإمام الباقر (عليه السلام) في جواب (عبد الله بن عمير الليثي) [١] الذي سأل المتعة ((أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه ، فهي حلال إلى يوم القيامة)) [٢]

أمّا نكاح الإماء فقد رخصه الإسلام إلا أنه قام بتهذيبه وإشترط فيه الرضا والصداق ، قال سبحانه : **﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** [٣] ، فضلاً عن المُلكية التامة للجارية ، إذ لا يمكن للرجل يطأ جارية غيره ، كما لا يحق له أن يطأ جارية أعتقها ، أو يشترك مع شخص آخر في وطأ جارية معينة [٤] قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾** [٥] ، ويعود السبب في الترخيص إلى إن الإسلام جعل جعل هذا النوع من النكاح منفذاً في الصبر عن الزنا ، لمن من لم يملك السعة والغنى للزواج من الحرة ، فرفع الحرج عنه ، كما أنه تعالى أراد إكرام الإماء المؤمنات جزاء على إيمانهن ، والإشعار إن الأحرار والإماء حكمهم واحد فالتقوى هي معيار الإنسان ، لذلك عندما شرعه ذيل الآية بقوله : **﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾** ، فلما كان الإيمان هو الذي يرفع الإنسان ، كان إيمان الإماء مقنعاً للأحرار من الرجال بأن يترك الإستنكاف منهن وعن نكاحهن شرعاً [٦] ، لذلك رفع من شأن الإماء المسلمات وحفظ كرامتهن ، وطمس الفكرة التي كانت شائعة عنه ، لإن العبودية لله وحده وليس لأحد الحق أن يعبد من البشر ويجعله تحت تصرفه بدون أجر أو قيمة .

والبدل حرمه الإسلام ، وكل نكاح بدون عقد ومهر ،قال تعالى : **﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾** [٧] ، كما أنه

---

(١) ينظر : تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، يوسف المزي (ت:٦٥٤هـ) : ٢٠٩/١٥، تح : الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
(٢) البرهان ، هاشم البحراني (ت:١١٠٧هـ) : ٣٦٠/١.
(٣) النساء : ٢٥.
(٤) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣/ ١٣٢.
(٥) المؤمنون : ٥ – ٦ .
(٦) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ١٥/٥.
(٧) الاحزاب : ٥٢.

مخالف للطبيعة الإنسانية والنفسية والإجتماعية ،لإن أصل التبديل هو : (ان يعطي احدهما عوض وبدل عن أخذ الآخر) [1] ، وهذا ما لا تتقبله الفطرة السليمة وكل شخص حر .

والشغار حُرم ايضاً من قبل الإسلام ، وجاء في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لا شغار في الإسلام)) [2] ، ويعود السبب في النهي عنه ، لكونه بدون صداق ، كما يسلب حق المرأة في الإختيار والذي يعد أولى شروط النكاح الشرعي ، وفيه إذلال وإهانه للمرأة ،حيث يقايض المرأة مع إمرأة اخرى .

أمّا بقية أنكحة البغاء فهي محرمة جملةٌ وتفصيلاً ، وكل نكاح بغير خِطبة وعقد وصِداق وقبول محرماً في الإسلام ، كما جاء في حديث السيدة عائشة عندما قالت : (لَمَّا بعثَ محَمَّد – صلى الله عليه وآله وسلم – بالحَقّ ، هَدَمَ نكَاحَ الجَاهليَّة كلَّه إلَّا نكَاحَ النَّاس اليَوم) [3] ، كما حرم نكاح كل محصنة ، وأمر المماليك بعدم إجبار إمائهم على البغاء قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ... ﴾ [4] ، وهذا قد يحدث خصوصاً مع نكاح الإستبضاع ، لإن الغاية تكون في نجابة الأولاد الأقوياء فيجبر مالك الإماء على الإستبضاع من سيد القبيلة أو غيره ممّن له ثقله بين العرب من الرجال ، وكذلك حالة الرهط ، إذ تكون المرأة هي الضحية الوحيدة في حالة إنجاب الولد ولم يعترف به أحد من الرهط فيسبب له إحراجات مجتمعية وإختلاط الأنساب وضياعها .

وإستناداً إلى ما سبق نرى إن هذا التنوع الكبير في الأنكحة عند العرب دل على الشرخ الواسع والفجوة الكبيرة بين ما يمارسونه من عادات سيئة وبين الأخلاق والطباع الإنسانية المرتبطة بالفطرة والتي سقلتها الأديان الموحدة لذلك كانت العرب في الجاهلية أشدّ الحاجة الى تغيير جذري يقلب موازين ما جُبلوا عليه من أطباع يهديهم فيها الى الطريق الصحيح ويزيل عن عقولهم غبار الجهل ، ويرمم لهم حسن أخلاقهم ويعالج السيء منها .

([1]) ينظر : التحرير والتنوير . ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٧٩/٢٢.

([2]) ينظر : الأم ، محمد ابن ادريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ) : ٨٣/٥، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م نيل الاوطار ، محمد الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ) : ١٦٨/٦، تح : عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

([3]) ينظر : صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٥/٧(ح ١٥٢٧) .

([4]) المؤمنون : ٣٣.

المبحث الثــالث

الحَجّ

توطئة :

الحَجّ فريضة إلهية قديمة شُرعت منذ أقدم العصور ، إلا إن نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام) بنى أول بيت في مكة يحجّ إليه الناس من بقاع الأرض قال تعالى :﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى الناس حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1] ، كما أقرته جميع أديان السماء ، لذلك فقد مارسته أغلب الأقوام ، وقبل الولوج الى معرفة تفاصيل الحَجّ وشعائره عند العرب وكيف عالجها القرآن ، فلابدّ من معرفة الأصل اللغوي والإصطلاحي لمفردة الحَجّ ، والتي تعني القصد أو القدوم [2] .

أمّا في الإصطلاح : (فهو القصد إلى ببيت الله الحرام في مكة المكرمة لإداء مناسك مخصوصة في أوقات مخصوصة) [3] .

([1]) آل عمران : ٩٦ -٩٧.

([2]) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٢٢٦/٢، تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ٤٥٩/٥مادة (حجج)

([3]) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٥٤/٢.

المطلب الأول : الحَجّ عند العرب قبل الإسلام

أهتم العرب ببيت الله العتيق وعظموه ، فكانت له قدسية في قلوبهم ، فهو بيت الله الآمن جعله أمناً للناس قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى**﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ الناس مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرونَ** ﴾ [٢] وإجابة لدعوة إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ ربِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا...**﴾ [٣] ، إذ من خلال الآيات الكريمة وإرتباطها بإبراهيم النبيّ وابنه إسماعيل (عليهما السلام) يمكن القول إن العرب هم أول من أدّى مناسك الحَجّ بصورته الرسمية ، وحرص أهل مكة بصورة خاصة على توفير الأمان لحجاج بيت الله الحرام وزواره ، ونظموا أمر السقاية [٤] ، والرفادة [٥] ، وعمارة البيت [٦] ، فجعلوها من أهم الوظائف الرسمية في موسم الحَجّ ، ووكُلت الى أعظم وأشرف البيوت المكيّة [٧] ، فقد كانت مهمة شريفة وعظيمة لديهم ويفتخرون بها حتى جاء ورِدها في القرآن الكريم لما كانت لها من منزلة عظيمة عندهم بقوله : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٨] ، وأستمر الحال عند العرب في شبه الجزيرة العربية منذ عهد النبيّ إبراهيم وولده إسماعيل (عليهم السلام) ، بأداء الحَجّ والعمل على مناسكه إلى وقت غُيرت فيه المناسك وخلط الحق مع الباطل ، فإنحرف فيه فرض الحَجّ عن وجهته الأصلية ، بعد إن كان خالصاً لله تعالى وإنحرفت الشعائر ، إذ إشتركت فيه الأوثان إلى جنب الواحد الأحد ، وتقاسموا مناسك الفريضة بينه وبين غيره ، كما حرّفوا الأشهر بعد إن كانت أشهر محّرمة خاصة به وبأعذار يريدون إرضاء رغباتهم فيها .

---

(١) البقرة : ١٢٥.
(٢) العنكبوت : ٦٧.
(٣) إبراهيم : ٣٥.
(٤) موضع يتخذ فيه الشراب ، ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٣٩٢/١٤ مادة (نسأ) .
(٥) جمع المال بحسب قدرة الشخص لشراء الطعام للحجيج اثناء موسم الحَجّ ، ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ١٨١/٣مادة (رفد) .
(٦) نفس المصدر السابق : ٢٠٧/١٣ مادة (سدن) .
(٧) ينظر : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، أحمد ابراهيم الشريف : ١٤٧، دار الفكر العربي .
(٨) التوبة : ١٩.

النسيء

من المعروف إن الأشهر المحّرمة عند العرب قبل الإسلام أربعة اشهر ، وهذا ما ذكره الله في محكم كتابه ، إذ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُور عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَر شَهْرا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرضَ مِنْهَا أَربَعَةٌ حُرمٌ** ...﴾[١] ، وهذه الأشهر الأربعة معروفة أيضاً في الجاهلية وهي ذو القعدة ، وذو الحَجّة ويسمى عندهم (ذا الحَجّة) والذي يبدأ فيه موسم الحَجّ [٢] وشهر مُحرم وهن متواليات ، بالإضافة إلى رجب [٣] ، حيث حُرمت فيها القتال ، ولمّا كانت العرب أصحاب غارات وحروب فأن القعود عن القتال لفترة قد يكلفهم الكثير سواء من مغانم حروب أو رد إعتبار للقبيلة ، لذلك إبتكروا حيلة النسيء ، والنسيء هو التأخير [٤] ، فعن النبيّ في حديث له قال : ((من سره أن ينسأ له في أجله ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه)) [٥] ، لذلك كانت العرب تؤخر أحد أشهر الحُرم لإجل القتال فتُحرم أحد الأشهر الحل ، وتحل أحد الأشهر الحُرم إرضاء لرغباتهم حتى يبقى عددها أربعة أشهر ويعدون هذا من الذكاء والفطنة والحكمة ! ، فعلى سبيل المثال كانوا ينتخبون من شهر صفر شهراً محرماً وهو شهر حِل بدلاً عن شهر (محرم) المحرم أساساً ، كما يروى إن أحد زعماء عشيرة بني كنانه كان يخطب بالناس في منى في موسم الحَجّ قائلاً لهم : (إني أخرت المحرم هذا العام وانتخبت شهر صفر مكانه)[٦] ، وأختلفوا في من أول من سن سنّة النسيء بين عمرو بن لُحيّ وبين قلمس [٧] من بني كنانة كنانة وعلى كل حال فأن الحيلة شُرعت لإبتغاء المنافع المادية فتلاعبت فيها بشعائر عريقة سارت عليها أقوام سالفة ، وينقل إن النسيء عند عرب الجاهلية كان على نوعين : الأول – ما هو معروف من حاجتهم إلى تأخير شهر محرم إلى شهر صفر لإجل الثارات وشن الغارات ، أمّا الثاني – يأخرون الحَجّ

---

(١) التوبة : ٣٦.
(٢) ينظر : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور محمد سهيل طقّوس : ٤٥٦.
(٣) ينظر : المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ، ابن ادريس الحلي (ت:٥٩٨هـ) : ٥٤/١، تح : سيد مهدي الرجائي ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، قم _ إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٢٦٨/٩.
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن مصطفوي (ت:١٤٢٦هـ) : ١٠٠/١٢.
(٥) ينظر : المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ) : ١٧٧/٤، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، مجد الدين ابن الاثير (ت:٦٠٦هـ) : ٤٤/٥، تح : طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٦) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣٨/٦.
(٧) اسم من اسماء البحر ، وهو الرجل الداهية والعظيم ، ينظر : الروض الأنف ، السهيلي (ت:٥٨١هـ) : ٢٤٧/١، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ٥٦٧.

أحد عشر يوماً أو أكثر بقليل ، حتى يعتدل الجو في موسم التجارة عند الحَجّ في كل سنة لكي يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة شمسية [١] ، وفي حجّة الوداع عاد الحَجّ فيه إلى وقته الأصلي حيث قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((ان الزمان قد أستدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض)) [٢] .

الميقـات

وهو أول شعائر الحَجّ ، والميقات : ما حدد للعبادة سواء زمان أو مكان ، قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجّ** ...﴾ [٣] ، وميقات الحَجّ ، هو الموضع الذي يحجون منه [٤] وينقسم الميقات إلى مكاني وزماني ، وذهب البعض الى إن الميقات المكاني الذي كان عليه العرب في الجاهلية ، هو ذاته عندما جاء الإسلام ، أي : إن الإسلام ثبتّها كما هي في الجاهلية [٥] .

إن العرب في الجاهلية يستعدون للحَجّ عند حضورهم موسم سوق عكاظ ، فإذا إنتهت أيام السوق وأراد منهم من أراد الحَجّ ذهب الى مجنة [٦] ، ويقيم بها إلى هلال ذي الحَجّة ، ثم يرتحل عنها [٧] ، فيمكن فيمكن أن نستنتج من ذلك إن هذه الأسواق كادت أن تكون جزء من مناسك الحَجّ ، ويروى إن قريشاً قالت : (لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذا المجاز إلا محرمين بالحَجّ) [٨] ، هذا فيما يخص حَجّ التجار ، أمّا المحرمين من غير التجار فكانوا يذهبون في أي وقت من الأشهر يجدونه مناسب ، ثم بعدها يذهبون الى عرفة ، أمّا بالنسبة الى التوقيت الزماني ، فقد تم التطرق إليه عند البحث سابقاً في موضوع الأشهر الحُرم والنسيء ، والغاية من تحديد المواقيت ، هي لإجل البدء بالإحرام وإرتداء ملابس الحَجّ وأداء مناسك الحَجّ المختلفة .

---

(١) ينظر : الاثار الباقية عن القرون الخالية ، ابي الريحان البيروني (ت:٤٤٠هـ) : ١٥، أديان العرب في الجاهلية ، محمد نعمان الجارم : ٤٥.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجّاج ، ابو زكريا النووي (ت:٦٣١هـ) : ١٦٧/١١، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .

(٣) البقرة : ١٨٩.

(٤) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ١٣٣/٥ مادة (وقت) .

(٥) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٧٧/٦.

(٦) موضع قرب جبل يقال له الاصفر بأسفل مكة ، ينظر : في طريق الميثولوجيا عند العرب ، محمود سليم الحوت : ١٤٨.

(٧) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٧٧/٦.

(٨) ينظر : في طريق الميثولوجيا ، محمود الحوت : ١٤٩.

التلبية

وتكون برفع الصوت والقول (لبيك) ، ولها عدة معانٍ منها : الإجابة والطاعة والإخلاص والقصد والإتجاه والإقامة والعقل والمحبة والعطف والجوهر ومكان القلادة في الرقبة [١]، ويمكن القول إن الأصل في التلبية هي لإجابة الداعي ، إلا إن الإجابة بطيب ومحبة ، والتلبية أساساً لله الواحد وحده خاص به ، كما يذكر إن أول من لبى في الأرض هو النبيّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) [٢] ، إذ كان هو المنادي والملبي ، فعن ابن عباس (ت:٦٨هـ) قال : (لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : أذن في الناس بالحَجّ ،قال : رب وما يبلغ صوتي قال : أذن وعليّ البلاغ ، فنادى إبراهيم ، إيها الناس كُتب عليكم الحَجّ فسمعه ما بين السماء والأرض افلا ترى ان الناس يجيئون من اقطار الارض يلبون) [٣] ، حيث إن التلبية جاءت من جميع الخلق حتى الذي في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات [٤] ، فما التلبية إلا ميثاق أخذه الله من الخلق ، وقد سار عليه من بعد إبراهيم أنبياء ورُسل مجددين للعهد [٥] ، تحورت صيغتها خصوصاً بعد دخول الأصنام ونصبها في الكعبة من ((لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك)) إلى ((لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك)) [٦] ، وينقل السُهيلي (ت: ٥٨١هـ) ، إن أول من لبى هذه التلبية المحرفة عمر بن لُحيّ بعد وسوسة الشيطان له ، فلبى بها ولبى العرب من بعده [٧] ، فأشركوا أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع مع الله في تلبيتهم ، بل الأردى من ذلك عمدوا الحَجّ الى أصنامهم المنصوبة بعيد عن الكعبة ، ويلبون بتلبيات خاصة لها ، فلكل

---

(١) ينظر : العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) : ٣٤١/٨ ، تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ١٨٤/٤.
(٢) ينظر : الكافي ، الكليني (ت: ٣٢٩هـ) ، تح : علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط٣ : ٣٣٥/٤.
(٣) ينظر : منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، العلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ) : ٢٥٨/١٠، تح : قسم الفقه في مجمع البحوث الاسلامية ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ .
(٤) مستدرك الوسائل ، ميرزا حسين الطبرسي (ت:١٣٢٠هـ) : ١٢/٨، تح : مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، بيروت – لبنان ، ط٢ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(٥) ينظر : الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ٢١٣/٤، علل الشرائع ، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٤١٩/٢، تح : السيد محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٩٨٨م ، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول ، العلامة المجلسي (ت:١١١١هـ) : ٥٢/١٧، تح : السيد محسن الحسيني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
(٦) ينظر : الاصنام ، ابن الكلبي (ت:٢٠٤هـ) :٧ ، الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ٥٤٢/٤، مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٥/٥.
(٧) ينظر : الروض الانف : ٣٥١/١.

صنم تلبيته الخاصة تطرق إليها البغدادي ابن حبيب (ت: ٢٤٥هـ) في كتابه المحبر [١] ، إلى ذكرها يمكن العودة إليها وقد تطرقتُ إلى ذكر بعض هذه التلبيات في مبحث عبادة الأصنام ، من تلبيات الات والعزى وغيرها لا حاجة لنا لذكرها هنا مرة أخرى ، كما إن العرب كانت إذا أرادت حجّ بيت الله الحرام وقفت كل عشيرة عند صنمها الذي تعبده ، واحياناً تعبد العشيرة عدة أصنام ، فيلبون بتلبيات مختلفة لأصنامهم ، ثم يقدموا مكة [٢] ، إذ إن هذه الصورة المنقولة عن العرب نستنتج من خلالها إلى تشابه طقوس الحَجّ بين الكعبة وبقية المعابد المنصوبة بداخلها الأصنام وأهميتها في نفوسهم رغم إعترافهم بأفضلية الكعبة عليها .

الطواف

من المعروف إن مناسك الحَجّ عند العرب في الجاهلية لم تكن على نسق واحد عند جميع القبائل فقد تنوعت وأختلفت طقوسهم فيها ، ومنها الطواف والطواف مقدماً أطلق عليه لفظ دواراً [٣] ، ويعرف بأنه الدوار حول موضع معين ، إذ ينطلق منه ويعود إليه ، أي يحوم حوله [٤] ، وللطواف أهمية وثقل عند العرب ، إذ كانوا يطوفون سبعة أشواط حول الكعبة والأصنام المحيطة بها أو البعيدة عنها ، ويطوفون حول قبور ساداتهم ايضاً ، فهي شعيرة ذات أهمية بالغة ، ولا يتم الحَجّ بدونها عندهم [٥] ، كذلك طوافهم طوافهم حول الرجمات و هي: (عبارة عن حجارة مجتمعة على هيئة بيت عالي شبيه بالمنارة يعرف بالرجمة) [٦] وللعرب في طوافهم مذاهب مختلفة ، يمكن التطرق إليها بشيء من الإيجاز وهم :

أولاً– الحُمس

والحُمس لفظة جاءت بمعنى التشدد [٧] ، ولتشددهم طقوس في العبادة عند إحرامهم ، وينقل لنا الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) مظاهرهم في التشدد ، إذ يقول : ((كانوا اذا احرموا لا يأتقطون الأقط ، ولا

---

(١) ينظر : المحبر : ٣١١-٣١٨.
(٢) ينظر : تاريخ اليعقوبي ، اليعقوبي (ت:٢٩٨هـ) : ٢٥٥/١.
(٣) ينظر : الحياة العربية من العصر الجاهلي ، احمد محمد الحُوفي (ت:١٤٠٤هـ) : ٣١٨، مكتبة نهضة مصر ، ط٢ .
(٤) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) ، ٢٦٥/٩ مادة(طاف) .
(٥) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٧٧/٦.
(٦) ينظر : تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، الدكتور محمد ابراهيم الفيومي (ت:١٤٢٧هـ) : ٥١١.
(٧) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٥٨/٦ مادة (حمس) .

يأكلون السمن ، ولا يسلؤونه ولا يمخضون اللبن ، ولا يأكلون الزبد ، ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ما داموا حرماً ولا يغزلون الوبر ولا الشعر ولا ينسجونه ، وإنما يستظلون بالأدم ، ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم)) [١] ، وتطلق لفظ الحُمس على قريش وما ولدت ومن دان بدينها من العرب [٢] والمعروف عن أهل الحُمس الطواف حول الكعبة بثيابهم [٣] ، ونعالهم حتى داخل جوف الكعبة ، وينقل إن (الوليد بن المغيرة) [٤] أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة تعظيماً لها [٥] ، والحُمس لم تكن قريش وحدها ، ولم تكن جماعة قامت وظهرت على رابطة الدم والنسب ، كما هو الحال بالنسبة الى القبيلة ، بل هم قريش وكل من نزل الحرم وسكن مكة ، وطوائف من العرب كانت قد شاركت قريشاً في مناسك حجّها ، وسارت على نهجها في الحَجّ وشاطرتها الرأي في دينها ، ومن عاداتهم التي كانوا يؤدونها في الحَجّ أثناء الإحرام أنهم لا يدخلون البيوت من أبوابها ، فيقوم الحاجّ بحفر ظهر البيت ليدخل إليه ، ويعود السبب في عملهم هذا لمعتقد يسيرون عليه بأن على كل محرم حاجّ لا يفصل بينه وبين السماء حائل [٦] .

ثانياً – الحلّة

ولهم نظام في طوافهم يختلفون فيه عن بقية الملل ، إذ يطوفون بالبيت عراة دون ثياب يقصدون بطرحهم للثياب طرح ذنوبهم التي اقترفوها خلال العام [٧] ، كما أن لهم إعتقاد يسيرون عليه ، وهو إن طوافهم غير سليم لو كان بالثياب ، لإن الثياب لازمت ذنوبهم فيلجؤون إلى خلعها والتخلص منها ، حتى تتلفها عوامل الطبيعة والأقدام ، إذ يقولون بذلك : ((لا نطوف في ثياب قارفنا فيها الذنوب)) [٨] ، وقالوا ايضاً ايضاً : ((لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيلقونها عنهم ويسمّون ذلك الثوب اللقي)) [٩] والحيلة

---

(١) المفصّل : ٦/ ٢٨٣ .
(٢) ينظر : المفضليات ، المفضل ابن الانباري (ت:٣٢٨هـ) : ٢٥٩، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت- لبنان ، المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٦/ ٢٨٤.
(٣) ينظر : اخبار مكة ، الازرقي (ت:٢٢٢هـ) :١٧٩/١.
(٤) ينظر : الاعلام ، خير الدين الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) : ١٢٢/٨، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م.
(٥) ينظر : الاوائل ، ابي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) :٤٨، تح : الدكتور محمد الوكيل ، دار البشير ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٨٥/٦.
(٧) ينظر الروض الانف ، السهيلي (ت:٥٨١هـ) : ٢٨٥/٢.
(٨) اخبار مكة ، الازرقي (ت:٢٢٢هـ) : ١/ ١٧٩.
(٩) المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٨٠/٦.

والحيلة أو الحلّة أسم أُدرج تحتها مجموعة من القبائل التي كانت تمارس هذه العادة السيئة يمكن العودة إليها [١] ويرى بعض المفسرين إن الآية في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُر بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] نزلت بحق أهل الحلّة المتعرين بالطواف أثناء الاحرام [٣] ، فإذا قيل لهم : لمَ تفعلون هذا؟ قالوا : وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها! ، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدي بهديهم ونستن بسنتهم والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه ، وهذا ما يختلف فيه أهل الحلّة عن الحُمس في عدم إرتداء الثياب أثناء الطواف حول الكعبة ، إلا أنهم يتفقون معهم في عدم دخول البيوت من أبوابها ، ويبدوا إن هذه العادة مشتركة عند جميع الحَجّيج من العرب كما سنوضح ذلك لاحقاً عند المعالجة .

ثالثاً – الطلس

هم فئة يعيشون مبدأ وسط بين الحُمس والحلّة ، إذ يتفقون مع الحُمس في مسألة الإحرام بالثياب ويختلفون معهم في مسالة الوقوف بعرفة ، والتي سنتطرق إليها لاحقاً ، ويعملون العكس مع الحلّة في الثياب ، بينما يتفقون معهم في الوقوف بعرفة [٤] ، وتندرج تحت مسمّى الطلس قبائل العرب الجنوبية من من اليمن وحضرموت وعجيب واياد بن نزار وعك [٥] ، إذ أنهم يأتون من أماكن بعيدة مكة ويقطعون أشواطاً كبيرة وقد لا يحملوا الزاد معهم ، لذلك أطلق عليهم لفظ (المتوكلة) ، والتسمية جاءت لعدم حملهم الزاد أثناء رحلة الحَجّ ، وإعتمادهم على رب البيت في طعامهم أو إعتمادهم على الطلب من الناس [٦] ، فعن ابن عباس (ت:٦٨هـ) قال : (كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلة ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس) [٧] نستنتج من ذلك إن ما تقدم من إجتهادات الحُمس والحلّة والطلس ما هو إلا نتيجة الإبتعاد عن مشاعر الحَجّ الأبراهيمية الحقيقية الصحيحة ، فبعد إن كانت موحدة

---

(١) المصدر نفسه : ٦/ ٢٨٥.
(٢) الاعراف : ٢٨.
(٣) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٢٤٢/٤، الجلاليين ، جلال الدين المحلي(ت:٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ١٩٦، الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) : ٣٢٠/٣.
(٤) ينظر : المحبر ، ابن حبيب البغدادي (ت:٢٤٥هـ) : ١٨١.
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٢٩٢/٦.
(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٤١١/٢.

خالصة لله ظهر فيها التنوع فآلت الى مذاهب شتى كلٌ منهم يرى طقوسه هي الأصح وهي التي تقربه لله الواحد .

السعي بين الصفا والمروة

إن شعيرة السعي بين الصفا والمروة شعيرة قديمة ترجع إلى السيدة هاجر زوجة النبيّ إبراهيم (عليه السلام) عند نفاذ الماء ، عندها بدأت تركض بين الصفا والمروة لأجل البحث عن الماء ، وعندما عادت إلى ولدها إسماعيل وجدت عين زمزم قد تفجّرت المياه منها عند قدميه فكانت سنّة الناس بعدها تسعى بينهما تيمناً بسعي السيدة هاجر [١] ، والأصل في لفظ الصفا حجر لا يخالطه تراب [٢] ، أمّا المروة حجر صلب أبيض وسلس تقدح منه النار [٣] ، وكالعادة حرّف العرب في الجاهلية شعيرة السعي بينهما مدرجين التقرب الى الأصنام مع التقرب إلى الله ، إذ وضعوا إساف ونائلة كل واحد منهما على جبل وسعوا بينهما ، حيث يبدأ السعي عندهم من إساف وينتهي بنائلة .

الوقوف بعرفة

الوقوف بعرفة معروف عند العرب في الجاهلية ، وعرفة منبسط أرضي تحيط به الجبال ، ويقف عليه الحَجّيج ، إذ أن الوقوف عليه منسك مهم لا بد من أداءه أثناء الحَجّ ، ويكون في اليوم التاسع من شهر ذي الحَجّة ، وتوجد شخصية معروفة تلي بالناس الاجازة من عرفة وهو (الغوث بن مر بن اد) [٤] وجميع العرب كانت تفيض من عرفة من غير قريش ومن دان دينها ، إذ تقف بالمشعر الحرام في طرف الحرم من نمرة ، من المغمس [٥] ، ويعود السبب في عدم إفاضة قريش من عرفة لأنهم يرون أنهم أهل الحرم ، ولا يوجب عليهم الخروج خارج حدوده ، إذ كانوا يقولون : ((نحن بنوا ابراهيم واهل الحرمة وولاة البيت ، وقاطنوا مكة وساكنوها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما نعرف لنا فلا تعظموا شيئاً من الحل ، كما تعظمون الحرم ، فأنكم ان فعلتم ذلك أستخف العرب

---

(١) ينظر : البداية والنهاية ، ابو الفداء الدمشقي (ت:٧٣٢هـ) : ١٧٨/١.
(٢) ينظر : مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ١٧٧/١مادة (صفا).
(٣) نفس المصدر السابق : ٢٩٣/١مادة (مرو).
(٤) ينظر : التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب ، احمد شهاب الدين الشافعي (ت:٦٠٠هـ) : ١٠/١.
(٥) ينظر : القرى لقاصد ام القرى ، ابو العباس احمد الطبري المكي (ت:٦٩٤هـ) : ٣٨٠.

بحرمكم ، وقالوا : قد عظموا من "الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها)) [١] فجاء التقصير عن إتمام شعيرة إبراهيمية ، كما قصروا عن بقية الشعائر الأخرى .

الإفاضـة من المزدلفة

والإفاضة تعني الدفع ، ويقال : أفاض من مكان إذا أسرع إلى مكان آخر ، وسمّي بذلك لإن الناس يدفعون بعضهم البعض [٢] ، والمزدلفة مكان يتوسط عرفة ومنى ، وجاء ورده في القرآن الكريم بأسم (المشعر الحرام) قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ [٣] ، وفي الجاهلية كان العرب يفيضون منها إلى منى عندما تطلع الشمس ، يقولون : اشرق ثُبير[٤] ، ولهم في ذلك غاية إذ يتعبدون للشمس عند المشعر الحرام ، ولا ننسى إن عبادة الكواكب والنجوم كانت معروفة عند الجاهليين يعبدونها مع الله ، فخلطوا الحق مع الباطل ولوثوا شعائر نظيفة نقية بأدران الكفر والمعصية .

منـى والأعمال التي تقام فيها :

اولاً – رمي الجمرات

الجمرات جمع مفردة جمرة ، وهي القطعة المُلتهبة ، وتطلق على مجموع الحصى [٥] ، وهي مفردة سامية سامية قديمة ، وعادة رمي الجمرات معروفة عند العرب قديماً قبل الإسلام ، وكانت ترمى في مكان يعرف بـ (جمرة العقبة) [٦] ، ورمي الجمرات عند العرب تعني التعظيم والتبجيل ، وهذا المعنى يتفق مع مبدأ الرواية المنقولة عن أهل الأخبار من أن عمرو بن لُحيّ وضع عدة أصنام عند منى في مواضع

---

(١) جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٤/ ١٨٨.
(٢) ينظر : التحقيق في كلمات القران ، حسن مصطفوي (ت:١٤٢٦هـ) : ٩/ ١٨٤-١٨٥.
(٣) البقرة : ١٩٨.
(٤) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٢/٦.
(٥) ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، احمد الفيومي (ت:١٣٦٨هـ) : ١٠٨/١، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان .
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٢/٦.

مختلفة وجمّع عندها حصى الجمار ، فيرمى كل واحد من هذه الأصنام ثلاث مرات من قبل حجيج العرب [١] .

ثانياً – نحر الذبائح إن نحر الذبائح والقرابين عادة قديمة ايضاً عند العرب ، إذ كانوا يقدمون لها الأبقار والأغنام والإبل قرباناً وتقرباً لها ، وتسمّى هذه القرابين بـ (العتيرة) [٢] ، أو (البُدن) [٣] ، وكان العرب يضعون عليها علامة كالشق لتبين إنها هدي ، وإنها ذبائح خاصة للآلهة حتى لا يتقرب منها أحد [٤]، وينقل السيوطي (ت:٩١١هـ) إن دماء تلك الأضاحي ينضحون بها الكعبة بيت الله الحرام [٥] وحسب ما وصل إلينا من الروايات إن طعام هذه الذبائح والهدي لا يتناولونها بل يتركونها لسباع البر وجوارح الجو والناس المحتاجة من الطعام [٦] .

ثالثاً – عقد مجالس المفاخرة بالآباء

المفاخرة ديدن العرب وجُل أهتمامهم كان التفاخر بالآباء والأبناء والأنساب والثروات وغيرها من أمور الدنيا في مجالس الأقوام والأسفار وموسم الحَجّ يعقدون المجالس ويعظمون آبائهم وأجدادهم ، وكما ينقل عنهم أنهم إذا انتهوا من مناسك الحَجّ بمنى قعدوا حلقاً يذكرون فيها أفعال وصنيع آباءهم وأجدادهم في زمن الجاهلية ، فيقوم الرجل منهم يقول :(ان أبي كان عظيم الجفنة [٧] ، عظيم القبّة كثير المال) [٨].

[٨].

رابعاً – الحلق والتقصير

---

(١) ينظر : نفس المصدر السابق .
(٢) ينظر : الأصنام ، ابن الكلبي (ت:٢٠٤هـ) : ٣٤.
(٣) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٠/ ٢٤٣-٢٤٤.
(٤) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين المناوي (ت:١٠٣١هـ) : ٣٤٣.
(٥) ينظر : الدر المنثور : ٥٦/٦.
(٦) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٣/٦.
(٧) الكرم ، ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٩٠/١٣ مادة (جفن) .
(٨) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٥/٦.

كان لحق الشعر وتقصير دلالة على إتمام الحَجّ عند العرب بعد إن ينحروا الذبائح ويقدمونها قرباً للآلهة ويكون التقصير والحلق عند الأصنام [١] ، وكانت هناك عادة عند بعض قبائل اليمن ، وهي خلط الدقيق مع بقايا الشعر المحلوق ، إذ أن الرجل منهم يضع فوق رأسه قبضة من الدقيق ، ثم يحلق ويجعل المزيج من الشعر والدقيق صدقة للمحتاج [٢] .

المطلب الثاني : معالجة الإنحرافات في الحَجّ

الحَجّ فرض آلهي مهم شُرّع في عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وجاء الإسلام مؤكداً عليه قال تعالى ﴿ **وَأَذِّن فِي الناس بِالحَجّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرِ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [٣] ، وجعله الإسلام الركن الخامس من أركانه ، وفرضه مرة واحدة في العمر للمستطيع تحمل نفقاته ومشاقه ، كما إن له وقته ومكانه المعروف في بيت الله الحرام في مكة المكرمة والذي جعله الأمن والأمان لكل قاصد إليه قال تعالى في محكم كتابه ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ربِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ** ﴾ [٤]، وجاء ذكره صريح في الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ...**﴾ [٥] .

وفريضة الحَجّ كما هي معروفة لها مناسك وشعائر يؤديها القاصد لأدائها ، وجاءت مشابهة في طقوسها على ما كان عليه العرب قبل مجيء الإسلام إلا في بعض الجوانب ، فقام بإصلاحها وتوجيهها ، فلم يترك إنحراف بسيط إلا وعالجه ، حتى تتلائم مع غاية الفريضة الأساسي ، وهو التسليم والأذعان لله وحده دون غيره ، وجاء في حديث لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) عن فريضة الحَجّ يقول

---

(١) ينظر : في طريق الميثولوجيا ، محمد الحوت : ١٥٤.
(٢) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٦/ ٣٠٤.
(٣) الحَجّ : ٢٧-٢٨-٢٩.
(٤) البقرة : ١٢٥-١٢٦.
(٥) الحَجّ : ٢٥.

فيها : ((وَفَرضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلاْنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرودَ الاْنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ ،جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزتِهِ ، وَاخْتَار مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرشِهِ، يُحْرزونَ الاْرباَحَ فِي مَتْجَر عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلاْسْلاَمِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرماً ، فَرضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا * وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾)) [1] ، فكانت أول إصلاحات الحَجّ تحريم النسيء بنوعيه المعهودين عند الجاهلية قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [2] ، إذ عدّ النسيء كفراً ، بل زيادة في الكفر ، كما ينقل انه ﴿ **زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ** ﴾ ، هو كفر آخر بالإضافة إلى كفرهم بالله [3] ، وكل كفر حرام ومحرم العمل به ، إذن تحريمه للنسيء كان صريحاً في نصه الكريم ، إذ إن للحَجّ اشهر معلومة محرمة منذ خلق الله السماوات والأرض قال تعالى : ﴿ **الحَجّ أَشْهُر مَعْلُومَاتٌ...**﴾ [4] ، وقوله : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ...**﴾ [5] ، وينقل عن عن زرارة عن ابي الله (عليه السلام) قال : كنت قاعداً عنده خلف المقام مستقبلاً الكعبة فقال : ((أما النظر إليها عبادة ، وما خلق الله بقعة من الأرض احب إليه منها – ثم هوى بيده إلى الكعبة ، ولا اكرم عليه منها ، لها حرم الله الأشهر الحُرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ، ثلاث اشهر متوالية وشهر مفرد للعمرة)) [6] .

ويلاحظ من القرآن الكريم إن الله لم يسمِ الأشهر المحرمة بأسمائها ، فقط تسمية عامة ، لإنها كانت معروفة ومعلومة عندهم [7] ، وهذا ما يثبت إن فكرة النسيء لم تكن نتيجة غفلة أو جهل ، وإنما هي متعمدة لخلط الحق مع الباطل وتحوير مناسك خاصة لله ، والتلاعب بها إرضاء للرغبات الدنيوية ، ليعود

([1]) نهج البلاغة ، الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ) : ٢٦/١، تح : محمد عبده ، دار الذخائر ، قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
([2]) التوبة : ٣٧.
([3]) ينظر : تفسير الآصفى ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ٤٦٤/١، تح: مركز الابحاث والدراسات الإسلامية ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
([4]) البقرة : ١٩٧.
([5]) التوبة : ٣٦.
([6]) تفسير البرهان ، هاشم البحراني (ت:١١٠٧هـ) : ٧٧٦/٢.
([7]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٤٠٥/٢.

النبيّ الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مبيناً ذلك في خطبته في حجّة الوداع ، وذكر إن الزمان قد عاد كما كان منذ إن خلقه الله عز – وجل فلا تغيير ولا تبديل لأشهر الحَجّ بعد اليوم ، فألغى بذلك تلك الحيلة التي كانت من صنيع المتمردين من العرب ، وقد دلت آية النسيء على إن التحريم والتحليل خاص بالله وحده ، وليس لأحد الحق بأن يحلل ويحرم كيفما يشاء بحرمات الله ، لإنه كذب وإفتراء من عندهم على الله قال تعالى ، فهي أشهر ثابت تحريمها نهى الله عنها نهياً صريحاً في عدم إحلاله بقوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ..﴾ [1]

أمّا مسألة الميقات ، فلم يتركها الإسلام ايضاً كونها أول شعائر الحَجّ وجاء وردِه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجّ..﴾[2] ، والأهلة جمع هلال وأشتق ذلك استهل الصبي إذا صاح وأهلّ الناس بالحَجّ أيّ : رفع صوتهم بالتلبية [3] ، والمعروف إن الميقات ما يحدد للعبادة سواء المكاني (وهو مواضع الإحرام[4]) أو الزماني والذي يبدأ منه الحَجّ [5] ، وقد حدد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أغلب المواقيت عند الإحرام فكان (ذا الحليفة) [6] ميقات لأهل يثرب ، و(الجحفة) [7] بداية إحرام أهل الشام وحدد (قرن المنازل) [8] لأهل نجد وكل حجّاج البيت القادمين من جهة المشرق بإتجاه الحَجّاز ، وجعل ميقات أهل العراق (ذات عرق) [9] ، أمّا أهل مكة فيُحرِمون من منازلهم القاطنين فيها [10] ، و(يلملم) [11] ميقات القاصدين من اليمن ،أمّا المواقيت الزمانية ، فهي معروفة شوال و ذو القعدة وذو الحجة [12] .

([1]) المائدة : ٢.
([2]) البقرة : ١٨٩.
([3]) ينظر : بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) : ١٢٦/١ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو أسحاق الثعلبي (ت:٤٢٧هـ) : ٨٥/٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٢٣٥/١ .
([4]) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٨٢/٥ .
([5]) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ١٣٣/٥ مادة (وقت) .
([6]) هي قرية بينها وبين المدينة ست او سبعة أميال ، ينظر : معجم البلدان ، الحموي (ت:٦٢٦هـ) : ٢٩٥/٢ .
([7]) هي قرية على طريق المدينة تبعد عن مكة أربع مراحل ، ينظر ، نفس المصدر السابق : ١١١/٢.
([8]) هو جبل يبعد عن مكة يوم وليلة ، ينظر : نفس المصدر السابق : ٣٣١/٤-٣٣٢ .
([9]) وادي بين نجد وتهامة ، ينظر : نفس المصدر السابق : ١٠٧/٤ .
([10]) ينظر : المقنع ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٢١٦ ،المقنعة ، المفيد (ت:٤١٣هـ) : ٣٩٥ ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، احمد القسطلاني (ت:٦٨٦هـ) : ٩٧/٣_٩٨، المطبعة الكبرى الاميرية ، مصر ، ط٧ ١٣٢٣هـ .
([11]) جبل يبعد عن مكة ليلتين ، ينظر : معجم البلدن ، الحموي (ت: ٦٢٦هـ) : ٤٤١/٥ .
([12]) ينظر : الأنتصار ، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) : ٢٣٦ ، تح : مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم –إيران ، ١٤١٥هـ ، الخلاف ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٥٨ ، تح : السيد علي

و التلبية فهي ايضاً جزء لا يتجزأ من مناسك الحَجّ أبقاها الإسلام إلا أنه غيّر بصيغتها الشركية ، وجعلها خاصة بالله ، كما وجعل التلبية حول الكعبة فقط ، بعد إن كانت تلبي خارج مكة عند الأصنام ، لكونها أساساً كانت جزء من حجّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وقد وضع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) تلبية الإسلام القائمة على التوحيد الخالص للذات الآلهية المقدسة وهي ((لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك لبيك)) [١] .

ويذكر بعض المفسرين إن أمر النهي الوارد في الآية الكريمة ﴿ **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزور..**﴾ [٢] ، هو خاص بالإشراك في التلبية [٣] قال ابن عباس (ت:٦٨هـ) : (حجاجاً لله غير مشركين به ، إذ ان العرب في الجاهلية كانوا يحجون مشركين) [٤] ، وإستمرت الآيات تدعوا الناس الى التخلص من هذا الشرك الذي لوث شعائر الله المقدسة فجاء النهي صريحاً في قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾[٥] ، فكلها تصب بنفس المعنى وهو النهي عن الاشراك [٦] ، ولما أستمر المشركين بتلبياتهم المحّرفة حول الكعبة نتيجة العناد واللجاجة وهذا ديدن طباعهم إستخدم القرآن الكريم إسلوب الإقصاء وهو آخر إسلوب إتبعه لهم فنفاهم من المسجد الكرام قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ..﴾[٧] ، وهذا الأسلوب أُتُبع في المدينة بعد ترسيخ معالم التوحيد وإعادة مناسك الحَجّ المقدسة إلى سابق عهدها في زمن النبيّ إبراهيم (عليه السلام) ، حتى تكون الكعبة المشرفة خاصة للموحدين الخلّص الملبين لعبادة الله وحده المطيعين أوامره والمجتنبين نواهيه .

الخراساني ، السيد جواد الشهرستاني ، الشيخ مهدي نجف ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ١٤٠٩هـ .

(١) ينظر : صحيح البخاري ، البخاري (ت:٢٥٦هـ) : ١٣٨/٢ (ح: ١٥٤٩) ، من لا يحضره الفقيه ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) :٣٢٦/٢، تح : علي اكبر غفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي ،قم ، وسائل الشيعة ، الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ) : ٣٧٤/١٢، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث ، الناشر مؤسسة اهل البيت (ع) لاحياء التراث ،ط٢ ، ١٤١٤هـ .

(٢) الحَجّ : ٣٠.

(٣) ينظر : الجلالين ، جلال الدين المحلي (ت:٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٤٣٧ ، الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٣٧٣/١٤ ، الامثل ، الشيرازي : ١٠/ ٢٣٦.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن ابن ابي حاتم (ت:٣٢٧هـ) : ٢٤٩١/٨، تح : اسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .

(٥) الجن : ١٨.

(٦) ينظر : النكت والعيون ، ابو الحسن علي الماوردي (ت:٤٥٠هـ) : ١١٩/٦، تح : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(٧) التوبة : ٢٨.

الطواف ايضاً لم يكن من نسج وإبتكار العرب في الجاهلية ، بل هي عادة قديمة جداً ، أقرّها الإسلام وأعدّها من أهم أركان الحَجّ ، وعَمِل إلى تعديل وتهذيب بعض أحكامها ، والطواف في الإسلام خاص بالكعبة وحدها ، وطريقته يطَوف الناس حول الكعبة سبعة أشواط ، ويسمّون الطوافين وجاء ورد الطوافين في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [٢] ، إذ فيه أمر للنبيّ (عليه السلام) بتطهيره بيته من براثن الشرك للموحدين المخلصين ، وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [٣] ، وقد نهى الإسلام عن طواف العراة ، فجاء في قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [٤] إذ إن فيها أمر بأخذ الثياب وإرتدائها أثناء الطواف ، ، وأجمع المفسرون على إن لفظ الزينة الوارد في الآية المباركة هو لإرتداء الثوب المستور لإن الزينة لا تتم إلا بالستر [٥] ، إذن فالسبب في نزول الآية هو طواف بعض الأعراب بالبيت دون ثياب ، فأمر الله نبيه إن يأمرهم بلبس الثياب [٦] ويذكر أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في تفسيره : ((لما بعث الله رسوله وأنزل عليه ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أذّن مؤذن الرسول ألا يحج البيت بعد العـام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان)) [٧] .

وقد خَطَب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في أحد مواسم الحَجّ قائلاً : ((ان رسول الله أمرني عن الله ألا يطوف بالبيت عريان)) [٨] ، ولنا في قصة آدم وزوجته حواء عبرة وخير دليل ، عندما عصيا الله بانت لهما سوءاتهما يصف القرآن حالهما بقوله : ﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ**

---

(١) البقرة :١٢٥.
(٢) الحَجّ : ٢٦.
(٣) الحَجّ : ٢٩.
(٤) الاعراف : ٣١.
(٥) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٢٨/١٤.
(٦) ينظر : اسباب النزول ، الواحدي (٤٦٨هـ): ١٥١.
(٧) البحر المحيط : ٤٠/٥.
(٨) عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار ، ابن البطريق (ت:٢٦٣هـ) : ١٦٢، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم – ايران ١٤٠٧هـ .

بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [١]، وقوله تعالى : **﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾** [٢] ، وقوله تعالى : **﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** [٣] ، ونستنتج من إن سبب أمر الإسلام بستر العورة لإنه عمل من أصل الفطرة السليمة الصحيحة ، والتعري مخالف للفطرة ، فضلاً عن كونه سبب من أسباب غضب الله عز – وجل ، فكيف يمكن إن يعُبد الله بطريقة تغضبه ، إذ أن الطاعة والعصيان لا يجتمعون مطلقاً كما أنه ليس من أخلاق الأنبياء ولا الصالحين التعري أمام الملاء ، هذا غير عواقبه الوخيمة والتي قد تؤول الى كوارث وانتهاكات في مكان طاهر مقدس ينتزع فيها الإنسان عن كل شهواته الدنيوية ، ولإن غاية فريضة الحَجّ عبادة الله وتقواه ، فقد أباح الإسلام بعض الأمور التي كانت محرمة عند البعض نتيجة التشديد لا غاية ولا غرض من تحريمها ، ومن ضمنها إباحة تناول الطعام والشراب ممّا أنعم الله على خلقه وعباده ، قال تعالى : **﴿ قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرزقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾** [٤] ، والذي كانت تعمل به أهل الحُمس نتيجة العنت والغرور فقاموا بتنزيه أنفسهم عن غيرهم من الحَجّيج لكونهم اهل الحرم : **﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرا تَهْجُرونَ ﴾**[٥] ، كما أمر القرآن بإيتاء البيوت من أبوابها قال تعالى : **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجّ وَلَيْسَ الْبِر بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورهَا وَلَٰكِنَّ الْبِر مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** [٦] ، فقد كانوا يتحرجون الدخول من أبواب البيوت معتقدين إن ذلك من البر في العبادة [٧] ، فبين القرآن على إن البر في تقوى الله ، وليس في ممارسات خرافيّة ، كما نزل الأمر بالتزود بالمتاع قال تعالى : **﴿ الحَجّ أَشْهُر مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرضَ فِيهِنَّ الحَجّ فَلَا رفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْر يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْر الزادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾** [٨] ، حتى لا يلقوا بأنفسهم احياناً الى التهلكة ، وهذا ما كان يفعله الطلس من أهل اليمن ، إذ كانوا يقدمون مكة دون زاد ومتاع أو يتبرعون بزادهم أثناء سفر حجهم

---

(١) الاعراف :٣٢.
(٢) الاعراف : ٢٦.
(٣) الاعراف : ٢٧.
(٤) الاعراف : ٣٢.
(٥) المؤمنون : ٦٧.
(٦) البقرة : ١٨٩.
(٧) ينظر : لباب النقول ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٢٥_٢٦، تح : احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
(٨) البقرة : ١٩٧.

قائلين (نحن ضيوف الله وطعامنا عليه) [١] ، وفي خصوص بقية الشعائر فقد أعاد الإسلام شعيرة السعي بين الصفا والمروة على ما كانت عليه وعظهما لإن السعي بينهما من شعائر الله : ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [٢] ، وليس إبتكار مجتمعي أو قبلي فجاء الحديث عنهما في كتابه العزيز قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٣] ، ثم أكدّ عليهما فضلاً عن كونهما من المناسك ، فلا إثم على أحد أن يطوّف ويسعى بينهما ، إلا أنه جعلها خاصة خالصة لله بعد إن رفع الصنمين إساف ونائلة من عليهما لذلك تردد بعض المسلمين في بداية الدعوة وتحرجوا في السعي بينهما وكون المشركين كانوا يسعون بينهما ، فإعتقدوا إن هذه واحدة من شعائر الكفر والجاهلية [٤] ، فبين لهم رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن الغاية إنما للسعي بينهما وليس السعي بين الصنمين ، لإن عبادة الصنمين عبادة مستحدثة من قبل المشركين على شعيرة الله والأصل هو السعي بين الجبلين ، ويكون السعي بينهما بسبعة أشواط [٥] .

وشعيرة الوقوف بعرفات بقيت كما هي ، إلا إن الإسلام وحدّ الصفوف وأمر الجميع من قريش وغير قريش من ساكن الحرم وخارج الحرم الإفاضة من نفس المكان من عرفات ولا يتخلف عنها أحد كما كان يفعل الحُمس ، إذ لا فضل لأحد على أحد بسبب مسكنه قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[٦]، وربما الوقوف بعرفة والإفاضة منها سنّة إبراهيمية أرادها أرادها الله كما تكون ، وخير دليل على ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم (عليه السلام))) [٧] .

---

(١) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٣٨/٢.
(٢) الحَجّ : ٣٢.
(٣) البقرة : ١٥٨.
(٤) ينظر : لباب النقول ، السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٢٠.
(٥) ينظر : الهداية ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٢٣٢ ، النهاية ونكتها ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) و المحقق الحلي (ت:٦٧٦هـ) : ٥١١ ، تح : مؤسسة النشر الاسلامي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، المبسوط ، السرخسي (ت:٤٨٣هـ) : ٥١/٤ .
(٦) البقرة :١٩٩.
(٧) السنن الكبرى ، النسائي (ت:٣٠٣هـ) : ١٥٩/٤، تح : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، النهاية ونكتها ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) و المحقق الحلي (ت:٦٧٦هـ) : ٥٢٠ .

الإفاضة من المزدلفة لم تختلف كثيراً ايضاً عنه قبل الإسلام ، إلا إن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أفاض بعد الغروب قبل طلوع الشمس ، عكس ما كان العرب يفيضون عند الطلوع ، إذ قام بتغيير وقتها لتكون سنة يعبد الله وحده [١] .

ترجع أساس رمي الجمرات الى نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام) ، إذ رمى الحصى على الشيطان عندما تمثّل أمامه ، حين ذبحه لولده إسماعيل [٢] ، وقد رمى النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند منى ثلاث جمرات : الأولى الوسطى والعقبة يومي الحادي والثاني عشر من شهر ذي الحَجّة [٣] ، فأصبحت فيما بعد سنّة ومنسكاً عاماً للمسلمين يأخذون بها الى يومنا هذا ، فأول ما يفعله الحاجّ في مى رمي الجمرات ولها شروط في كيفية رميها والمسافة الفاصلة يمكن الرجوع إلى المصادر الفقهية [٤].

جاء الإسلام مؤكداً على سنّة ذبح الأضاحي وهي ايضاً سنّة إبراهيمية ، فأصل ذبح الأضاحي قربان إبراهيم (عليه السلام) لله الواحد بدلاً عن إسماعيل قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٥] ، فبعد الرؤيا التي رآها إبراهيم (عليه السلام) في منامه قرر أن يذبح ولده إسماعيل (عليه السلام) والتسليم لأمر الله ، إلا إن جبرائيل (عليه السلام) نزل وبشر إبراهيم ، بإن إسماعيل فدي بذبح عظيم ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٦] ، ففدى الله إسماعيل بكبش عظيم لدفع الضرر عنه [٧] .

من وقتها عُدّ النحر سُنّة ، فالحكمة فيه هي إن الأضاحي بديلة عن إسماعيل وجاء ذكرها في القران إذ ورد النهي عن إحلالها بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا**

---

(١) ينظر : الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان البُستي (ت:٣٥٤هـ) : ١٧٣/٩، تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(٢) بحار الانوار ، المجلسي(ت:١١١١هـ) :٣٩/٩٦.
(٣) ينظر : المفصّل : الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٢/٦.
(٤) ينظر : الأقتصاد ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٣٠٦ ، المبسوط ، السرخسي (ت:٤٨٣هـ) : ٦٤/٤ .
(٥) الصافات : ١٠٢.
(٦) الصافات : ١٠٧.
(٧) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٧٩/٢١ ،التبيان ، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) : ٥١٩/٨ ، الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ١٥٣/١٧ .

الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾ [١] ، فالمراد بشعائر الله هي شعائر الحُجّ ، والشهر الحرام هو شهر ذي القِعدة وذي الحجّة التي يتم فيها إداء مناسك الحَجّ وتُعد من ضمن الأشهر الحُرم الأربعة ، وكذلك النهي عن إحلال الهدي والمراد منها ما يهدى من الانعام إلى الكعبة ليذبح هناك ، والقلائد جمع قلادة ، وهي العلامة التي كانوا يقلدون الإبل من الهدي بما يدل عليها ، فلا يتعرض لها أحد ، ولا قاصدين بيت الله الحرام لأداء المناسك [٢] .

كذلك أبطل الإسلام مسألة أثم أكل الذبائح ، حيث جاء في قوله : ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رزقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير** ﴾ [٣] ، بل أمر بالأكل منها وإعطاء للمستحقين منها قال تعالى: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [٤] ، والبُدن : جمع بُدنة وهي الأبل والبقر العظيمة والصحيحة الجسم المسومة للقربان للقربان إذ أمر الله بذكر أسمه عليها عند نحرها ، وتكون بأتجاه القبلة ، صواف : ايّ قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وأحدى يديها ويدها اليسرى معقولة وإن نحرها قياماً تُعد سنّة ، فإذا سقطت إلى الأرض وجَب أكلها وإطعام القانع وهو الذي لا يسأل، والمعترّ السّائل الذي يتعرَّض ويسأل [٥] .

كذلك عادة مسح الكعبة بالدماء التي كان يعمل بها العرب قديماً في الجاهلية ، فقد عالجها القرآن وبيّن إن هذه القرابين لا يصل دمائها ولا تصل لحومها مثلما كانوا يعتقدون وإنما ينال الله التقوى والفرائض الصحيحة والتسمية والنحر [٦] قال تعالى : ﴿ **لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٧]، فالهدي إذن ضمن شعائر الله وتقدم

---

(١) المائدة : ٢.
(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ) : ١٤٩/٢ ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م ، الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٥/٣ .
(٣) الحَجّ : ٢٨.
(٤) الحَجّ : ٣٦.
(٥) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٣٤١/٣ ، زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) : ٢٣٨/٣ ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٣٢٨/٥ .
(٦) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٢٧/٢٣ .
(٧) الحَجّ : ٣٧.

وتقدم له وحده ، إلا إن الجاهليين كعادتهم حرّفوا فيها ، وقدموا القرابين للأصنام يقصدون بها غير وجه الله ، فلم يقدروا الله حق قدره قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [١] .

كما أصلح القرآن قضايا عرفيّة سائدة كانت أثناء الحَجّ مثل التفاخر بالآباء ، إذ أمر بذكره في قوله : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ الناس مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ** ﴾ [٢] ، بعد أداء مناسك الحَجّ ، لإن فريضة الحَجّ من أعظم الفرائض ، إذ يجتمع فيها الموحدون من كل بقاع الأرض ليوحدوا الله ويمجدوه ويحمدوه لإنه الأولى بالذكر والتعظيم من آباءهم وقوله : ﴿ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ هنا تدرج إلى الأعلى ، وتعني الأكثار من ذكره تعالى [٣] فهذه الأيام القليلة لا تتكرر إلا مرة في كل عام ، فاكثروا من ذكره تعالى بعد صلواتكم ، وفي أذكاركم لإنه يرفع الدرجات ويزيد الحسنات ، ويمحو سيئات أعمالكم ويوفقكم لما يرضاه وترضوه في دنياكم وآخراكم لكونه صاحب المواهب والعطايا والنعم وله الفضل في تسهيل أمور دنياكم من تجارة وغيرها ، فكان من الأحق شكره على نِعمه بذكر فضله ومنه وليس ذكر الآباء وإن كانت لهم فضائل ، فهي فضائل مادية دنيوية زائلة ، والله فضائلها دائمه باقية .

أمّا حلق الشعر ، فجاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الحَجّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ..** ﴾ [٤] ، والحلق أحد أركان الحَجّ والعمرة [٥] ، ومحله في منى يوم نحر القرابين بعد رمي جمرة العقبة ، ويجوز قبل الرمي ، وتأخيره إلى آخر أيام التشريق [٦] .

---

(١) الزمر : ٦٧.
(٢) البقرة : ٢٠٠.
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٢٤٥/٢٠.
(٤) البقرة : ١٩٦.
(٥) ينظر : معالم التنزيل ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٢٤١/١ ، مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٢٩٦/٥ .
(٦) ينظر : الكافي في الفقه ، أبو الصلاح الحلبي (ت:٤٤٧هـ) : ٢٠٠ .

ويرجع فلسفة حلق الشعر في الحَجّ إلى كونه من الزينة والحاجّ في ذلك الموقف عليه أن يتخلص من كل متعلقات الزينة ويزهد فيها ، فعن الإمام الصادق قال : ((واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك)) [١] .

هذه هي الشعائر المتشابهة بين الجاهلية والإسلام ، فقد عَمِد الإسلام على تهذيبها وتعديلها لتكون خالصة خاصة بذات الله : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [٢] ، ثم لم يقتصر على الشعائر فقط ، فقد ذكر القرآن بعض الأخلاقيات التي يجب على المسلم الحاجّ إحترامها ، والعمل بها لإن الحَجّ كما هو معروف لقاء روحاني بين العبد وربه ، ومن هذه الأخلاقيات قال تعالى : ﴿ **الحَجّ أَشْهُر مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرضَ فِيهِنَّ الحَجّ فَلَا رفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْر يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾[٣] .

والرفث : النكاح [٤] ، كذلك الجدال كما ينقل كان يحصل عند الوقوف بعرفة أو المزدلفة جدال بين الحَجّيج على أي منهم منسكه الأصوب [٥] .

أمّا العمرة فهي ((زيارة بيت الله الحرام ، بإحرام وطواف وسعي ، دون وقوف بعرفة)) [٦] ، ولا العمرة تختلف كثيراً بين الجاهلية والإسلام ، إلا إن حسب ما نُقل من الروايات هي واجبة عند العرب في الجاهلية وتتم في شهر رجب في حين عدها البعض محرم أداءها في الاشهر المحرمة ، كما إن لها مناسكها وطقوسها المشابهة للحَجّ [٧] .

بينما الإسلام أباح العمرة في أي وقت من أوقات السنة ، كما جعلها مباحة وغير واجبة على أحد إن شاء أتى بها وإن شاء لم يأتِ على الرغم من إن بعض المذاهب ذهبت إلى أنها واجبة على من أستطاع إليه سبيلا ، كذلك طقوسها مشابهة للحَجّ إلا في الوقوف بعرفة [٨] .

---

(١) بحار الانوار ، المجلسي (ت:١١١١هـ) : ١٢٤/٩٦.
(٢) الانعام : ١٦٢-١٦٣.
(٣) البقرة : ١٩٧.
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القران ، حسن مصطفوي (ت:١٤٢٦هـ) : ١٨٦/٤.
(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ٥٦٤/١.
(٦) معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي : ٣٢٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
(٧) ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٠٧/٦ – ٣٠٩.
(٨) ينظر : الفقه على المذاهب الخمسة ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٢٠١- ٢٠٢ .

الفصـل الثالث (الإنحرافات السلوكية ومعالجاتها)

المبحث الأول – الربـا

المبحث الثاني _ المُلهيات (الخمر والميسِر)

المبحث الثالث – قتل الأولاد

المبحث الأول

الربـــا

توطئـة :

الربا مرتبط إرتباطاً مباشراً مع المال والتحكم بأحتياجات البشر الأساسية ، لذلك لا يخلو عصر من العصور منه خصوصاً إن الطبيعة البشرية تميل الى حب تملكه ، فقد جاء في النص الشريف قوله تعالى **﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾** [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ [٢] ، كما نجد له ذكر في الكتب السماوية محرمة إياه لما فيه من الغُبن والتضيق على طرف دون آخر هو بأمس الحاجة اليه لسد إحتياجاته الأساسية ، وفي المقابل إستغلال لهذا النقص فيكون ذريعة وفرصة كبيرة لتكثير الأموال ، والإستيلاء على رقاب ونفوس المحتاجين عن طريق تمديد فترة التسديد وزيادة الأجر المأخوذ ، وقبل الخوض في تفاصيل الربا عند العرب قبل مجيء الإسلام ، وكيفية معالجة القرآن له لا بد من التعرف على معناه اللغوي والإصطلاحي فالربا لغة : جاء بمعنى النمو الإرتفاع ، الفضل والزيادة ، إذ يقال : للمال ربا ، إذا زاد ونما [٣] ، وقد تكون الزيادة في نفس الشيء كقوله تعالى : ﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ..** ﴾[٤] .

وقوله : **﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾** [٥] أيّ : اخذة زائدة [٦] ، وقد تكون الزيادة في الشيء المقابل كدرهم بدرهمين .

---

(١) آل عمران : ١٤.
(٢) الفجر : ٢٠.
(٣) ينظر : مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ١١٧/١ ، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٤٨٣/٢ المصباح المنير في الشرح الكبير ، ابو العباس الحموي الفيومي (ت:٧٧٠هـ) : ٢١٧/١ مادة (ربا) .
(٤) الحج :٥.
(٥) الحاقة : ١٠.
(٦) ينظر : مجاز القرآن ، ابو عبيدة البصري (ت:٢٠٩هـ) : ٢٦٧/٢، تح: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة

وفي الإصطلاح : هناك عدة تعريفات للربا عرّفها العلماء ، منها : هو (فضل أحد المتجانسين على الآخر من مال بلا عوض)) [١] ، وقيل هو: ((بيع أحد المثلين بالآخر مع الزيادة)) [٢] ، وقيل : هو ((الزيادة في اشياء مخصوصة)) [٣] .

المطلب الأول : الربا عند العرب قبل الإسلام

لما كان العرب أصحاب تجارة وبيع وشراء كان للربا وجود بين معاملاتهم ، وقد يعد مورداً مهماً من موارد الربح ، وباباً من أبواب الأستثمار في تجارتهم ، إذ يشكل عصباً مهماً لإقتصاد شبه الجزيرة العربية بصورة عامة ، ومكة والطائف بصورة خاصة ، لكونهما من أهم مراكز التجارة عند العرب ، ويعود السبب في انتشاره أضافة الى المعاملات التجارية إحتكاك العرب باليهود والتي تعد من أبرز صفاتهم معاملاتهم الربوية ، كما جاء وصفهم في الذكر الحكيم بقوله تعالى : ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [٤] ، فكان لهذا الإحتكاك أثر في شيوعه وإنتشاره بشكل فاحش بين سكان شبه جزيرة العرب ، وبالتالي ظهور تباين في طبقات المجتمع العربي ، فطرف يزداد ثراء وغنى وتزداد ثروته ، وطرف آخر يسحق ويغبن ، وعند الإطلاع على مصادر التأريخ يظهر لنا إن الربا في الجاهلية كانت له صور عديدة منها :

اولاً- إن يزيد على ثمن المؤجل ، إذا لم يقض الثمن عندما يحل موعد الأجل ، قال مجاهد[٥] (ت١٠٤هـ) ((كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل دين ، فيقول : لك كذا او كذا وتؤخر عني فيؤخر عنه)) [٦] ، وهذا النوع المسمى بالنسيئة في الجاهلية ، إذ يبيع الرجل البيع الى اجل مسمّى ، فاذا حل الاجل ، ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه [٧] .

---

(١) انيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، قاسم عبد الله الحنفي (ت:١٤٣١هـ) : ٧٧/١، تح : يحيى حسن مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

(٢) تذكرة الفقهاء ، العلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ) : ١٣٤/١٠ ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

(٣) الربا اضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد القحطاني : ١٢، دار الرشد ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٤) النساء : ١٦١.

(٥) ينظر : تهذيب الاسماء واللغات ، ابو زكريا النووي (ت:٦٧٦هـ) : ٨٢/٢، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(٦) جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) :٨/٦.

(٧) ينظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ابو بكر بن مسعود الكاساني (ت:٥٨٧هـ) : ١٨٣/٥ ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، احمد بن محمد الهيتمي (ت:٩٧٤هـ) : ٣٦٩/١ ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

كما ينقل الطبري (ت: ٣١٠هـ) رواية ثالثة يذكر فيها ((كانت ثقيف تداين في بنيّ المغيرة في الجاهلية فاذا حل الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخرون)) [١] ، وهذا الذي يقال عنه اضعاف مضاعفة وفي قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً** ﴾ [٢]

ثانياً – القرض بفائدة تؤدى دفعة واحدة عند إنتهاء المدة المتفق عليها ، وينقل لنا الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) هذه الصورة من الربا ، إذ روي إن الربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير الى أجل بزيادة على مقدار ما أستقرض على ما يتراضون به ، هذا المتعارف المشهور بينهم [٣] .

ثالثاً – تكون الفائدة في القرض مقسطة ، وصورته أن يزيد المرابي في مبلغ التقسيط ، ويؤخر مدة الاداء فكلما تأخر الطرف المقابل في اداء القرض زاد في مبلغ التقسيط ومدة الأجل ، ويذكر المفسر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ((ان ربا النسيئة [٤] هو الذي كان مشهوراً متعارفاً في الجاهلية وذلك انهم كانوا يدفعون المال على ان يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ، ويكون رأس المال باقياً ، ثم اذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال فأن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل ، فهذا هو الربا الذي كانوا عليه)) [٥] ، حيث إن الزيادة تكون في النسبة القلية المضافة على رأس المال .

---

(١) جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٢٠٤/٧.
(٢) ال عمران : ١٣٠.
(٣) ينظر : احكام القران : ١٨٤/٢، تح : محمد صادق القمحاوي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
(٤) تسمية اطلقت في الاسلام على ربا المال ، ينظر : المفصّل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٣٢٥/٧.
(٥) مفاتيح الغيب :٧٢/٧.

المطلب الثاني : معالجة إنحراف الربا

عندما جاء الإسلام نادى بمبادئ الإيثار بالنفس والأموال والعطاء والبذل ونكران الذات على العكس تماماً من الربا الذي يدعوا الى الجشع والطمع وحب الذات على حساب مصالح الآخرين ، لذلك فقد حاربه الإسلام بوسائل عديدة لكونها متجذرة في نفوس العرب فترة طويلة ، ولكونها آفة فتاكة أنهشت أفراده المستضعفين ممّا أدى إلى خلل وإرباك المجتمع العربي من نواحٍ عديدة إقتصادية وإجتماعية وأخلاقية ونفسية ، فكان من الضرورة إستخدام إسلوبٍ متدرجٍ يعالج فيه الإنحراف من بداية الإسلام حتى آخر ايام رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويثبت الربا في البيع مع وصفين الجنسية والكيل أو الوزن وكذلك في القرض (سواء مكيلاً او موزوناً أو قرض الدينار) مع إشتراط النفع [١] كما أوضح الإسلام لا يوجد ربا بين الوالد وولده ، ولا بين الزّوج والزوجة ، ولا بين المولى والعبد ، ولا بين المسلم والذمّي [٢] .

فكان أول ما جاء به القرآن بخصوص الربا في العهد المكي ، ولم يفصّل ، إذ أنه أشار إليه في كتابه في سورة الروم بقوله : ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [٣] ، والربا الوارد في الآية الكريمة ليس بمعناه الفعلي من المعاملة الربوية ، وإنما قصد بها الهدية والعطية التي تعطى لإصحاب الأموال لأجل زيادة الأجر فجاءت الآية من باب النصيحة لتبين لهم إن التعامل بالربا لا أجر ولا ثواب له عند الله ، وإنه غير مرغب على العكس من أموال الصدقة ، وقد تطرقت الكثير من الأحاديث الشريفة حول طبيعة هذا النوع من الربا والمسمّى بربا الحلال [٤] ، ففي حديث للإمام الباقر(عليه السلام) جاء فيه ((ان يعطي الرجل العطية او يهدي الهدية ليُثاب اكثر منها ، فليس فيه أجر ولا وزر ، وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله تبتغون به وجهة خالصاً فأولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب في الأجل والمال في العاجل)) [٥] .

ولا بئس أن ننقل حديث آخر للإمام الصادق (عليه السلام) قال فيه : ((الربا رباءان احدهما حلال والآخر حرام فأما الحلال فهو ان يقرض الرجل اخاه قرضاً يريد ان يزيده ويعوضه بأكثر مما يأخذه بلا

---

(١) ينظر : شرائع الإسلام ، المحقق الحلي (ت:٦٧٦هـ) : ٢٩٧/٢ .
(٢) ينظر : المقنع ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٣٧٣ .
(٣) الروم : ٣٩.
(٤) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٥١/٨ ، الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣٩٧/١٢.
(٥) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) : ١٣٤/٤.

شرط بينهما ، فان اعطاه اكثر ممّا أخذ على غير شرط بينهما ، فهو مباح له وليس له عند الله ثواب فيما اقرضه وهو قوله : ﴿ **فلا يربوا عند الله** ﴾ ، وأمّا الحرام فالرجل يقرض قرضاً ويشترط أن يرد أكثر ممّا اخذه فهذا هو الحرام)) [١] ، إذن من خلال الاحاديث نستنتج إن الربا الوارد في سورة الروم هو الهدية التي تعود على مهديها بالمنفعة وتحقيق مصلحة له من غير غبن للطرف الآخر ، كذلك نلاحظ إن الأسلوب القرآني قرن ذكر الربا مع الزكاة ، والزكاة الواردة في الآية (الصدقة) ، وليس الزكاة الواجبة كون السورة مكية ، والمقارنة ضمن الأساليب العربية مثل الليل والنهار والسواد والبياض وغيرها من المقارنات يُراد منه تنبيه العقول له وتكون بداية النفير منه .

إن الله سبحانه وتعالى يتقبل الصدقة ويضاعفها على عكس الربا كونه كسب سيء وخبيث وإن قوله في الآية الكريمة : ﴿ **فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ ، أيّ : هم الذين يضاعف الثواب لهم ، إذ إنهم يعطون الحسنة الواحدة بعشر امثالها [٢] ، ومضاعفة الأجر الطيب جاء صريحاً في آيات أُخر من القران الكريم لكونه طيب ولا يرضى إلا بالطيب ولا يضاعف إلا العمل الطيب فقد جاء في محكم كتابه : ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ...**﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٤] .

إذن إستخدم القرآن في طريقته العلاجية في بدايتها إسلوب الترغيب عند مقارنة الربا بالصدقة موضحاً ما للصدقة من آثار وكيف يضاعفها الله وينميها ، وهذا العلاج غالباً ما نجده في المشاكل الكبيرة والمتغلغلة في المجتمعات منتهياً بالترهيب إن أصر الإنسان على عناده ، ثم تدرج الى مرحلة أعلى حيث النص المدني ، إذ ذكر إن أخذ الربا ضمن صفات اليهود المشهورة قال تعالى : ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [٥] ، الآية الكريمة عرضت أفعال اليهود القبيحة وبسبب ممارساتهم لهذه الأفعال حُرمت عليهم طيبات كانت مُحلة عندهم ومن ضمن هذه

---

(١) تفسير نور الثقلين ، الحويزي (ت:١١١٢هـ) : ١٨٩/٤.
(٢) ينظر : معاني القران واعرابه ، ابي اسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ) : ١٨٨/٤، تح : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، دار عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(٣) الانعام : ١٦٠.
(٤) البقرة : ٢٦١.
(٥) النساء : ١٦١.

الممارسات أخذ الربا على الرغم من إنهم نُهُوا عنه ، بل حتى عُد أن اليهود هم أول من تعامل بالربا [١] ففي الآية بيان وعرض صورة للعمل الغير مرغوب ، وهذا تلميح إلى نبذ الربا وقبح التعامل به ، ومثل ما هو معروف إن الشرائع السماوية متشابهة في أغلب الأحكام التي تتعلق بحقوق الآخرين ، لكونها من مصدر واحد ، والغاية الأولى والأخيرة من إرسال الرُسل هو إصلاح الإنسان وهدايته ليصل إلى الكمال ، والذي من خلاله يعرف الله ويعبده حق عبادته ، إذن نستنتج إن الغرض الأساسي من طرح قصة اليهود وبيان عقاب الله لهم ليعتبر بها العرب بعد إن قدّم النصيحة في سورة الروم ، ويذكر إن هذا الأسلوب المستخدم يثير الجدال ، ويجعل الناس في موقف المترقب للخطوة القادمة في مسألة الربا [٢] ، وهو أسلوب تربوي يقصد منه تحديد الإنحراف المنشر آنذاك .

ثم أنتقل الى النهي المباشر وفي الآية أول تصريح للنهي الصريح ، فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [٣] ، إن الآية الكريمة إبتدأت الخطاب بالعبارة المدنية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ، ونستنتج من ذلك رغم دخول العديد من العرب في الإسلام ، إلا إن ممارسة عملية الربا لا زالت باقية في معاملاتهم المالية ، وقوله في نهيه الأول : ﴿ **لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً** ﴾ ، فالربا الذي كان في الجاهلية عندما يكون للرجل ديَن على رجل آخر عند موعد معين فأن حل الموعد التسليم طلبه من صاحبه ، فيقول : الذي عليه الديَن أخر عني الديَن وأزيدك في الأجر ، فهذا هو الربا المضاعف الذي نهى الله عنه المسلمين [٤] .

يرى ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ) : (إن الإشارة الى تكرار التضعيف عاماً بعد عام فدلت العبارة على قبح الفعل وشنيعه ، و لذلك ذكرت صفة التضعيف خاصة) [٥] ، والمتأمل في الآية الكريمة يجد التوبيخ على أكل الربا مع النهي عنه مع ذكر الفلاح لمن تركه ، لما في المسألة من عمق وحساسية فلا بد من تهيئة الأرضية للتخلص منه تماماً ، ويُنقل قولاً لأبي حنيفة يقول فيه : (ان هذه الآية هي اخوف آية في القرآن العظيم أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه) [٦] .

---

(١) ينظر : الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٤٨٨/٢ .
(٢) ينظر : الربا في نظر القرآن الكريم ، كاظم الحلفي :١٢، منشورات دار الايمان .
(٣) ال عمران : ١٣٠-١٣١.
(٤) ينظر ، تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) : ١٠٢/٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .
(٥) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير القران العزيز ، ابن عطية الاندلسي (ت:٥٤٢هـ) : ٥٠٧/١، تح : عبد السلام عبد عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
(٦) ينظر : الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٤١٤/١ ، تفسير جوامع الجامع ، الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) : ٣٢٧/١، تح : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

ثم ينتقل القرآن الى مستوى آخر من الوعظ في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [١] حيث يشبه القرآن حال المرابي بالمجنون المتخبط في سيره مستخدماً إسلوباً بلاغياً لتقريب الصورة إلى أذهانهم وليبين لهم إن حال المرابين كحال الموتى عندما يخرجون من قبورهم ، على إختلاف آراء المفسرين إلا إن الأصل منها هو عاقبة أفعالهم وجشعهم والتضييق على الناس ، وكما هو معروف إن أفعال وأعمال الإنسان تتجسد في عالم الآخرة كذلك تتجسد احياناً في عالم الدنيا ، إذ يأخذ الإنسان جزاء تلك الاعمال ، فقد جاء في رواية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ((لما أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد احدهم ان يقوم فلا يقدر ان يقوم من عظم بطنه ، فقلت : من هولاء يا جبرائيل ! قال : هولاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)) [٢]

ممّا تجدر الإشارة إليه ، إن وصف المرابي بالمصروع أو المجنون هو لإعتقاد العرب قديماً إن الجنون أو الصرع الذي يصيب الإنسان في حياته ما هو إلا نتيجة ضرب الشيطان له [٣] ، إذن ضرب المثل للعرب كان إمّا للحقيقة التي ستكون عليه حال المرابي عند قيامهم من قبورهم ، أو مجازاً يصور فيها طريقتهم في جمع الأموال وأكل أموال الناس بشراهة كالمجنون المتخبط ، وفي الآية لفتة صغيرة ، حيث تجد إرتباط لفظ الأكل مع الربا ، كذلك ذكرت ايضاً في سورة آل عمران ، وقد تطرقنا إليها مسبقاً نجد إن الأكل يأتي بمعنى الأخذ والكسب [٤] ، ولما خصه الله بالذكر لإن أغلب المقصود منه المال ويقول ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) : إن القصد إلى لفظة الأكل بأعتبارها أقوى مقاصد المرء في المال ، ولكونها دالة على الجشع [٥] ، وفي نفس الآية الكريمة ينقل لنا القرآن الكريم منطق المرابين عندما نُهو عن التعامل بالربا حيث كان جوابهم : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ ، إذ أنهم يقصدون بذلك لا فرق بينهما فكلاهما كسب وكلاهما معاملة تبادل بموافقة الطرفين .

---

(١) البقرة : ٢٧٥.
(٢) تفسير نور الثقلين ، الحويزي (ت:١١١٢هـ) : ٢٩١/١.
(٣) ينظر : كنز العرفان في فقه القران ، المقداد السيوري (ت:٨٢٦هـ) : ٢٥/٢ ، الأمثل ، ناصر الشيرازي : ٢٣١/٢.
(٤) ينظر : مختار الصحاح ، الرازي (ت:٣١١هـ) : ٢٠/١ مادة (أكل) ، النكت والعيون ، الماوردي (ت:٤٥٠هـ) : ٣٧٤/١.
(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٧١/١.

ومن البديهي إن هذا القول إنما هو حجّة واهية يحاولون خداع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخداع أنفسهم فيها ، فهم عل علم تام بأن الربا ليس كالبيع ، والربا ممقوت عند صاحب السليقة خصوصاً إن من العرب ما فيهم من الشيم والصفات الحميدة والتي لا يرضون فيها أكل حقوق المستضعفين وخير دليل على ما نقول عندما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة ، فكان من جملة الشروط التي اشترطوها فيمن يساهم في البناء حيث قالوا : (لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرُ بِغَيٍّ، وَلَا بَيْعُ رِبًا، وَلَا مُظْلَمَةُ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ) [1] ، وقد أجاب القرآن إجابة صريحة وواضحة دون لبس أو غموض بقوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ ، فمن المعلوم إن البيع يختلف إختلاف جذري عن الربا ، لما للبيع من تأثير على الفرد والمجتمع وكذلك الربا فالقبيح قبيح والحسن حسن والله عز– وجل لا يحسن قبيحاً ، ولا يقبح حسناً لإنه باطل ، إذ لا يحسن القبيح ولا يقبح الحسن إلا جاهل متعمد الكذب والله عز – وجل يعلو عن ذلك علواً كبيرا [2] ، ويمكن أن نذكر بعض الفروق بين البيع والربا :

١_ في البيع يتم إنتقال عين مملوكة من شخص إلى آخر بعوض مقدر على وجه التراض [3] ، بينما الربا فهو أن يدفع الرجل إلى آخر عينة على أن يرد عليه أكثر منها [4] ، ولا تراض بينهما لإن الطرف الآخر مضطراً لذلك .

٢_ في البيع تحدث الخسارة والربح حسب خبرة الشخص ومهارته الشخصية وطبيعة بضاعته ، بينما الربا لا تتحمل الخسارة مطلقاً ، فالمرابي رابحاً دائماً على حساب الطرف المقابل .

٣_ في البيع يبذل الإنسان الجهد الجسدي والعقلي مقابل الحصول على أموال بينما المرابي راكد كسول لا يبذل ذرة جهد فالمال الذي يأتيه بلا مشقة ولا جهد ، بل على العكس جهد وقهر غيره لا بركة فيه فلا يتساوى مع البيع .

٤_ في البيع تتداول رؤوس الأموال بأتجاه صحيح ، وبذلك يعود النفع على الفرد والمجتمع وتسير حركة السوق الاقتصادية ، بينما في الربا تنحرف بأتجاه خاطىء يخدم فيها مصالح المرابين ، وفي المقابل تسحق فئة أخرى ، وتسبب أزمات اقتصادية ترجع بالضرر على الطبقات البسيطة

---

(1) ينظر : السيرة النبوية ، ابن هشام (ت:٢١٨هـ) : ١/ ١٩٤.
(2) ينظر : تفسير القران المجيد ، المفيد (ت:٤١٣هـ) : ١٨٩، تح : محمد علي ايازي ، مؤسسة بوستان ، قم – ايران ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
(3) ينظر : الأم ، الشافعي (ت:٢٠٤هـ) : ٣/٣ ، المبسوط ، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٧٦/٢ .
(4) ينظر : الهداية ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٣١٥ .

٥_ تنتج عن التجارة علاقات وأواصر طيبة بين فئات المجتمع نتيجة التعامل النفعي بينهم بينما الربا لا تنتج منه إلا الضغينة والحقد والانتقام والثأر ، لإجل سلب الحقوق وبالتالي الفوضى والهرج والمرج فيما بينهم [١] ، فكيف لهم أن يساووا بينهما ويستحلوا الربا ! إذ ان الفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا .

إن الرحمة والمسامحة الموجودة في قوانين الإسلام قلما نجد لها نظير في قوانين الأديان الأخرى سواء أو قوانين لحضارات سابقة ومعاصرة للأسلام ، لإن الغاية الأساسية من إرسال الأنبياء والرُسل ، كما سبق ذكره هو هداية الإنسان الى الطريق القويم وإصلاح دنياه وأخراه فالله وحده الغني عن العالمين قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٢] ، لا يضره من آمن واتبع قوانينه من البشر ، فهو مالك السماوات والأرض والخلائق كلها تعود إليه ، فلو كانت تعاليم الإسلام متجبرة متعنتة لما دخل فيه هذه الأمواج الهائلة من البشر ، لذلك عندما نُهِى عن التعامل مع الربا تردد البعض كونهم مارسوه من قبل ووضعوا رقاب الناس المستضعفة تحت إيديهم فأخبر القرآن الكريم : ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ أي : من علم بالوعظ والنهي عن الربا ، وأمتنع عن التعامل به فله ما مضى من كسب الربا لا يؤاخذ عليه لإنه تعامل به قبل نزول تشريع التحريم ، فليستغفر ربه والله تعالى ينظر في شأنه وشأن المستضعفين يوم القيامة لأن الأمر موكول إليه وحده [٣] ، فهذه الفرصة الذهبية لمن له قلب أن يُراجع ذاته ويزكي نفسه ويطهر أمواله ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ والذي يعود بعد تلكم التحذيرات وفرص الرجوع له ناراً خالداً فيها ، لإنه أصّر على غروره وعصيانه لأوامر الله واستخف بالمحرم ويذكر الشيخ المشهدي (ت: ١١٢٥هـ) إن المستخف بالمحرم داخل في الكفر [٤] .

إن كثرة الطمع قد تطغى على العقل فيظن ظانّ إنه يستطيع تكثير أمواله عن طريق الربا فيجيبه الله تعالى إنه يمحق الربا ويربي الصدقات في قوله تعالى : ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ [٥] .

---

(١) ينظر : الامثل ، ناصر الشيرازي : ٢/ ٢٣٢.
(٢) ال عمران : ٩٧.
(٣) ينظر : النهاية في مجرد الفقه والفتاوي ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٣٧٦ ، انتشارات قدس محمدي ، قم –إيران ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ابي السعود (ت: ٩٨٢هـ) : ٢٦٦/١، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
(٤) ينظر : كنز الدقائق وبحر الغرائب : ٢٥٣/٢ ، تح : حسين دركاهي ، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، طهران – ايران ، ط١ .
(٥) البقرة : ٢٧٦ .

والمحق : النقصان والمحي إزالة الشيء [١] ، بمعنى إنه يمحي بركته [٢] وينقصه حالاً بعد حال [٣] فأن الله عز – وجل ينقص من المال الذي يدخل الإنسان عن طريق الربا لإن فيه ظلم لحقوق أفراد آخرين فلا يُبارك به ولا يستفيد منه المرابي مثلما يجمعه بسرعة يفقده بسرعة دون التمتع به ، بينما الصدقة يُبارك بها ويضاعف أجر صاحبها لإن فيها قضاء لحوائج الآخرين وتسهيل أمور معاشهم في الحياة .

فقد جاء في الحديث الشريف : (ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدهم كما يربيّ احدكم مهرة) [٤] ، والله لا يحب كل كفار أثيم ، فهو تعالى لا يحب الكافرين معلناً إن الربا من شعائر الكفار ، وجاء بصيغة المبالغة (كَفَّارٍ أَثِيمٍ) ، يعني إن المرابي غارق في الكفر والعصيان متمادي في الأثم لا يرتدع عنه [٥] .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المرحلة قبل الأخيرة بأصدار الأمر في ترك ما سبق من الربا قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [٦] ، والآية في مقابل قوله تعالى تعالى : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ ، إذ يشعر بأن حكم تحريم الربا لا رجعة فيه حتى نُقل بعد إن نزلت الآية المباركة قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ((ألا كل ربا من ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب)) [٧] .

نُلاحظ من الآية السابقة إن الخطاب موجه للذين آمنوا مرة اخرى ، وهذا يعني إن هناك أوامر ونواهي تنطلي تحت هذا الخطاب ، وبذلك قيل : إذا طرقت يا إيها الذين آمنوا الأسماع ، فهذا يعني إن هناك

---

(١) ينظر : مجمل اللغة ، احمد ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٨٢٤ ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، مختار الصحاح ، الرازي (ت:٦٦٦هـ) : ٢٩١ ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ٩١/٣ .

(٢) ينظر ، الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٥٥٣/٤ ، لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٣٣٨/١٠ مادة (محق) .

(٣) ينظر : المنتخب في تفسير القرن الكريم ، ابن ادريس الحلي (ت:٥٩٨هـ) : ١٠٧/١.

(٤) ينظر : سنن الترمذي ، الترمذي (ت:٢٧٩هـ) : ٤١/٢، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨م : ٤١/٢ .

(٥) ينظر : الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) : ٤٣١/١ .

(٦) البقرة : ٢٧٨.

(٧) الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ١٠٧/٢.

خير يؤمر أو شر ينهى عنه [١] ، كما يذكرهم بتقوى الله لكونها الأساس، فهي التي تمنع الإنسان عن إرتكاب الذنوب [٢] وإن لم يتوبوا ويتراجعوا عن ممارسة الربا بعد كل النصائح والمواعظ والأوامر والنواهي ليدخل مرحلة جديدة من العلاج ، ألا وهي مرحلة الوعيد وإعلان الحرب من الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [٣] ، إن لفظ (فَأْذَنُوا) قرأت بوصل الهمزة ، وفتح الذال ، وماضيه (أذن) ، والمعنى فيه (فأيقنوا بحرب) ، وقرأت قراءة أخرى بالقطع وكسر الذال ، والماضي (آذن) ، ويكونوا المعنى : (فاعلموا غيركم) [٤] ، وعلى كل حال فالحرب بين الله ورسوله وبين المرابي قائمة لمن سولت له نفسه نفسه الإستمرار بالربا ، كما إن الحرب داعية للقتل ، فعن قتادة [٥] قال : (أوعد الله أهل الربا بالقتل ، فجعلهم بهرجاً أينما ثقفوا) [٦] ، فهذا الإنذار الأخير الصارم لمن أستمر في امتصاص دماء المستضعفين من الكادحين والعمال المحرومين ، ولهذا نجد إن الإمام الصادق (عليه السلام) يهدد بالقتل كل من يمارس الربا بكل جرأة وعدم الإكتراث لحرمة نهيه [٧] ، أي : فأستعدوا وأنتظروا يا آكلي أموال الربا بالحرب من الله والقتل من أولي الأمر إن لم تتراجعوا عن التعامل به .

ورغم الوعيد والتهديد لآكلي مال الربا جعل القرآن الكريم خط رجعة لمن تاب قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ ، أيّ : إن رؤوس أموالكم تعود عليكم دون الفائدة لا تظلمون غيركم من المستضعفين ولا تُظلمون بضياع اموالكم [٨] .

([١]) ينظر : فضائل القران ، القاسم بن سلام البغدادي (ت:٢٢٤هـ) : ٧٤، تح : مروان بن عطية وآخرون ، دار بن كثير ، دمشق - سوريا ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، النداء في اللغة والقران ، الدكتور احمد محمد فارس : ١٤٥، دار الفكر اللبناني ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

([٢]) ينظر : روائع البيان ، محمد علي الصابوني (ت:١٤٤٢هـ) : ٣٩٤/١، مؤسسة مناهل العرفان ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

([٣]) البقرة : ٢٧٩.

([٤]) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ، ابو البقاء العكبري (ت:٦١٦هـ) : ١١٧/١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٩٧٩م .

([٥]) ينظر : طبقات المفسرين ،السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٤٧/٢_٤٨ ، تح: محمد علي الداوودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

([٦]) ينظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية الاندلسي (ت:٥٤١هـ) : ٣٧٤/١.

([٧]) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٣٦/٢.

([٨]) ينظر : ايجاز البيان عن معاني القران ، نجم الدين النيسابوري (ت:٥٥٣هـ) : ١٧٤_١٧٥، تح : الدكتور حنيف بن الحسن القاسمي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

ثم يضيف قوله : ﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [١] فلو كان المدين ذا فقر وضيق على الدائن التأخير والإنتظار من باب الإنسانية والرحمة ، وهذه من صفات الإسلام الحميدة ، ولو كان للمدين مالاً غيره لسدد به دينه ، ولهذا نجد إن المعسر في الإسلام في الوقت الحاضر لا يطارده الدائن ولا المحاكم ، بل تراعي وضعه الإقتصادي وتنتظره لحين السداد ، ثم يعرض الإسلام للدائن عرضاً مغرياً فيه من الأجر والإنسانية درجة عظيمة ينالها في دنياه وآخراه يقول فيها : ﴿ **وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ، فلا خير أفضل من خير الصدقة على معطيها ، إذ إن لها آثار نفسية ومجتمعية ففيها تفريج كرب معسر ، فقد جاء في الحديث الشريف : ((من احب ان يظله الله في ظله فلينظر معسراً او يضع عنه)) [٢] .

إن إستعمال القرآن الكريم لأساليب متنوعة في معالجة الربا إبتداءً من العهد المكي دليل على خطورة الربا وأثره ، فهو آفه مقيتة لإن ضررها لا ينحصر في الفرد فقط ، بل على مجتمع كامل ، لذلك نجد الأحاديث الشريفة تحذر من إنتشاره ، لدرجة إنه نقل إلينا حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال فيه ((درهم ربا اعظم عند الله من ثلاثين زنية كلها بذات محرم مثل خاله وعمه)) [٣] ، وإذا ما شاع في بيئة معينة أو مجتمع تهاوى أركانه وتهدمت دعائمه وأصبح مجتمع كالغاب يأكل القوي صاحب الثروة حقوق المستضعفين ويضيّق عليهم الخناق ويتحكم بنفوسهم وأعراضهم خصوصاً إن فقد الآخر الرمق الأخير من أمواله ، وكما هو معروف إن الأموال إن كانت قليلة يستطيع فيها الانسان البسيط من سد احتياجاته الأساسية وبالتالي تنشب حروب ضروس بينهم وتزداد العداوة والبغضاء والحقد والضغينة لتنتج بعد ذلك مجتمع متخلل متفكك غير صالح لمعيشة الإنسان ، لذلك جاء تحريمه بصورة قطعية ، بل إن الواسطة بين المرابي والدائن ملعون ايضاً .

فقد جاء في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله الانصاري [٤] : ((لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء)) [٥] ، كما حرمته السنة النبوية ، فقد جاء حكمه التأديب بعد البينة

---

(١) البقرة : ٢٨٠.

(٢) المعجم الكبير ، ابو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) : ١٦٧/١٩، تح : حمدي بن عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة القاهرة ، ط٢ .

(٣) تهذيب الاحكام ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٤/٧.

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام صحابي جليل توفي سنة ٧٨هـ في المدينة المنورة ، ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير (ت:٦٣٠هـ) : ٤٩٢/١.

(٥) سنن ابن ماجه ، ابن ماجه (ت:٢٧٣هـ) : ٧٦٤/٢، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية .

فإن عاد يؤدب ، فإن عاد قُتل [1] وأجمع السلف الصالح والعلماء أجمعين على تحريمه بنوعيه الفضل والنسيئة [2] ، وتضافرت القرون والسنون على ذلك الاجماع .

([1]) الهداية ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٢٩٥/١ .
([2]) ينظر : تذكرة الفقهاء ، العلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ) : ١٣٤/١٠ .

المبحث الثــاني

المُلهيــات (الخمر والميـسِر)

توطئـة :

عندما أختتم الله سبحانه وتعالى رسالته بدين الإسلام أبان في القرآن الكريم كل خير وحذّر من كل شر وفساد يضر الإنسان ، وإن من أشر ما يكون بالعقل ، هذا الجوهر والكنز العظيم الذي أودعه الله فيه ، وهو المائز بينه وبين الحيوانات ، فلا يمكن أن يكون الإنسان إنساناً ، إلا إذا وصف بالعقل فبقدر ما يملكه من عقل تكون إنسانيته و تتحقق أهليّته ليكون خليفة الله في أرضه يقول عز – وجل في محكم كتابه ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [١] ، فالبعقل رُفع شأن الإنسان وبه يُميَز بين الهُدى والضلال والخير والشر ، وحفظاً ومراعاة لهذه النعمة العظيمة ، فقد حرّم الله ما يُفسدها ولم يقتصر التحريم في رسالة نبي الإسلام محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط ، بل شملت جميع رسالات الأنبياء فالإنسان هو ذاته على مر العصور والدهور والعقل جوهره ، ووضحت الشريعة الموسوية هذا التحريم ، فقد جاء في التلمود ((إن الخمر التي تُستعمل في العبادات الوثنية محرمة على وجه الأطلاق في الشريعة اليهودية)) [٢] ، كذلك في الشريعة النصرانية ، فقد حُرم الخمر في الإنجيل ونبذه أصحاب اللاهوت بدايةَ ، إلا إن التحريف الذي أطال الأناجيل عندما أدخل قسطنطين [٣] النصرانية أدخل معه معتقداته المحرفة والوثنية ومن جملتها إباحة شرب الخمر [٤] ، والمعروف إن شرائع السماء متشابهة في أغلب أحكامها كون مصدرها واحد ، والمقصد منها واحد ، وهو الإنسان ، إذ فلا ينبغي الإنصياع وراء الشهوات الوقتية ، و التنازل عن المكانة التي وُضع فيها من قبل الله ، والتكريم الذي حُذي به قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**

---

(١) الأنفال : ٢٢.

(٢) الحياة اليهودية بحسب التلمود ، القمص روفائيل البرموسي : ١٣٠، دار نوبار ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

(٣) إمبراطور يوناني عاش بين الفترة ٢٧٢م و ٣٣٧م اعتنق المسيحية وجعل الدين المسيحي الدين الرسمي أبان حكمه على البلاد، ينظر : ar.wikipedia.0rg .

(٤) ينظر : العقيدة النصرانية بين القران والأناجيل ، حسن الباش (ت:١٤٣٧هـ) : ٢٥٣/٢، دار قتيبة ، دمشق – سوريا ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [1] ، فإذا ما عَمِد الإنسان الى الإخلال بما أنعم الله عليه فقد تعمّد إلى التغيير في الخلق والتعدي على تكريم الله .

المطلب الأول : الخمر والميسِر عند العرب قبل الإسلام

لم يختلف العرب كثيراً عن غيرهم من المجتمعات المعاصرة والبائدة في سد الفراغ ، حيث وبسبب البيئة الشظفة والفقر العقلي والديني والمادي التجأوا إلى مُلهيات تكون منفذاً للترويح عن أنفسهم وتلهيهم عن ما يعيشونه من التوتر والضغوطات النفسية لعلهم بذلك ينالوا متعة مؤقتة ، حتى أدمنوا عليها ، وباتت من أبرز سمات المجتمع العربي ، ومن هذه المُلهيات شرب الخمر ولعب الميسِر ، وقبل الحديث عنه لا بد من تعريف الخمر : فالخاء والميم والراء هو اصل واحد بمعنى التغطية والمخالطة في ستر [2] والخمر يُذكر ويؤنث فيقال لها : خمر وخمرة [3] ، وأطلق عليها تسمية الخمر لإنها تركت فاختمرت وباختمارها تغير ريحها أمّا في الإصطلاح فيطلق أسم الخمر على كل شراب مسكر يخمر العقل ويغطيه او يستره ويغيبه [4] ، والخمرة المحرمة بنص القرآن هي الشراب من العنب إذا بلغ من الشدة إلى حد يسكر الإنسان من شرب الكثير منه [5] ، ومن أي أصل كان سواء رطب أو عنب أو حبوب أو عسل مطبوخاً ام نيئاً [6] وقد جاء الحديث عنه في القرآن الكريم سنتعرض له لاحقاً لما له من أهمية .

يعد شرب الخمر من أهم وأوثق واشدّ عادات وتقاليد المجتمع الجاهلي القبيحة ، وأُطلق عليه مسميات كثيرة واحياناً كانت العرب تطلق لفظ الخمر على العنب [7] ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [8] أي: إعصر عنباً ، إنتشر الخمر بشكل واسع وملحوظ مثل إنتشار الوباء حتى قيل : (إن حب عرب الجاهلية كان مقصوراُ على ثلاثة : الشعر والخمر والغزو) [9] ، وفي رواية

---

(1) الاسراء : ٧٠.
(2) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢١٥/٢ .
(3) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٢٥٥/٤ مادة (خمر) .
(4) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٣٢٠/٤، البحر المحيط ، ابن حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ) : ٣٩٩/٢.
(5) ينظر : المقنعة ، المفيد (ت:٤١٣هـ) : ٧٩٨ .
(6) ينظر : المبدع في شرح المقنع ، ابو اسحاق ابراهيم برهان الدين (ت:٨٨٤هـ) : ٤١٦/٧، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
(7) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٢٥٥/٤.
(8) يوسف : ٣٦.
(9) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٩٩/٤.

رواية أخرى إن مُتع الشباب الجاهلي آنذاك كان الخمر والميسِر والنساء [١] ، فالخمر له من الأهمية مالم مالم يحظى غيره من المُلهيات حتى أصبح مائدة دسمة في أشعارهم يتغنون به ويتبارون في إنشاد الشعر عنه وخير دليل على ذلك معلقة الشاعر المعروف عنترة بن شداد العبسي [٢] ، إذ يقول فيها :

ولقد شربت من المدُامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعُلَمِ

بزجاجةٍ صفراء ذات أسرّةٍ قُرِنت بأزهر في الشَمال مُقدم

فإذا شربت فإنّني مستهلك مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ

وإذا صحوت فما أقصرعن ندى وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي [٣] .

والكثير من الشعراء ساروا على نفس المنوال في شعر الخمريات ، وفي التغني به ، لكونه الشراب المفضل لديهم ومن أكثر الشعراء تولعاً به الاعشى [٤] ، حتى صار قبره بعد مماته مقصد للفتيان يشربوا يشربوا ويصبوا عنده كؤوس الخمرة [٥] ، كما كانت للخمر قوافل خاصة تأتي من الشام وغيرها من البلدان محملة ببضاعة الخمور إلى مكة والحجاز [٦] ، فضلاً عن الحوانيت والخمارات كانت منتشرة على طول إستراحات الطرق يتزود منها المارة والمسافرين والحوانيت الموجودة داخل المدينة والتي غالباً ما يكون أصحابها من اليهود والنصارى [٧] ، ومن المعروف إن الإنسان إذا تعلق قلبه بشيء أبدع وتفنن وتفنن فيه كذلك الخمور عند العرب فقد كانت على أنواع وأصناف عديدة ، فالمزر المعروف عند أهل اليمن والمتكون من الشعير والحبوب كان أحد اشهر الأنواع الموجودة عندهم [٨] ، فضلاً عن خمر البتع البتع المتكون من العسل ، وخمر التمر والبُسر المعروف عند أهل المدينة ويطلق عليه الفضيخ ، كون

---

(١) ينظر : المفصل ، الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) : ٤٩٥/٤.

(٢) من اشهر فرسان العرب وشعرائهم من اهل نجد عاش فترة طويلة وتوفي ٢٢ ق هـ ، ينظر : الاعلام ، الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) : ٩١/٥.

(٣) ينظر : ديوان عنترة : ٨٢، مطبعة الآداب ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٨٩٣م .

(٤) هو ميمون بن قيس بن جندل احد اكبر شعراء العصر الجاهلي ، وأحد اصحاب المعلقات توفي سنة ٧ هـ ، ينظر : الاعلام ، الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) : ٣٤١/٧.

(٥) ينظر : من قاموس التراث ، هادي العلوي (ت:١٤١٩هـ) : ١٠٦، مطبعة الاهالي ، دمشق – سوريا ، ١٩٨٨م .

(٦) ينظر : العصر الجاهلي ، الدكتور شوقي ضيف (ت:١٤٢٦هـ) : ٧٠، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط١١ .

(٧) ينظر : اخلاق العرب بين الجاهلية والاسلام ، محمد الناصر : ٢٢٠، دار الرسالة ، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٨) ينظر : اليمن قبل الاسلام ، بيوتروفسكي : ١٠٤، دار الكتب اليمنية ، صنعاء – اليمن ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

.

المدينة أرض زراعية يكثر فيها النخيل وهناك نوع آخر مصنوع من الذرة عند أهل الحجاز [١] ، فصور الخمر وطرق صناعته المختلفة ما هي إلا انعكاس لواقع المجتمع الجاهلي وطبيعتهم في شأنه ، فكانت الرفيقة لهم في السراء والضراء ورمزاً للكرم والضيافة يتباهون بمعاقرتها في مجالسهم العامة والخاصة ، ورغم المنزلة التي نالتها الخمرة ، إلا إن هناك من يمتلك من الشيم والعقل والخلق الرفيع فحرمها على نفسه ولم يشربها قط ونقلت الأخبار عن هؤلاء [٢] ، لإنه رأى ما رأى من آثارها القبيحة على المرء وعلى أهل بيته نتيجة لغياب العقل والأدراك الحسي ، فقد يرتكب من الجرائم والمحرمات بحق غيره تجعله يسقط من عين نفسه ، فكانت الشهامة والعفة هي الفاصل عن النهي عنها خصوصاً إن العربي في الجاهلية يمتلك الحمية ويبذل النفس في سبيل الحفاظ على شرفه وشرف بيته وقبيلته ، كذلك طلبهم الدائم للثأر ، لإن الخمر يمنعهم عن التركيز في القتال وعن كريم الأخلاق ايضاً .

ومن المُلهيات الأخرى الميسر ، والميسر لغة : وهو من اليُسر ضد العسر والياء والسين والراء أصلان يدل الأول على عضو من الأعضاء ، والأصل الثاني على إنفتاح الشيء وخفته [٣] .

أمّا في الأصطلاح فالميسر : قمار العرب بالأزلام ، ويندرج تحت مفهوم الميسر أضافة الى القمار الشطرنج والنرد ولعب الصبيان بالجوز والكعاب [٤] ، فعن الرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم)) عندما سُئل عن الميسر قال : ((كل ما تقومر به حتى الكعاب والجوز ..)) [٥] ، فكان الميسر في الجاهلية وسيلة من وسائل اللهو والأنس يضاف الى جانب شرب الخمر ، فقد كانوا قديماً يجتمعون في نوادٍ يتسامرون فيها ، ويلعبون الميسر تسلية للنفس من جهة ، وللتباهي والتفاخر بالأموال من جهة اخرى بل وعدها مفخرة عندهم لإن لا يقدم عليه ولا يقوم به إلا أصحاب الأموال والكرم وذوي الهمم العالية حيث إن التجار والأشراف من العرب ورؤساء القبائل كانوا يتقامرون بالقداح على الأبل ، ويجعلون من

---

(١) ينظر : المخصص ، ابو الحسن بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ) : ٢٠٣/٣، تح : خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٢) ينظر : المحبر ، ابن حبيب (ت:٢٤٥هـ) : ٢٣٧.

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ١٥٥/٦ مادة (يسر) .

(٤) ينظر : نيل المرام من تفسير آيات الاحكام ، محمد صديق خان (ت:١٣٠٧هـ) : ٦٦/١، تح : محمد حسن اسماعيل و و احمد فيد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م .

(٥) الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ١٢٣/٥ .

لحومها طعاماً يحسنون به الى ذوي الفاقة والحاجة من المستضعفين ، حتى وصل الحال الى أن يُذم المتخلف عن هذه النواد التي يُقامَر فيها ، ويطلقون عليه اسم البرم [١] .

وصفة الميسر المشهورة عند العرب كانت يجتمعون في مجلس ويشتركون على بعير واحد ، حيث يجزئون الجزور (العيدان أو الأزلام) عشرة أجزاء ، ثم بعد ذلك يؤتى بالقداح ويضرب به ، و توجد سبعة من الجزور لها حظ ، فأن فازت فلصاحبها الغرم ، وإن خسرت فعليه بقدر ما فاز يخسر ، وثلاثة لا حظ لها إن فازت ولا خسارة إن خابت [٢] ، فالميسر أشبه ما يكون بالقرعة ، إذ أنه يقوم على الحظ بالدرجة الأساس ، وهذا الشيء لا عدل فيه الأمر الذي أدى فيه الى إثارة الشحناء والبغضاء بين المتبارين والمتنافسين ، إضافة الى الحزن وزرع الحقد والكراهية فيما بينهم ، لكونها سبباً في صرف المال واضاعته دون حصول شيء في المقابل ، أو حصول على مال دون مشقة وعناء ، حتى وصل الأدمان عليها إلى المقامرة بالأهل والعرض من أجل التعويض أو الطمع ، فعن ابن عباس (ت:٦٨هـ) قال : ((كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فأيهما قمر بصاحبه ذهب بأهله وماله)) [٣] ، فالخمر والميسر يعدان من أشهر المُلهيات المعروفة عند العرب في العصر الجاهلي ، حتى عُدت سمة بارزة فيهم نتيجة غياب الوعي والتحضر، أضف الى الفراغ الوقتي والذي جعل منها منفذا لكسب الوقت والتخفيف من الضغوطات نتيجة الحروب والغارات المستمرة والتي قد تصل لسنوات متتالية ، هذا غير ضعف الواعز الديني كل هذه العوامل وغيرها ساهمت مع بعضها في شهرة الخمر والقمار وإنتشارها بين طبقات المجتمع الجاهلي المختلفة ، وبل وعُدت احياناً مفخرة يتفاخر فيها الأثرياء وأصحاب النفوذ والمناصب للتباهي و التفاخر فيها ، فهي منفذاً للفرار وباباً للإفتخار وميداناً للشرور بسببها هلكت النفوس وهدرت الأموال وشاعت الأحقاد وأضحت الحياة غير مناسبة للإنسان ، لذا كان لا بد من الدين الجديد من إزاحتها من ميدان البيئة العربية وتهيئة النفوس لمعالجتها ، ومن ثم القضاء عليها والتخلص من آثارها وشرورها.

---

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ابراهيم البقاعي (ت:٨٨٥هـ) : ٢٤٢/٣، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة – مصر .

(٢) ينظر : المحبر ، ابن حبيب (ت:٢٤٥هـ) : ٣٣٣ – ٣٣٤ ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الاندلسي (ت:٦١٠هـ) : ٧٩٧.

(٣) جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٣٢٤/٤.

المطلب الثاني : معالجة إنحراف الخمر والميسر

بدأ الإسلام في معالجة الإنحرافات الإجتماعية السيئة المتفشية في البيئة العربية منذ بدايته أيّ : في العهد المكي وبصورة متدرجة ، إذ تمت المعالجة على مراحل متتابعة كعادته في القضاء على أمر متجذر في النفوس ، والخمر والميسِر من المُلهيات التي خضعت تحت هذا العلاج الرباني ، وجاءت متآخية مع بعضها لضررها ومفسدتها المشتركة على الفرد والمجتمع معاً إضافة الى الإثم وتضييع الأموال وإتلافها ، وأول ما أشار إليه الخمر كونه أقبح وأقذر العادات الجاهلية ، لذلك عدها الإسلام من الكبائر ، كما سمّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأم الفواحش [١] ، أيّ : أكبرهن وأعظمهن ولكون الإقدام على تناول الخمر يفقد الإنسان العقل وبالتالي يرتكب بقية الفواحش من القتل والسرقة والقذف وغيرها ، فهي مدخل لكل شر كما جاء في الحيث الشريف ((شرب الخمر مفتاح كل شر)) [٢] ونتيجة لإنتشارها الفاحش عَمِد القرآن إلى إستخدام الإسلوب التربوي الحكيم كما سبق ذكره لأجل إبطالها وإقتلاعها من معاقريها وبالتالي تطهير المجتمع من مخلفات آثارها ، فكانت المرحلة الأولى في مكة والمتمثلة في سورة النحل بقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [٣] ، إن الآية الكريمة بمثابة الإنذار الأولي للتحريم ، والسكر الوارد فيها فيها إشارة الى الشراب المسكر الكحولي [٤] ، أمّا الرزق الحسن فهو الطعام النافع الناتج من النخيل والأعناب كالتمر والزبيب [٥] و من الملاحظ إن ذكر السكر في الآية لا لحليتها أو إجازة تناولها ، إنما لمقابلتها مع الرزق الحسن ، وكأنها مقارنة بينها وبين الرزق الموصوف بالحسن ، وهو ما لم يصف به السكر إيحاءً إلى إن الأخير يتصف بالصفة المضادة للحسن [٦] ، فالآية تحمل في طياتها وجنباتها إشارة ولمحة سريعة إليها تجعل من الإنسان العاقل يتأمل ويمعن النظر إليها ، وكيف جعل الله السكر مقابلاً

---

(١) ينظر : كنز العمال ، المتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ) : ٣٤٨/٥، تح : بكري حياني ، مؤسسة الرسالة و بيروت – لبنان ، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م .

(٢) الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ٤٠٣/٦.

(٣) النحل : ٦٧.

(٤) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٧٢/٨.

(٥) ينظر : معاني القران ، ابو زكريا الفراء (ت:٢١٥هـ) : ١٠٩/٢، تح : محمد علي النجار ، احمد يوسف النجاتي ، عبد الفتاح اسماعيل الشلبي ، دار المصرية ، مصر ، ط١ ، محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) : ٣٨٣/٦ تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

(٦) ينظر : من وحي القران ، محمد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ٢٥٦/١٣.

للرزق الحسن ؟ وكأن الخمر شيء والرزق شيء آخر [١] ، كما يمكن ملاحظة إن في الآية وصف للواقع الذي كانوا يعيشونه في الجزيرة من إتخاذ أشجار الأعناب والنخيل المادة الأساسية في صناعة الخمر، فنستنتج من كل ما تقدم وذكر في الورد الكريم الخطوة التمهيدية الأولى للتحريم عندما فصل بين الخمر والطعام الحسن وهذا الذي ختمت به الآية ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ فالعقل هو البوصلة للتفكر والتدبر بينهما .

ثم تبدأ خطوة جديدة من العلاج ، حيث العهد المدني متمثلاً في الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [٢] ، إن السؤال في الآية الكريمة موجه للرسول محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) من قبل المسلمين [٣] ، وإن سؤالهم عن الخمر والميسِر في الفترة المدنية يخطر في الأذهان إن الإسلام قد سكت فترة طويلة عن تبين حكمهما خلال ما يقارب الثلاث عشر سنة ، وهي الفترة المكية ، وهذا ما تقتضيها المصلحة ، ولكي يأخذ العلاج مفعوله بصورة صحيحة ، كون العرب وحتى المسلمين في بدايات الإسلام قد ألفو عليها ، فلو قطعت دفعة واحدة لثقل ذلك عليهم ، لذلك راعى الله عز – وجل النفوس وإستخدم اللين في تشريع أحكامه ، فلم يحرم الخمر صراحة في الآية ، بل ذمها بقوله : ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ ، والإثم هنا : بمعنى البطء والتأخير [٤] ، وهو من الأفعال المبطئة عن الثواب [٥] وبما إن الذنوب تؤثر على العقل والروح ، وبالتالي تأخير تأخير الإنسان عن بلوغ الدرجات ونيل والحسنات والوصول إلى الكمال ، وقد أمر الله عز– وجل في الآيات المكية بالإبتعاد وأجتناب الآثام بصورة عامة إلا إنه لم يفصّل ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ...﴾ [٦] ، كذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** ﴾ [٧] ، ففي الآية تصريح بترك الإثم ، إن الله تعالى أعلم بالأعمال المفسدة والمضرة بدايةً ، وقد طرحت بصورة عامة لإن الوقت لم يحن بعد

---

(١) ينظر : الخمر والمخدرات في الإسلام ، الدكتور احمد فتحي بهنسي : ٤٤، مؤسسة الخليج العربي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
(٢) البقرة : ٢١٩.
(٣) ينظر : فتح القدير ، الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) : ٢٥٢/١.
(٤) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٦٠/١.
(٥) ينظر : المفردات في غريب القران ، الراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ) : ٦٣/١.
(٦) الاعراف : ٣٣.
(٧) الانعام : ١٢٠.

لإستقبال الحكم النهائي ، فذكر قوله تعالى في محكم كتابه : ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ [1] ، ثم ذكر قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [2] وفي الآية ذِكر لصفات المؤمنين في إجتنابهم الإثم والكبائر قاطبةً .

ونلاحظ إن الآية السابقة في سورة الشورى مرتبطة مع آية البحث الحالي من سورة البقرة إذ إن فيها لفت إنتباه للمؤمنين بتوجيه الخطاب إليهم وأخبارهم في إن الخمر والميسر أفعال سيئة يؤثمون عليها وهذا متناقض مع الإيمان ومع صفات المؤمنين التي وصفها القرآن ، وعلى هذا الأساس فأن الخمر والميسِر لهم آثارهم النفسية والمادية على الإنسان وتؤخره عن الوصول إلى الخيرات ، وصيغة ﴿ **فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ** ﴾ لا تدل على التحريم ، لكونها خطوة مستثقلة ، وهذا ما أوضحناه سابقاً ، إلا إن فيها إشارة تتضمن مفسدة يجب الإبتعاد عنها ، وإن كانت فيها فائدة ظاهرية ، كما في القاعدة الإسلامية المعروفة ((درء المفسدة اولى من جلب المصلحة)) [3] .

إن ذكر القرآن للمنفعة ما هو إلا مراعاة للواقع المعاش ، وللنفوس التي إعتادت شرب الخمر ولعب الميسِر هذا غير إن عقلية العربي آنذاك عقلية سطحية تنظر الى ظواهر الأمور ، لم تعهد الى معرفة البواطن الخفية ولم يصل العلم بعد الى الأضرار الناتجة منها ، ومن المنافع الظاهرية الناتجة شراء تناول الخمر :

١ – إنها مصدر رزق واسع ووفير في التجارة ، حيث تأتي القوافل المحمّلة خصيصاً بالشراب من الشام الى الحجاز لتباع بربح على مشتريها ، ولا سيما إن في الجزيرة معاقرين للخمر لا يتركونها قط [4] .

٢– حصول النشوة واللّذة أثناء تناولها ، بسبب غياب العقل ، فيشعر الشارب بنشوة تأخذه الى عالم الخيال والأوهام وتنسيه شظف الحياة ، وهمّ الحال الذي يعيشه [5] .

---

(1) النجم : ٣٢.
(2) الشورى : ٣٧.
(3) قواعد الاحكام في مصالح الأنام ، عز الدين الدمشقي (ت:٦٦٠هـ) : ٩٨/١، تح : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة – مصر ، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م .
(4) ينظر : احكام القران ، ابن عربي (ت:٥٤٣هـ) : ٢١١/١، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ببيروت ببيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
(5) ينظر : الكشاف ، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٢٦٢/١.

٣- إن للمبتدعة قول يستدلون به على إباحة شرب الخمر ، حيث يقولون : (إن للخمر منفعة حيث تحفظ صحة البدن من خلال تقوية المعدة ، وتجفيف الرطوبة أثناء سريانها في العروق والاعصاب اضافة الى هضم الاطعمة الثقيلة وتلطيفها) [١] ، غير إن الإعتقاد غير صحيح خصوصاً إن العلم الحديث أثبت مضار الخمر على البدن أكثر من فائدته ، فقد جاء في أقوال أحد الأطباء المشهورين : ((اغلقوا الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والملاجئ والسجون)) [٢] ، كما إن الله تعالى لا يجعل شفائه في شيء محرم ، كون هذا منافي للحكمة والعدل والغاية الأساسية من الإصلاح ففي حديث شريف للرسول الاعظم (صلى الله عله وآله وسلم) قال فيه : ((ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها)) [٣] .

أمّا الميسِر فتكمن فوائده حسب ما ينظرون حصول للمال دون جهد وعناء إضافة إلى تنميتها وزيادتها من خلال الغلبة ، كما إن فيها لذة الِكبر والغرور ، فما مجالس القمار إلا ميداناً للعب و للتباهي بكثرة الأموال ثم يوضح القرآن رغم وجود المنافع الظاهرية إلا إن مفسدتهما أكبر على متعاطيها والمتعاملين معها ، إن في الآية دعوة الى التفكر ، وهذا جزء من العلاج ، فلو وضِع المرء مفاسد الخمر والميسِر ومنافعها على ميزان لترجحت كف المفاسد ، أمّا فوائدها الضئيلة التي لا تجد لها اليوم بعد تطور الحياة وإدراك الإنسان لها أهمية تذكر ، فمن مفاسدهما ما يصدر من شارب الخمر من قول الفحش والزور والمخاصمة والإعتداء نتيجة غياب العقل ، هذا غير تعطيل فروض الله [٤] ، والأضرار النفسية والجسدية جراء تناولها مثل الخمر أو التعامل معها مثل القمار ، كونه يورث البغض والحقد والعداء بين أفراد المجتمع لإنه أخذ للمال من جهد غيره ، وهذا مدعاة للكسل فالقمّارين يعيشون حياة طفيلية كما يصفها الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، فهم متطفلين على أموال غيرهم ، بسببها تهدم البيوت العامرة ، وينقل الإنسان من حال الى حال خلال دقائق .

---

(١) ينظر : احكام القران ، ابن عربي (ت:٥٤٣هـ) : ٢١٠/١-٢١١.
(٢) الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت:١٣٢٢هـ) : ٣٢٩/١.
(٣) الاكليل في استنباط التنزيل ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) : ٥٠/١، تح : سيف الدين الكاتب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
(٤) ينظر : الاء الرحمن ، محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ) : ١٩٥/١، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣م ، الخمر والمخدرات في الاسلام ، الدكتور احمد فتحي بهنس : ٤٥.

ثم يتقدم القرآن في علاجه خطوة أعلى ، إذ نهى عن الإقتراب من الصلاة في حالة السكر فجاء في الذكر الحكيم قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ [١] والمتأمل في الآية يجد إن الخطاب القرآني موجه للمؤمنين ايضاً مستخدم أسلوب النداء تمييزاً لهم [٢] والذي يعد من أكثر وسائل الخطاب القرآني تأثيراً ، وأكثرها نفعاً لتنبيه المخاطب لمقاصد القرآن وغاياته والرسالة التي وجد البشر من أجلها ، ممّا يستدل على إن شرب الخمر مستمراً حتى وقت نزول الآية رغم بيان مضار الخمر ومفاسده ، وإعطائه صفة الشراب الغير المرغوب قِبال الرزق الحسن فيما سبق من الآيات ، إلا إن تناوله باقياً ما لم ينزل نص يحرمه ، فالآية تنهي عن أداء الصلاة في حالة السكر ، وهذا لا يعني إن بقية الأوقات مباح تناول المسكر فيها ، وقد ألتزم الصمت حيالها ، حتى يحين العلاج النهائي في التحريم [٣] .

ونرى في خطوة العلاج هذه إفتتاح السورة بخطاب موجه للمؤمنين له أثره البالغ في نفوسهم ، وبما إن النهي جاء في أوقات الصلاة الموزعة على مدار الليل والنهار أصبحوا في إحتراز شديد في تناول المسكر، حتى في غير أوقات الصلاة لئلا يبقى للسكر تأثير فيهم ، حتى يحين موعد الصلاة التالية ، والمعروف إن تناول المسكر يبقى تأثيره مستمراً قد يصل لفترات طويلة من اليوم ، وبهذه الطريقة فقد بدأ الإدمان يتلاشى تدريجياً حتى ولّد في نفوسهم شيئاً من الكِره والتنافر اتجاهه يقول الرازي : (ت: ٦٠٦هـ) ((وَالْحِكْمَةُ فِي وُقُوعِ التَّحْرِيمِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا أَلِفُوا شُرْبَ الْخَمْرِ، وَكَانَ انْتِفَاعُهُمْ بِذَلِكَ كَثِيرًا، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْ مَنَعَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَا جَرَمَ اسْتَعْمَلَ فِي التَّحْرِيمِ هَذَا التَّدْرِيجَ، وَهَذَا الرِّفْقَ ..)) [٤] .

لمّا ثبت الإسلام ، ورسخت قواعده ، وأضحت النفوس مستعدة لتقبل أي حكم آلهي دون تردد او جدل جاءت الخطوة الأخيرة من رحلة العلاج الرباني للقضاء على هذا الوباء الفتاك ، فنزلت الآية مبينة حكم التحريم القطعي في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون** ﴾ [٥] .

---

(١) النساء : ٤٣.
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (ت:٧٩٤هـ) : ٢٢٨/٢.
(٣) ينظر : الامثل ، ناصر نكارم الشيرازي : ١٦٧/٣.
(٤) مفاتيح الغيب : ٣٩٦/٦.
(٥) المائدة : ٩٠.

وعلى الرغم من إن بعض المفسرين ذهبوا الى إن القمار حُرم من قبل [١] في سورة البقرة في قوله : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] وسورة النساء ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ..** ﴾ [٣] ، وهذا لا ضير فيه لإن القِمار محّرم أساساً من قبل الشارع وحكم النهي كان بصورة عامة للمعاملات المالية فلم يفصل بينهما ، لذلك تعددت أقوال المفسرين فيها ، كما إن طبيعة المجتمع كانت تتطلب التدرج في إنزال وبيان حكم الخمر والميسر فأبتدأ الخطاب ايضاً بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ففيه تحريك للمشاعر ولفت للقلوب وتنبيه لهم على تركه ، حتى لا يخالجهم الشك أو التردد ، ولو للحظة يقول سيد قطب (ت:١٣٨٥هـ) في هذا الصدد ((إن النداء لإستجاشة قلوب المؤمنين من جهة ولتذكيرهم بمقتضى هذا الأيمان من الالتزام والطاعة من جهة اخرى)) [٤] ، إذ حملت الآية في طياتها حكم الإجتناب عن تناول المسكر ، والتعامل مع الميسر ، والحكم ساري على الجميع دون استثناء وإستخدم لذلك لفظ الإجتناب ، وهو على درجات الإبتعاد والأنقطاع والنفير [٥] ، كما إن الإجتناب أبلغ في النهي من التعبير بتحريم الخمر لإن النهي وتحريم الشرب يقتصر على منع تناولها فقط ، أمّا الإجتناب فهو نهي عن تناولها والتعامل معها كالبيع والشراء وغيرها من المعاملات [٦] ، والملاحظ في الآية الكريمة إن القرآن لم يكتفي حكمه بالنهي والإجتناب منها فقط ، بل بيّن شرورها وإنها من أفعال الشيطان ليغوي بها الناس ويضلهم عن الطريق السليم إذ وصفها بالرجس ، والرجس لغة : كل شيء مستقذر [٧] ، والمفردة تطلع بصورة عامة على المذمات الظاهرية والباطنية ، وقد ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم في مقام القبح والخبث قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا**

---

(١) ينظر : النكت والعيون ، الماتريدي (ت:٤٥٠هـ) : ٢٤٨/١، التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ١٣٧/٢ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ) : ١٥٣/١، تح : صفوان عدنان داوودي دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، تفسير القرآن ، أبو المظفر منصور بن محمد (ت:٤٨٩هـ) : ١٩٠/١ ، تح : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (ت:٥١٠هـ) : ٢٣٣/١ .

(٢) البقرة : ١٨٨.

(٣) النساء : ٢٩.

(٤) في ظلال القران : ٩٧٥/٢.

(٥) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٠٠/٤.

(٦) ينظر : الجامع لاحكام القران ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٢٨٩/٦.

(٧) ينظر : العين ، الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) : ٥٢/٦ ، مادة (رجس) ، معاني القران واعرابه ، ابو اسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ) ، ٢٠٣/٢ ،المفردات في غريب القران ، الراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ) : ٣٤٢/١.

أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ..﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [٤] ، وفي آية البحث جعل الله تعالى الخمر والميسر في جانب واحد مع الانصاب [٥] والازلام [٦] ، فهم متساوون في الإثم مع الشرك وهذا ما أكده الحديث ((مدمن الخمر كعابد وثن اذا مات وهو مدمن عليه يلقى الله عز – وجل حين يلقاه كعابد وثن)) [٧] ، ثم يختم الآية بـ ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ ، فجعل إجتناب إجتناب الخمر علّة يرجى منها تحصيل الفوز [٨] ، فالآية حملت في طيّاتها الأمر بالترك والترغيب عليه للحصول على الفلاح في الدنيا والآخرة ، وقد جاء في موضع آخر معززاً هذا الفلاح قوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾[٩] ، ثم أردف مؤكداً قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾ [١٠] ، إذ خص الخمر والميسر بأنهما من الآعيب الشيطان ووسوسته زينها للناس ليبقوا في متاهات الحياة ولذائذها الفانية حائرين ويمنعهم من خلالها عن ذكر الله والرجوع إليه ، كما يصدهم عن إقامة الصلاة ، والتي تنهى عن الفحشاء والمنكر قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [١١] ، فأي معصية أبشع وأقبح من هذه المعصية وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبائث وتوقعه في شباك الشيطان وأعماله السيئة ، فينقاد له كما تنقاد

([١]) الانعام : ١٤٥.
([٢]) الاحزاب : ٣٣.
([٣]) الحج : ٣٠.
([٤]) التوبة : ١٢٥.
([٥]) حجارة تنصب فتعبد من دون الله ، ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ٥٠٨/٩.
([٦]) هي سهام تصنع من خشب تتفائل بها العرب عند طلب السفر ، ينظر : الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ١٩٤٣/٥.
([٧]) الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ٤٠٥/٦.
([٨]) ينظر : ايات الاحكام ، المولى محمد ابراهيم الاسترآبادي (ت:١٠٢٣هـ) : ٨٠، تح : محمد باقر شريف زاده ، مكتبة المعراجي ، طهران – ايران .
([٩]) النساء : ٣١.
([١٠]) المائدة : ٩١.
([١١]) العنكبوت : ٤٥.

البهيمة الذليلة لراعيها ، وتحول بين العبد وبين فلاحه وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها ؟ وتنتهي الآية بالإستفهام ، والمراد منه الأمر بالإنتهاء ، إذ إنه أبلغ ما ينتهي به [١] ، وأرهب عند أهل الفهم من صيغة إنتهوا [٢] ، وقد تناولت تناولت الكتب حديث عمر بن الخطاب المنقول بعد إن سمع الآية فقال : انتهينا انتهينا [٣] ، ثم يؤكد على ذلك بالأمر بطاعة الله والرسول فيما أمر به من النهي عنها وإجتنابها ويحذرهم فيما أعرضوا عنها فهم لا يضرون إلا انفسهم لان الرسول قد بلّغ وما على الرسول إلا البلاغ المبين قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [٤] .

وجاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا التحريم القاطع ، بأحاديث وروايات عديدة سأطّرق الى ذكر البعض منها ففي حديث للرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) بيّن فيه إن الخمر واي شراب مسكر حرام قليله وكثيره ، حيث قال : ((الخمر حرام بعينه والمسكر من كل شراب ، فما اسكر كثيره فقليله حرام)) [٥] وفي حديث آخر قال : ((كل مسكر حرام ، ما أسكر كثيره فقليله حرام)) [٦] .

للإمام الباقر (عليه السلام) عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه ((لعن رسول الله في الخمر عشرة غارسها وحارسها وبايعها ومشتريها وشاربها والآكل ثمنها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه)) [٧] ، وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : ((مدمن الخمر يلقى الله عز – وجل وجل كعابد وثن ، ومن شربه لم يقبل الله له صلاة اربعين يوماً)) [٨] إضافة الى إجماع الفقهاء على حرمة تناولها والانتفاع بها [٩] .

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ابو البركات النسفي (ت:٧١٠هـ) : ٤٧٤/١، تح : محي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

(٢) ينظر : التفسير المبين ، محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) :١٥٤، مؤسسة الكتاب الاسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٣) ينظر : مسند احمد بن حنبل ، احمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) : ٤٤٣/١، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

(٤) المائدة : ٩٢.

(٥) فقه الرضا ، علي بن بابويه القمي (ت:٣٢٩هـ) : ٢٧٩.

(٦) ينظر : سنن ابن ماجة ، ابن ماجة (ت:٢٧٣هـ) : ١١٢٤/٢، سنن الدار قطني ، الدارقطني (ت:٣٨٥هـ) : ٤٥٠/٥.

(٧) الكافي ، الكليني (ت:٣٢٩هـ) : ٤٢٩/٦.

(٨) المحاسن ، احمد خالد البرقي (ت:٢٧٤هـ) : ١٢٥/١، تح : جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران – ايران ، ١٣٧٠هـ .

(٩) ينظر : نيل المرام في تفسير ايات الاحكام ، محمد صديق خان (ت:١٣٠٣هـ) : ٢٧٥/١.

وإذا الإنسان لم يتأثر بالأساليب القرآنية والتحذيرات في الآيات الناهية والمحرمة للخمر والميسر تتكفل السنة بتطبيق العقوبات والحدود الفعلية للكف عنها بعد الإثبات ، فهذه الفاحشة التي تجعل من الإنسان في منزلة واحدة مع الحيوان لا يعي تصرفاته وأقواله ، لا بد أن تكون العقوبة زاجرة ورادعة له وهي الجلد فحكم شارب الخمر ثمانون جلدة لا تختلف في مقدار الشرب بين قطرة واحدة او عشرين رطلاً من الخمر [١] ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ((ان في كتاب علي يضرب شارب الخمر ثمانين ، ، وشارب النبيذ ثمانين)) [٢] رغم إن البعض ذهب الى حد القتل إذا تكرر الشرب والحد استناداً الى قول قول رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : ((اذا شربوا الخمر فاجلدوهم ، ثم ان شربوا فاجلدوهم ، ثم ان شربوا فاجلدوهم ، ثم ان شربوا فاقتلوهم)) [٣] ، وذهب الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بهذا الرأي حيث قال :((يجلد شارب الخمر ثمانين جلدة ، فاذا شرب الرجل مرة ضرب ثمانين جلدة ، فان عاد جلد ، فان عاد قتل)) [٤] ، وسار من بعده جمع من الفقهاء أمثال أبو الصلاح الحلبي (ت:٤٤٧هـ) (ت:٤٤٧هـ) إن شارب الخمر يجلد ثمانين جلدة و يقتل في الثالثة بعد الإقرار مرتين ووجود الشاهدين [٥] [٥] .

ولا ريب إن الإمام علياً (عليه السلام) هو الذي يعود إليه في إصدار حكم الحد ، ولا يتوانى عن ذلك ، ولا يُميز بين الأحساب والأنساب ، والغني والفقير ، فحدود الله يجب أن تُقام على كل من يخالف شرعه على حد سواء ، فقد نقل عنه إنه أرسل في طلب شاعر نجاشي ، وقد إستحل حرمة شهر رمضان وتناول الخمر ، إذ جلده ثمانين جلدة ، ثم حبسه ، ثم دعى من بعد وضربه عشرين ضربة أخرى فقال : يا أمير المؤمنين ما هذه الزيادة ؟ وقد ضربتني الحد في شرب الخمر ، فقال (عليه السلام) الجرأة على الله وشربك الخمر في شهر رمضان [٦] ، كما أجمع الفقهاء على حرمته قليلاً أو كثيراً [١] ، فكل مسكر حرام .

([١]) ينظر : المدونة ، مالك بن أنس الأصبحي (ت:١٧٩هـ) : ٥٢٣/٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، المقنعة ، الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) :٧٩٨، السرائر ، ابن ادريس الحلي (ت:٥٩٨هـ) : ٤٧٥/٣.

([٢]) تهذيب الاحكام ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٩٠/١٠، تح السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، طهران – ايران ، ط٣ .

([٣]) ينظر : سنن ابن ماجه ، ابن ماجه (ت:٢٧٣هـ) : ٨٥٩/٢، سنن ابي داوود ، ابو داوود سليمان بن الاشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ) : ١٦٤/٤، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

([٤]) المقنع : ٤٥٤.

([٥]) الكافي في الفقه : ٤١٣ .

([٦]) ينظر : الغارات ، ابي اسحاق الثقفي الكوفي (ت:٢٨٣هـ) : ٩٠٣/٢_٩٠٤، تح : جلال الدين ، المعتصر من المختصر من مشكل الأثر ، ابو المحاسن الحنفي (ت:٨٧٤هـ) :١٣٦/٢، عالم الكتب ، بيروت – لبنان .

إن إسلوب القرآن الكريم في المعالجة له أثره البالغ في جنيّ الثمار ، وتهذيب السلوك وسقل الإنسان وتكوين إنسان مستعد لبناء حضارة تليق به كخليفة الله في أرضه ، وأضافت الشريعة الإسلامية العقوبات الفعلية لزجر المرء وتخويفه ، حتى لا يقدم عليها ، كون مضار الخمر والميسر لا يقتصر على الفرد وحده وإنما مجتمع كامل ، إذ تؤديان الى نشر العداوة والحقد فيما بين الناس وهذا ناقوس خطر يؤدي الى تهالك المجتمع وإنهيار وحدته وتفكك الروابط الإنسانية وبالتالي تصبح الحياة عبارة عن مكب من الصراعات والمشاكل إضافة الى تسهيل سُبل الأجرام والأعتداءات نتيجة تعطيل العقل وغياب الوعي والشعور ، فعن الإمام ابي عبد الله (عليه السلام) في علّة تحريم الخمر قال : ((حرم الله الخمر لفعلها وفسادها لان مدمن الخمر تورثه الإرتعاش ، وتذهب بنوره ، وتهدم مروته ، وتحمله على إن يجترئ على إرتكاب المحارم وسفك الدماء وركوب الزنا ، ولا يؤمن إذا سَكر إن يثب على حرمه ، ولا يعقل ذلك ، ولا يزيد شاربها إلا كل شر)) [٢] ، وفي مقام آخر عُد أشر من ترك الصلاة عندما سُئل الامام ابا عبد الله عن الشريّن شرب الخمر أم ترك الصلاة ، قال : (شرب الخمر اشر من ترك الصلاة لأن العبد يصير في حال لا يعرف الله ومن خالقه) [٣] ، لم تقتصر آثار الخمر على المشاكل الأجتماعية والخلقية ، بل لها آثار ومشاكل صحية ، وقد تحدث الكثير من الأطباء عن مضارها لا يسع المجال لطرحها هنا [٤] .

آثار القضاء على الخمر والميسر :-

١- تطبيق أوامر الله وطاعته ، وبالتالي فوزه في الدنيا والآخرة .

٢- حفظ العقل وسلامته ، إذ إن العقل يعد الجوهرة الأثمن عند الانسان ، وهو ما ميزه الله عن غيره من المخلوقات ، ففي إحصائية صدرت من المملكة المتحدة إن (٢٢٤٩) مجنوناً بسبب الخمر يقابله (٥٣) مجنوناً لأسباب اخرى غيرها [٥] .

٣- خلو الإنسان من أمراض هو في غنى عنها ، فالخمر والميسر تفتح على المرء ابواباً من الأمراض الجسدية والنفسية .

٤- إبتعاد المرء عن أفعال وأقوال الفحش والمنكر .

---

(١) ينظر : المبسوط ، السرخسي (ت:٤٨٣هـ) : ٣/٢٤ .
(٢) علل الشرائع ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٤٧٦/٢.
(٣) ينظر : من لا يحضره الفقيه ، الصدوق (ت:٣٨١هـ) : ٥٦٩/٣.
(٤) ينظر : الخمر رجس من عمل الشيطان ، السيد محمد ماضي ابو العزائم (ت:١٣٥٦هـ) : ١٤_١٥، دار الكتاب الصوفي ط١ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
(٥) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٠١/٤.

٥- إبتعاده عن الجرائم نتيجة غياب العقل سواء في الخمر أو القمار ، وأشارت الإحصائيات الى أرقام كبيرة من الجرائم يمكن مراجعتها [١] .

٦- حفظ كرامة البيت الذي ينتمي إليه ، فالمعروف إن البيوت التي يتناول رب أسرتها أو أحد أفرادها الخمر أو يمارس القمار تتعرض للكثير من الكلام .

٧- توفر الأمان والسعادة داخل البيت ، فبيوت الخمّارين وأهل القمار تضج بالمشاكل الداخلية والخارجية

وغيرها الكثير من الآثار لا يسع المجال لذكرها هنا ،لإن البحث سيؤول الى إتجاه آخر .

وفي الختام يجب إن نذكر إن الأساليب والطرق القرآنية من حيث التدرج في نزول حكم التحريم ولغة خطاب الترهيب والترغيب والأوامر والنواهي إضافة الى العقوبات من الجلد والقتل كان لها أثر كبير في التخلص من عادة فتّاكة نهشت المجتمع الجاهلي ، وجعلت منه مجتمعا أشبه ما يكون بالغاب تتقاتل فيه الناس ويقتل بعضهم البعض لا يصدهم عن ذلك عقل أو دين ، حتى جاء الإسلام وبالقرآن أنقذ مجتمعاً خلال سنوات بسيطة يضاهي أعظم الحضارات ويتفوق عليها ويقلب البيئة الجاهلية الى بيئة إنسانية تتساوى فيها الحقوق وتحفظ كرامة الإنسان وكيانه .

---

(١) ينظر : الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٠٣/٤.

المبحث الثالـث

قتــل الأولاد والوأد

توطئة :

الأولاد من أكبر النعم التي منحها الله تعالى للإنسان ، فهم زينة الحياة الدنيا كما تم وصفهم في قوله تعالى ﴿ **الْمالُ والْبَنُونَ زينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا والْبَاقِياتُ الصَّالِحَاتُ خَير عِنْدَ ربِّكَ ثَوابًا وخَير املًا** ﴾ [1] ، وزُين حبهم الى الآباء قال تعالى : ﴿ **زينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ منَ النِّسَاءِ والْبَنِينَ والْقَنَاطِير الْمقَنْطَرَةِ منَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيلِ الْمسَومةِ والانعَام والْحَرثِ ذَٰلِكَ متَاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمابِ** ﴾ [2] ، كما إنهم مصدر من مصادر سعادة الانسان ولاسيما الوالدين ، وحبهم فطرة أودعها الله في قلوب الآباء مهما إختلفت أجناسهم وألوانهم ووجودهم يمثل سلسلة إستمرار النسل وبقائه ، لذلك شرّع الله لهم حقوقا كاملة ، وفي طليعتها حق الحياة وهي واجبة لهم من حيث إنهم إنسان لهم حقوقهم منذ الولادة الى الوفاة ، والأديان بأجمعها أكدّت هذا الحق وأولته أهمية فائقة ، وحرّمت قتلهم وهدر دمائهم لإنها حق مقدس لا يحق لإي كائن ما كان إستباحته حتى وإن كانوا آباء ، لإن قتلهم مخالف للفطرة والعقل والدين ، وهذا ما سجله القران والتاريخ في أفعالهم في حق أبنائهم ، والتي لا تنتج إلا عن معتقد باطل أو سراب غير موجود إطلاقا والقتل بصورة عامة مارسته أُمم وشعوب عديدة في مختلف بقاع الأرض ، وتحت مسميات عديدة ، ومن هذه الأمم العرب في شبه الجزيرة العربية ، ولهذا سوف نتحدث بشيء من الإختصار عن الدوافع والأسباب التي دفعت بهم للإقدام على مثل هكذا تصرف مخالف لفطرة وطبيعة الإنسان .

([1]) الكهف : ٤٦.

([2]) ال عمران : ١٤.

المطلب الاول : قتل الأولاد عند العرب قبل الإسلام

على الرغم من إن الأولاد في المجتمع العربي أحد أبرز عناصر التفاخر ، والتي يتباهون بها أمام غيرهم سواء من داخل القبيلة أو خارجها أو مع بقية الشعوب والأقوام الأخرى غير العربية ، حيث يمكن القول إن هذه واحدة من الصفات العربية التي كانت ولا زالت باقية الى يومنا هذا ، إضافة الى كونهم عنصراً مهماً من عناصر القوة بهم تسترجع الحقوق ، وتحفظ شرف القبائل ، والأهم إنهم أحد أسباب كسب الرزق والعيش الكريم ، ورغم حب الرجل العربي لأولاده حباً كبيراً ، إلا إن القرآن والتأريخ سجّل لنا بعض التصرفات القبيحة والتي يندى لها الجبين ، إذ خالفوا فيها الفطرة والعقل ، فأقدموا على قتل أولادهم لإسباب مبنية على أوهام وتخيلات لا تمت للمنطق بصلة متعذرين بأعذار أقبح وأوقح من الفعل نفسه ، ومن جملة الأسباب التي تذرعوا بها :

١. القتل مخافة الفقر والمجاعة .

جاء صريح القرآن في ذكر هذا السبب في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا اوْلَادَكُم خَشْيَةَ املَاقٍ نَحْنُ نَرزقُهُم وَاياكُم انَّ قَتْلَهُم كَانَ خِطْئًا كَبِيرا** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوا اتْلُ ما حَرم ربُّكُم عَلَيكُم الَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وبِالْوالِدَينِ احْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا اوْلَادَكُم منْ املَاقٍ نَحْنُ نَرزقُكُم وَاياهُم ...**﴾ [٢] ، ولفظ الأولاد عام يشمل الذكور والإناث على حد سواء [٣] ، وهذا ما بينته آيات أُخر في مواضع ثانية من الكتاب العزيز في قوله تعالى : ﴿ **والْوالِدَاتُ يرضِعْنَ اوْلَادَهُنَّ حَولَينِ كَاملَينِ ...**﴾ [٤] .

فالرضاعة عامة لكلا الجنسين ، وقوله تعالى : ﴿ **يوصِيكُم اللَّهُ فِي اوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مثْلُ حَظِّ الانثَيينِ**﴾ [٥] ومن خلال ما سبق يتضح إن الأولاد تشمل الذكور والإناث وقد كان بعض العرب يقتلون أولادهم من أصلابهم نتيجة الخوف من الأملاق ، والأملاق في صريح الآية هو الفقر [٦] ، فالقرآن هنا يخبر عن عمل جاهلي يصور أبشع صور الإنحراف لما يحمله من معاني القسوة الأبوية والجهل المركب ، هذا

---

(١) الاسراء : ٣١.
(٢) الانعام : ١٥١.
(٣) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٤٦٧/٣ مادة (ولد) .
(٤) البقرة : ٢٣٣.
(٥) النساء : ١١.
(٦) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت:٧١١هـ) : ٣٤٨/١٠ مادة (ملق) .

غير سوء الظن بالله ، فعندما كانت تلوح اليهم بوادر الفقر عمِدوا الى قتل أولادهم خوفاً من ذهاب العزة والكرامة [١] ، فأي منطق وأي عقل يدعوا الى الإقدام على هكذا فعل مشين ؟!

ويبدو إن واحد من الأسباب المرجحة لوجود مثل هكذا إعتقاد وهمي ايّ : خوف الفقر حاضراً ومستقبلاً هو طبيعة شبه الجزيرة العربية الصحراوية ، حيث إن غالبية سكانها يعتمدون في حياتهم على الرعي والصيد ، وكونها أرض صحراء لا بحار ولا أنهار جارية فيها [٢] ، ممّا إنعكس ذلك على الناس وعرض حياتهم للمجاعة بسبب إنحباس الأمطار وتوفر نسبة قليلة من المياه ، إضافة الى عوامل أخرى أمثال تردي الوضع الأقتصادي وحصر التجارة في أفراد معينين ساهمت بشكل وبآخر في صعوبة التربية وصعوبة تحمل إطعام الأولاد ، فكان لقتلهم وسيلة من وسائل تخفيف العبء عن كاهل الآباء والتخلص من مسؤوليتهم .

٢- قتل الأولاد تقرباً للآلهة .

صرحت سورة الأنعام بذكر سبب القتل هذا في قوله تعالى : ﴿ **وكَذٰلِكَ زينَ لِكَثِير منَ الْمشْرِكِينَ قَتْلَ اولَادِهِم شُركَاؤُهُم لِيردُوهُم ولِيلْبِسُوا عَلَيهِم دِينَهُم ولَو شَاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرهُم وما يفْتَرونَ** ﴾ [٣] ، حيث زُين اليهم عملهم وتصوروا إنهم يتقربون به الى الآلهة ، وربما تعود جذور قربان الأولاد الى أعراف وتقاليد قديمة من شعوب وأُمم مجاورة ، أو قد تكون إمتداد لقربان نبي الله ابراهيم (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ **فَلَما بَلَغَ معَهُ السَّعْي قَالَ يا بُنَي انِّي ارىٰ فِي الْمنَام انِّي اذْبَحُكَ فَانْظُر ماذَا تَرىٰ قَالَ يا ابَتِ افْعَلْ ما تُؤْمر سَتَجِدُنِي انْ شَاءَ اللَّهُ منَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٤] ، إلا إن توالي العصور على الحادثة وإنحراف وإنحراف الناس عن خط التوحيد وتحوير قضية ذبح إسماعيل وتداخل المعتقدات الصحية مع الأساطير فضلاً عن نسج الخيال ساهمت بشكل وبآخر في تولد عادات بعيدة كل البعد عن الفطرة والرحمة ، وكون القرآن لا يترك شاردة ولا واردة من الإنحراف إلا وقد تطرق إليها وعالجها ، فقد أشار الى واحدة من الأسباب التي جعلت من البعض يضحي بأبناءه كرهاً أو عرفاناً وشكرا ، وهو المعتقد الديني المحرف

([١]) ينظر : الميزان ، الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) : ٨٥/١٣.

([٢]) ينظر : صورة الارض ، محمد بن حوقل (ت:٣٦٧هـ) : ٢٧/١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٨م ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ابو عبد الله محمد المقدسي (ت:٣٨٠هـ) : ٩٥، مكتبة مدبولي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٩١م – ١٤١١هـ .

([٣]) الانعام : ١٣٧.

([٤]) الصافات : ١٠٢.

الذي دفع بالعرب في العصر الجاهلي الى تقديم أولادهم قرابين للآلهة ، وكان تقديم القربان جزء لا يتجزأ من الشعائر الدينية لا تتم العبادة إلا به وخصوصا إن العربي القديم يسير في بحر الأدراكات الحسية ، إذ أنه لا يدرك إلا المحسوس والملموس فقط .

وهذا ما يصدقه الدكتور جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) في قوله : ((إن عقلية الانسان القديم وعقلية كل بدائي تقوم على فهم الإدراك الحسي في الدرجة الأولى ، كان للهدايا وللنذور والقرابين والشعائر العملية المقام الأول في دياناته لانها ناحية ملموسة تراها الأعين وتدركها الأبصار ، وفيها تضحية تقنع المتدين التقي المتقرب بها الى آلهته بانه قد قدم شيئا ثمينا لها ، وانها لذلك سترضى عنه حتما ، لإنه قد آثرها على نفسه فقدم اليها أعز الاشياء واغلاها)) [١] ، لذلك كانت من الشعائر الواجبة على الجميع على حدٍ سواء الفقراء والأغنياء ومن خلال ما تقدم نستنتج إن تقديم القربان البشري من قبل الأغنياء إنما ليزداد غنى وثراء ، ويبارك فيما بقي من أمواله أمّا الفقير فيظن انه ستتحسن أحواله المعيشية [٢] .

([١]) المفصّل : ١٤٥/٦.

([٢]) ينظر : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك : ٤١، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م .

المطلب الثاني : الـوأد

للوأد طرق وأسباب عديدة ساهمت في بروز هكذا إنحراف ، وقبل التطرق الى ذكر الأسباب لا بد من التعريف بالوأد عند أهل اللغة ، الكلمة من الواو والهمزة والدال ((تدل على اثقال شيء بشيء)) [١] ، إذ يقال واده ايّ : أثقله [٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُما وهُو الْعَلِي الْعَظِيم** ﴾ [٣] ، بمعنى : لا يثقله [٤] ، ويقال وأد إبنته : ايّ : أثقلها بالتراب [٥] ، والموءودة من الوأد وهي : (أسم يقع لمن كانت العرب تدفنها حية من بناتها) [٦] ، وعلى أثر ما تقدم نرى إن الوأد هو قتل الأولاد الأحياء بطريقة الدفن تحت الارض ، وعملية الوأد ليست مخصصة بالإناث فقط ، وإنما تشمل الذكور من الأولاد ، وهذا ما سنحاول إثباته لاحقاً ، وللوأد طرق متعددة ، أمّا تدفن حية أو ترمى في بئر ويهيل عليها التراب حتى تتغطى تماما [٧] ، وقد نُقل الينا إن الرجل منهم : ((اذا ولدت له بنت فأراد إن يستحييها البسها جبة من صوف أو شعر ترعى الأبل والغنم في البداية ،إن اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها الـتراب حتى تسـوي البئر بالأرض)) [٨] ، كما إن البنت تدفن مباشرة بعد الولادة وهي حية ، فقد روي عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) إنه قال : ((كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفـرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة واذا ولدت ولدا حبسته)) [٩] ، أمّا بعض الأقوال في إن البنت تدفع من شاهق حتى يتمزق جسدها وتموت ، أو ترمى في بحر تغرق وغيرها من أساليب القتل التي عدوها ضمن الوأد ، فان الباحثة تراها إنما هي

---

(١) معجم مقايس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٧٨/٦ مادة (وأد) .
(٢) المصباح المنير ، الفيومي (ت:٧٧٠هـ) : ٦٧٤/٢ مادة (و.ء.د).
(٣) البقرة : ٢٥٥.
(٤) ينظر : تفسير القران العظيم ، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ١/ ٥٢١.
(٥) ينظر : اساس البلاغة ، جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) : ٣١٦/٢، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
(٦) ينظر : مجمع الامثال ، ابو الفضل احمد الميداني (ت:٥١٨هـ) : ٥١٦/١، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
(٧) ينظر : الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القران وتفسيره ، ابو محمد مكي القيرواني (ت:٤٣٧هـ) : ٨٠٨٢/١٢، تح : جامعة الشارقة ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
(٨) بلوغ الارب ، الالوسي البغدادي (ت:١٣٤٢هـ) : ٤٣/٣.
(٩) المصدر نفسه .

عمليات قتل مخافة الفقر أو القرابين وليس لها علاقة بالوأد ، فقتل الأولاد الوارد في القرآن شيء والوأد شيء آخر .

وجاء صريح القران يذكر صفة الموءودة في قوله تعالى: ﴿ **واذَا الْموءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِاي ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [١] هذه العادة الناتجة عن عقيدة فاسدة ، وفكر ضيق محدود ، على الرغم من إن مصادر التأريخ تذكر تذكر إنها لم تكن شائعة عند العرب بصورة عامة [٢] ، حتى حدّها البعض في قبيلة واحدة أو قبيلتين ، كما عدها عند أشخاص معينين ، وإستشهدوا على ذلك بحكاية قيس بن عاصم [٣] ، الحكاية المشهورة في التاريخ عندما تعرضت قبيلته للسبي من قبل النعمان بن المنذر [٤] ، وسبيت إبنته مع نساء القبيلة وعندما أقر الصلح عادت كل نساء القبيلة إلا إبنة قيس التي فضلت سابيها على والدها ، وهذه تُعد إهانة للقبيلة عند العرب ، فأقسم إنه سيئد كل بنت تولد له ومنها أصبح الوأد سنّة عند بعض العرب [٥] .

وبناءً على ذلك فإن هذا الفعل ولّدَ تَخوف لدى البعض من البنات ، فكان يئدها خوفا من الحاق العار به وبقبيلته ، لذلك أمسى العربي يغمره الحزن عندما تولد له بنت ، وقد وصف القران الكريم حالته في قوله تعالى : ﴿ **واذَا بُشِّر احَدُهُم بِما ضَربَ لِلرحْمٰنِ مثَلًا ظَلَّ وجْهُهُ مسْودًّا وهُو كَظِيم** ﴾ [٦] ، والكظيم : الرجل الذي أخذ الغم بنفسه ، وهو مكروب [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **واذَا بُشِّر احَدُهُم بِالانثَىٰ ظَلَّ وجْهُهُ مسْودًّا وهُو كَظِيم ۞ يتَوارىٰ منَ الْقَوم منْ سُوءِ ما بُشِّر بِهِ ايمسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ام يدُسُّهُ فِي التُّرابِ الَا سَاءَ ما يحْكُمونَ** ﴾ [٨] ، وكانه خزي أو عار لحق به عندما ولدت له بنتا فيصبح على حيرة من أمره بين الوأد والإمساك ، وهنا سأتطرق الى ذكر حادثة تبين التردد الذي يحصل للوالد عند ولادة البنت ، فقد نُقل الأخباريون عن رجل يدعى أبو حمزة الضبيّ الذي هجر زوجته عندما وضعت أنثى ، وبات يبيت عند جيرانه ، حتى مر ذات يوم على دار فسمع زوجته تنشد لإبنتها الصغيرة وتقول :

---

(١) التكوير : ٨-٩.
(٢) ينظر : محاسن التاويل ، القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) : ٤٥٨/٦.
(٣) ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابو الحسن عز الدين بن الاثير (ت:٦٣٠هـ) : ٤١١/٤.
(٤) هو احد ملوك الحيرة (ت٦٠٨م) ،ينظر : الاشتقاق ، ابو بكر محمد بن دريد الازدي (ت:٣٢١هـ) : ٣٧٧، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
(٥) ينظر : بلوغ الارب ، الالوسي البغدادي (ت:١٣٤٢هـ) : ٤٣/٣.
(٦) الزخرف : ١٧.
(٧) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) : ٣٦٣/٣٣.
(٨) النحل : ٥٨-٥٩.

ما لابي حمزة لا ياتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان الا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في ايدينا

وانما ناخذ ما اعطينا ... ونحن كالارض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا .

فأسف الرجل على ما قام به وعاد الى عقله ، وقُبل راس زوجته وإبنته [١] ، ومثل هكذا حالات إنما هي نتاج تفكير مجتمع قائم على شن الثورات والغزوات ، فيكون حزنه لضعف الإنثى كونها كائن ضعيف مستهلك لا تنفع في المشاركة في المغازي والحروب ، وخوفا عليها من أن تقع تحت رحمة الأعداء، ومن خلال ما تقدمه كتب التأريخ تستنتج الى إن الوأد نشأ ومورس عند بعض العرب لإسباب عديدة منها :

اولا – الوأد مخافة الوقوع في الأسر .

كون البيئة العربية في غارات وحروب مستمرة فان الرجل العربي يخشى على إبنته إذا وقعت في الأسر فتصبح سبية بيد قبائل أخرى ، فيقدم على دفنها عند ولادتها خوفاً وحميةٌ وغيرة ، لإن ظروف الحروب تتطلب أخذ النساء والفتيات سبايا للقهر ، فيقدم الآباء على قتل البنات خصوصاً إن السبي عند العرب قديماً يعتبر علامة للعار ومن تسبي من فتيات القبيلة تجلب العار لقبيلتها ، وما يمكن معرفته إن الوأد لا يختص بالطبقات الفقيرة في القبيلة ، بل يشملها جميعاً الفقيرة والغنية ، ولا سيما إن في الحروب يقصدون الحرائر غالباً دون الإماء [٢] ، وهذا دليل آخر على من جعل الوأد وقتل الأولاد مخافة الفاقة في زاوية واحدة فالقتل الذي أشار اليه القرآن له أسبابه التي ذكرها صريحا والوأد له أسباب ودوافع أخرى غيرها حملتها الينا بطون كتب التأريخ والحديث ، لذلك كان لولادة البنت ثقل عند البعض من العرب خوفاً من طبيعة المجتمع العربي وبهذا فقد قيل : ((كَرِهَتْ العرب الْبَنَاتِ ووادَتْهُنَّ اشْفَاقًا عَلَيهِنَّ وحَمِيةً لَهُنَّ منْ انْ يتَبَذَّلَهُنَّ اللِّئَام)) [٣] .

---

(١) ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ (ت:٥٠٥هـ) : ١٦٥/١، دار الهلال ، بيروت – لبنان و ١٤٢٣هـ .
(٢) ينظر : المراة في الشعر الجاهلي ، الدكتور علي الهاشمي : ٢٢٠، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠م .
(٣) ادب الدنيا والدين ، ابو الحسن الماوردي (ت:٤٥٠هـ) : ١٦٠، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م .

ثانيا – الوأد بسبب عاهة خَلقية .

وقد نقلت لنا المصادر التأريخية إن العيب الخَلقي سببٌ من أسباب الوأد ، إذ إن العرب وأدوا البنت السليمة مخافة سبي الحروب والوقوع بيد الأعداء ، كونها كائناً ضعيفاً لا يقدر على الدفاع والمقاومة فكيف بمن ولدت بمشكلة خَلقية ؟ لذا فقد تم دفن الكسحاء [١] ، البرشاء [٢] ، الزرقاء [٣] ، الشيماء [٤] ، وصفات أخرى يتشائم منها العرب .

ونرى ان الوأد لا يقتصر على البنات فقط وإنما يشمل الأولاد الذكور ايضاً ، ونخالف به من أطلق مفردة الوأد على الأنثى خاصة للسبب أعلاه فالعاهة الخَلقية لا تختص بالأنثى فقط وكثيراً ما يولد ذكور ضعفاء وذوي إعاقات مختلفة ، وبالتالي كائن مستهلك كالأنثى لا يستفيد منه المجتمع العربي في حروبه غزواته ولا في سلمه في الرعي وغيرها ، حتى نُقل عنهم إن بني عبس [٥] يتشائمون بالذكور التي تولد بعاهات خلقية [٦].

ومن خلال ما تقدم ترى الباحثة إن الموءودة لفظ عام يطلق على النفس المقتولة ، ومن خلال مراجعة التعريفات اللغوية والإصطلاحية للوأد والنفس والتي تطلق على الروح والجسد معاً [٧] ، وعلى ذات الإنسان [٨] قال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [٩] ولفظة النفس تطلق على كل انسان ذكراً أم أنثى [١٠] ، ولكن تخاطب بصيغة الأنثى ، وكذلك لفظ الموءودة فإنه أسم

---

(١) اي : العرجاء ، ينظر : مختار الصحاح ، الرازي : ٢٦٩/١ (مادة كسح) .
(٢) اي : المصابة بالجذام ، ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) : ٢١٩/١ مادة (برش) .
(٣) اي : العمياء ، ينظر : القاموس المحيط ، الفيروزابادي (ت:٨١٧هـ) : ١٣٨/١ مادة (زرق) .
(٤) اي : من كثرت ببدنها الشامات ، ينظر : المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى واخرون : ٥٠٤/١ مادة (شيم) .
(٥) ينظر : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، ابو العباس احمد القلقشندي (ت:٨٢١هـ) : ٣٤٤_٣٤٥، تح : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبنانيين ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
(٦) ينظر : قبيلة عبس ودورها في التاريخ العربي الاسلامي ، نهلة عبار لازم الكناني : ١٤٢، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة البصرة .
(٧) ينظر : الصحاح ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : ٩٨٤/٣ مادة (نفس) ، مختار الصحاح ، الرازي (ت:٦٦٦هـ) : ٣١٦مادة (نفس) .
(٨) ينظر : لسان العرب ، ابم منظور (ت:٧١١هـ) : ٢٣٤/٦-٢٣٥ مادة (نفس) .
(٩) الزمر :٥٦ .
(١٠) ينظر : معجم العين ،الفراهيدي (ت:١٧٤هـ) : ٢٧٠/٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري (ت:٣٩٣هـ) : مادة (نفس) .

جنس [1] ، والجنس هنا يكون للذكر والأنثى إذن فهي دلالة على جسد الإنسان وروحه ، وهذا هو المراد المراد إن الموءودة هي النفس المقتولة دفناً.

ثالثاً – إلحاق البنات بالله مع الملائكة .

من المعتقدات الجوفاء عند بعض العرب هي إن الإناث بنات الله ! وما وأدهن إلا لإلحاقهن به تعالى على حسب ما يزعمون ! [2] ، وقد أشار النص الكريم الى هذه النظرية الغريبة بقوله الكريم : ﴿ **الَكُم الذَّكَر ولَهُ الانثَىٰ** ﴾ [3] ، فهم ينسبون الأُنثى لله ولا ينسبونها لهم ، لإنهم لا يرضون بذلك النسب ، فالأُنثى حمل ثقيل عليهم ، كما إنهم كرهوا ولادة الأُنثى فيحاولون التمسك بأي عذر مهما كان ساذجاً وغير منطقيا حتى يبرروا أفعالهم ، وهناك من يذهب الى إن فعلهم هذا إنما لإعتقادهم إن الأُنثى واهبة الحياة مثل الآلهة ، فهي تستمد صفة هبة الحياة من عندها ، وهذ ما أكده أحإد الباحثين بقوله : ((انهم جعلوا الرب واهب الحياة خالقا ، ولما راوا الانثى حاملا واضعا قرنوها بالرب ، واعتقدوا في كونها تستمد قوتها منه وتهب الحياة مثله ،فاختارها بنت له)) [4] ، فما منطقهم ودعوتهم ، الا كذب وإفتراء وكيف عرفوا إن الملائكة إناثا وجعلوها أخوات بناتهم ؟! قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **فَاسْتَفْتِهِم الِربِّكَ الْبَنَاتُ ولَهُم الْبَنُونَ ۞ ام خَلَقْنَا الْملَائِكَةَ انَاثًا وهُم شَاهِدُونَ ۞ الَا انَّهُم منْ افْكِهِم لَيقُولُونَ ۞ ولَدَ اللَّهُ وانَّهُم لَكَاذِبُونَ ۞ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۞ ما لَكُم كَيفَ تَحْكُمونَ** ﴾ [5] .

رابعـاً - حفاظـاً على المكانة الإجتماعيـة .

([1]) ينظر : البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ) : ٤١٦/١٠، تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ .

([2]) ينظر : تفسير القران العزيز ، ابن ابي زمين المالكي (ت:٣٩٩هـ) : ٩٩/٥، تح : ابو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، مفاتيح الغيب ، الرازي (ت:٦٠٦هـ) : ٦٦/٣١، الجامع لاحكام القران ، القرطبي (ت:٦٧١هـ) : ٢٣٢/١٩، اللباب في علوم الكتاب ، عمر سراج الدين النعماني (ت:٨٨٠هـ) : ١٨١/٢٠، تح : عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

([3]) النجم : ٢١.

([4]) القربان في الجاهلية والاسلام ، وحيد السعفي :٢٤، دار الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

([5]) الصافات : ١٤٩-١٥٤.

إن الغرور والكبرياء الذي يمتاز به العربي دفعه الى قتل إبنته وفلذة كبده خوفاً من أن تكبر وتتزوج ما هو دون مكانته الإجتماعية ودون مستواه الإقتصادي ، فيهتز مقامه عند القبيلة [١] لإن التكافؤ في الزواج عرفًا معروفاً عند العرب ، فالأغنياء لا يتزوجون إلا أغنياء مثلهم ورئيس القبيلة لا يقترن إلا مع أشراف القبائل ورؤسائها وهكذا ، فإن الأصل والحسب والنسب فوق كل شيء عندهم ، حتى روي لنا إن واحدة من أسباب إندلاع حرب ذي قار بين العرب والفرس [٢] ، هو عدم تزويج النعمان بن المنذر إبنته لملك الفرس آنذاك كسرى [٣] ، إذ أنه يرى إن كسرى غير كفوء لمصاهرته ، فآثره بنفسه على مبدأ التكافؤ في المصاهرة ، فهذه الحادثة وغيرها تبين لنا أهمية المكانة الإجتماعية عند العرب حتى إنه فضّل القبر على ايّ صهر، ولهذا السبب نجد إنهم كنّوا الصهر بالقبر ، فعندما كانوا يئدون بناتهم كانوا يقولون ((زوجناهن من القبر)) [٤] ، وفي هذا الصدد يقول الفرزدق [٥] :

تَروحْ يا لَقِيطُ فَانَّ لَيلَي ... الى حَسَبٍ مبَاءتُهُ منيفُ

وفِي الاعْياصِ اصْهَار للِيلَي ... وفِي قَبْر لَهَا صِهْر شَرِيفُ [٦] .

وهذا إن دل على شيء دل على الجهل المطبق عند العربي وتمسكه بعاداته وتقاليده أضف الى صفة العناد واللجاجة ، والتي جعلت من المرأة والبنت كائن تابع له متحكم بحياتها ومماتها ومصيرها ، وعندما جاء الإسلام سعى بكل الطرق لهدمه وكسر الطبقية فالإنسان شبيه وأخو الإنسان والناس سواسية أمام الله إلا من إتقى ، كما جاء في الاية الكريمة : **﴿ يا ايهَا النَّاسُ انَّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَر وانثَىٰ وجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا انَّ اكْرمكُم عِندَ اللَّهِ اتْقَاكُم انَّ اللَّهَ عَلِيم خَبِير ﴾** [٧] .

([١]) ينظر : الانوار النعمانية ، نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ) : ٣٠/٣، مؤسسة مطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

([٢]) ينظر : الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني (ت:٣٥٦هـ) : ٢٢٣/٢٤، دار احياء التراث العربي .

([٣]) ينظر : تاريخ الرسل والملوك ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٧٦/٢، دار التراث ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ .

([٤]) المحكم والمحيط الاعظم ، ابو الحسن علي بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ) : ٢٠٦/٤، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٢١هـ - ٢٠٠٠م .

([٥]) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري من ابرز شعراء صدر الاسلام والفرزدق لقبه توفي سنة ١١٠هـ ، ، ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ٢٦٥/٩.

([٦]) الوحشيات وهي الحماسة الصغرى ، ابو تمام الشاعر (ت:٢٣١هـ) : ٢٢، تح : عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط٣ .

([٧]) الحجرات : ١٣.

خامساً – الوأد نتيجة العلاقات الغير شرعية أو نكاح الجواري .

حيث عمِد البعض على وأد بناتهم خاصة اللاتي ولِدن من جواريهم أو من علاقات غير شرعية مخافة الفضيحة والعار ، وهذا ما تطرق اليه أحد الباحثين حيث قال : ((قد يئدون البنت إذا ولدت من زواج غير شرعي بالنسبة للقواعد المرعية)) [١] ، أمّا الولد ، فأحيانا يتركونه للحاجة اليه عند إشتداد المعارك وتنقل لنا المصادر ما حدث مع الشاعر عنترة بن شداد العبسي وهو ابن جارية ، وقد وصف حالهم قائلاً

ينادونَني في السِلم يا ابنَ زبيبَةٍ وعِندَ صِدام الخَيلِ يا ابنَ الأطايبِ [٢] .

وهذا ما كان معروفاً عند العرب في أنكحتهم غير الشرعية مع الجواري والإماء والنساء المسبيات وغيرها وقد تطرقنا الى ذكرها في مبحث الزواج .

ومن خلال ما تقدم نبين إن قتل الأولاد يشترك مع الوأد في كونهما يقصدان الذكور والإناث معاً ، إلا أن أسبابهما قد تختلف ، كون أسباب قتل الأولاد علنية معروفة لا تحتاج الى تكتيم الجريمة ولا تبرير فعلها مثل الفقر ، بل واحياناً يكون القتل بقصد أمام الملأ مثل القربان ، أمّا الوأد فغالباً ما يكون بطريقة خفية ويصحبه التردد ، وهذا واضح من خلال الآيات التي تحدثت عن البنت ، و يعود ذلك للأسباب التي دفعت الآباء للوأد ، لإن طبيعة الإنسان مهما فعل من أفعال قبيحة ومشينة يحاول دائماً الظهور بمظهر الحسن والكمال أمام مجتمعه ، وبالتالي فيعمد الى إخفاء جريمته بطريقة صامتة مثل الوأد .

---

(١) المراة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي : ٢٣١.

(٢) ديوان عنترة ، عنترة بن شداد العبسي (ت:٦٠٨م) :١٧، مطبعة الاداب ، بيروت – لبنان ، ١٨٩٣م .

المطلب الثالث : معالجـة إنحراف الوأد وقتل الأولاد

لم يترك القرآن الكريم سلوكاً منحرفاً في الجاهلية ، إلا وتم معالجته ، حتى وإن كان إنتشاره محصوراً في فئة معينة ، لإن القرآن كتاب إصلاح أراد الله من خلاله بناء مجتمع صحيح سليم يليق بالإنسان ، وقتل الأولاد بأي طريقة كانت وتحت ايّ مسمّى ، وبدافع ايّ سبب واحدة من المشاكل المهمة التي عالجها باكراً في العهد المكي ، كونها قضية حساسة لا تتحمل التأخير ، وكون الطفل إنساناً مخلوقاً له حق الحياة وواجب على الآباء حفظه ورعايته وحمايته وتوفير الأمن له ، كما إنه البذرة الأساس التي ينشا منها المجتمع وعليه يعّول صلاحه وفساده ، إضافة الى هذا إن هناك سبباً آخر ساهم بشكل كبير في التخلص منه مبكراً ، وهو إن عمليتي القتل والوأد معاً كانت مبغوضة عند صاحب السليقة السليمة ، وإن الكثير من القبائل لا تعمل بها وقد قيل عن عادة الوأد : ((لم تكن موجودة الا في قبيلتين اثنتين من ثلاثمائة وستين قبيلة، وهي قلة نادرة ضئيلة، وكان اصحاب هذه العادات السيئة الشاذة لا يحترمون، بل يوصمون دائما بالعار والصغار)) [١] ، ولهذا نجد الكثير من العرب يبغض هذا الفعل الشنيع ، بل وحمى الأولاد من الوأد كما يفتخر الشاعر الفرزدق بأجداده أمثال صعصعة بن ناجية [٢] ، قائلا :

ومنّا الذي احيا الوئيد وغالبٌ وعمرو ومنا حاجب والأقارعُ [٣] .

وينقل عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام كان يشتري حياة البنات من آبائهن ، حتى قيل عنه في رواية الفرزدق : إنه اشترى ((اثنتين وتسعين موءودة)) [٤] ، فوجود مثل هكذا حالات ، حيث إن المرء ينفق من أمواله في سبيل إنقاذ حياة فتاة لا تربطه صلة بها ، دليل على إن قضية الوأد قضية متنازع عليها قديماً بين مؤيد ورافض ، فالوأد مبغوض عند الأحرار منهم وأصحاب الضمير الحي وغالبية شبه الجزيرة ترفضه رفضاً قاطعاً مما ساهم بشكل كبير في التخلص منها والقضاء عليها مبكراً ، ويؤيد هذا ما جاء

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، محمد الطيب النجار (ت:١٤١١هـ) : ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان :٦٦.

(٢) احد اشراف قبيلة تميم وكان يمنع واد البنات ، ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير (ت:٦٣٠هـ) : ٢٢/٣.

(٣) ديوان الفرزدق ، الفرزدق (ت:١١٠هـ) : ٤١٨/١، دار بيروت ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٤) امالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد ، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) : ٢٨٥/٢، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب "العربية ، ط١ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

عن أحد الباحثين نقلاً عن الميداني (ت: ٥١٨هـ) [١] : (إن الوأد قبيل ظهور الإسلام كاد على وشك الانقراض) [٢] ، فكانت بداية المعالجة فسي سورة التكوير بدايات الفترة المكية قال تعالى : ﴿ **واذَا الْموءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِاي ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [٣] ، إذ تطرق القرآن الكريم ، بالإخبار عن حالها يوم القيامة في محكمته الالهية العادلة ، وهذا يدل على بشاعة الفعل في الدنيا لإن سلب حياة إنسان صغيراً كان أمّ كبيراً من أقبح وأشنع الأفعال التي يقام بها لما لها من آثار نفسية ومادية ، وقد شبه القرآن الكريم قتل النفس الواحدة بقتل جميع الأنفس في الوجود حيث قال تعالى : ﴿ **انَّهُ من قَتَلَ نَفْسًا بِغَير نَفْسٍ او فَسَادٍ فِي الْارضِ فَكَانَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعًا ومنْ احْياهَا فَكَانَّما احْيا النَّاسَ جَميعًا** ﴾ [٤] ، وعند ملاحظة الآية الكريمة من سورة التكوير نجد عند المفسرين آراء وأقوال حول طبيعة السؤال ومن السائل ؟ والى من وجه السؤال ؟ ويعزى هذا التعدد الى تعدد أوجه القراءة فمنهم من قال : إن السؤال موجه من قبل الموءودة الى الآباء الوائدين أمام محكمة العدل تسألهم بأي إثم وجريمة قتلوها وسلبوا منها الحياة [٥] ، ورأي آخر يذهب الى إن السؤال موجه الى الآباء فيقال لهم : اين أولادكم الذين قتلتموهم ، وبأي ذنب ؟ [٦] ، كما في قوله تعالى : ﴿ **..واوفُوا بِالْعَهْدِ انَّ الْعَهْدَ كَانَ مسْئُولًا** ﴾ [٧] ، وهناك من قال : إن السؤال موجه من الموءودة الى الله ، أيّ كأنها تشتكي عند الله على وائديها ، ويؤيد هذا الرأي قول رسول الله محمّد : (صلى الله عليه واله وسلم) ((يجيء المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تشخب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، متعلقا بقاتله يقول : يا رب سَل هذا فيم قتلني)) [٨] .

ورأي يقول : إن السؤال موجه من الباري الى الموءودة أمام الوائدين توبيخاً لهم وتهويلاً على فعلتهم القبيحة ، فالسؤال لها أبلغ ، لإنه ليس سؤالاً إستفهامياً ، وإنما لتسجيل الموقف العادل في القضية ، كما

---

(١) ابو الفضل احمد اديبا فاضلا من اهل نيسابور ، ينظر : الانساب ، عبد الكريم السمعاني (ت:٥٦٢هـ) : ٥٢١، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي واخرون ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، ط١ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٢م .

(٢) المراة في الشعر الجاهلي ، الدكتور علي الهاشمي : ٢٣٠.

(٣) التكوير : ٨-٩.

(٤) المائدة : ٣٢.

(٥) ينظر : تفسير مقاتل ، مقاتل بن سليمان البلخي (ت:١٥٠هـ) : ٦٠٢/٤، تح : عبد الله محمود شحاته ، دار احياء التراث ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ، معاني القران ، الاخفش (ت:٨٣٠هـ) : ٥٦٨/٢، تح : الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

(٦) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القران ، ابو اسحاق الثعلبي (ت:٤٢٧هـ) :١٣٩/١٠، تح : ابي محمد بن عاشور ، دار احياء التراث "العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

(٧) الاسراء : ٣٤.

(٨) الامالي ، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) : ٢٨١/٢.

يذكر السيد فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) [١] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ **واذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مريم ءانْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وامي الٰهَينِ منْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [٢] .

فضلاً عن إن توجيه السؤال اليها في ذلك المشهد لإعطاها قيمتها ومكانتها ، وبيان إنها إنسان لها حق على عكس من وأدها من ذويها ، والزام الحجّة عليه وإضهار الجناية [٣] ، وفي هذا الصدد يقول السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٠هـ) : ((إن المسؤول بالحقيقة من قتل الموءودة ابوها الوائد لها لينتصف منه ، وينتقم لكن عُد المسؤول في الاية هي الموءودة نفسها فسئلت عن سبب قتلها لنوع من التعريض والتوبيخ لقاتلها وتوطئة لان تسال الله الانصاف لها من قاتلها ، حتى يسال عن قتلها فيؤخذ لها منه)) [٤] .

ورغم إن الآراء جميعها تتفق في وجود جاني ومجنى عليها وهي الموءودة ، إلا إننا نرى إن الرأي الأخير هو الأصوب والأقرب للصحة فالسؤال ، وموقف الحساب هناك ليس لمجرد الشكوى والعتاب وإنما للتهويل وحتمية أخذ الحقوق ، وحصول الجزاء ، كون قضية الوأد لا تتحمل الإحتمالات ، فالعدالة هي التي تقتص من الجاني يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **الْيوم تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لَا ظُلْم الْيوم انَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [٥] .

إن الطريقة التي إبتدا القران بالعلاج فيها تدعوا الى التفكر في حتمية حصول السؤال والجزاء وهذا الأسلوب الترهيبي يجعل من الإنسان يتراجع كثيراً عن أعماله التي كان يمارسها في الجاهلية ، ويتفكر في قرارة نفسه حول قضية لم يتطرق اليها أحد من قبل وشُرعت بشكل طبيعي ، وكأنها أمر طبيعي لا غبار عليه ولا إثم حتى غدت واحدة من عادات ومفاسد الجاهلية المعروفة والمقيتة والتي تميّز بين الذكور والإناث في حين إن الله جعلهم متساويين في الحقوق كونهما مخلوقين له قال تعالى : ﴿ **يا ايهَا النَّاسُ انَّا خَلَقْنَاكُم منْ ذَكَر وانْثَىٰ وجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا انَّ اكْرمكُم عِنْدَ اللَّهِ اتْقَاكُم انَّ اللَّهَ عَلِيم خَبِير** ﴾ [٦] ، كما إن الله وحده الذي يرزق من يشاء من الذكور أو الإناث ، لحكمة لا يعلمها إلا هو

---

(١) ينظر : من وحي القران : ٩٣/٢٤.
(٢) المائدة : ١١٦.
(٣) ينظر : تاويلات اهل السنة ، محمد ابو منصور الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) : ٤٣٢/١٠، تح : الدكتور مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ ، الامثل ، ناصر الشيرازي : ٣٣٠/١٩.
(٤) الميزان : ٢١٥/٢٠.
(٥) غافر : ١٧.
(٦) الحجرات : ١٣.

وليس من حق أيّ كائن إن يفسد ويهلك نعم الله قال تعالى : ﴿ **لِلَّهِ ملْكُ السَّماواتِ والْارضِ يخْلُقُ ما يشَاءُ يهَبُ لِمنْ يشَاءُ انَاثًا ويهَبُ لِمنْ يشَاءُ الذُّكُور** ﴾ [1] .

ثم يوضح الله عز –وجل النهي عن قتل النفس من خلال الأخبار عن صفات المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ لَا يدْعُونَ معَ اللَّهِ الٰهًا اخَر ولَا يقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرم اللَّهُ الَّا بِالْحَقِّ ولَا يزنُونَ ومنْ يفْعَلْ ذٰلِكَ يلْقَ اثَاما** ﴾ [2] . والموءودة ضمن النفوس التي حرمها الله عز – وجل ، فأي ذنب اقترفت حتى تُغيّب عن الحياة التي وهبها الله لها ، فالآية تبين إن المؤمن الحقيقي لا يقترف مثل هذه الأعمال ، وقد ساواها الباري مع الشرك والزنى ومن يفعل ذلك يلقى آثاما ، والإثم يعاقب عليه .

ليتطرق القرآن بعدها الى علاج عقيدة وهمية ، ألا وهي القتل مخافة الفقر قال تعالى : ﴿ **ولَا تَقْتُلُوا اولَادكُم خَشْيةَ املَاقٍ نَحْنُ نَرزقُهُم واياكُم انَّ قَتْلَهُم كَانَ خِطْئًا كَبِيرا** ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ **ولَا تَقْتُلُوا اولَادكُم منْ املَاقٍ نَحْنُ نَرزقُكُم واياهُم ..** ﴾ [4] ، إذ نهى الله سبحانه وتعالى نهياً صريحاً بعدم الإقدام على قتل الأولاد بسبب أوهام غير واقعية مبينا إن الرزق وأسباب العيش بيد الله ، فما على الإنسان إلا السعي لا إن يقعد جليس داره وينتظر أن يأتيه الرزق الى باب بيته قال تعالى : ﴿ **هُو الَّذِي جَعَلَ لَكُم الْارضَ ذَلُولًا فَامشُوا فِي منَاكِبِهَا وكُلُوا منْ رزقِهِ والَيهِ النُّشُور** ﴾ [5] ، وعلى هذا فقد أشار القرآن في آيات عديدة وفي مواضع أخرى الى إن الله هو الرزاق والمعطي منها قوله : ﴿ **يا ايهَا النَّاسُ اذْكُروا نِعْمتَ اللَّهِ عَلَيكُم هَلْ منْ خَالِقٍ غَير اللَّهِ يرزقُكُم منَ السَّماءِ والْارضِ لَا الٰهَ الَّا هُو فَانَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ **وامر اهْلَكَ بِالصَّلَاةِ واصْطَبِر عَلَيهَا لَا نَسْالُكَ رزقًا نَحْنُ نَرزقُكَ والْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ** ﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يرزقُ منْ يشَاءُ وهُو الْقَوي الْعَزِيز** ﴾ [8] .

([1]) الشورى : ٤٩.
([2]) الرقان : ٦٨.
([3]) الاسراء : ٣١.
([4]) الانعام : ١٥١.
([5]) الملك : ١٥.
([6]) فاطر : ٣.
([7]) طه : ١٣٢.
([8]) الشورى : ١٩.

وقوله تعالى : ﴿ **وفِي السَّماءِ رزقُكُم وما تُوعَدُونَ** ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ **انَّ اللَّهَ هُو الرزاقُ ذُو الْقُوةِ الْمتِينُ** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم ثُم رزقَكُم ثُم يميتُكُم ثُم يحْييكُم هَلْ منْ شُركَائِكُم منْ يفْعَلُ منْ ذَٰلِكُم منْ شَيءٍ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ عَما يشْركُونَ** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **لِيجْزِيهُم اللَّهُ احْسَنَ ما عَملُوا ويزيدَهُم منْ فَضْلِهِ واللَّهُ يرزقُ منْ يشَاءُ بِغَير حِسَابٍ** ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ **.. وانَّ اللَّهَ لَهُو خَير الرازِقِينَ** ﴾ [٥] .

وقد بيّن الله لهم إن قتلهم ﴿ **كَانَ خِطْئًا كَبِيرا** ﴾ أيّ : إثماً وإثماً كبيرا ، والخِطأ هنا مرادف الخطيئة التي يتعمدها المرء دون مبرر [٦] ، فدلالة الخِطأ تقتضي الوقوع في الإثم في العمل المنحرف ، ولا تفيد ذلك في لفظ الخطأ ، وهو العمل الذي يحصل سهوا أو عرضاً من غير قصد [٧] ، ومن عظم هذا الذنب فقد فقد نقل عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) [٨] إنه قال : (جاء رجل الى النبي(صلى الله عليه واله وسلم) فقال يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : (ان تجعل لله ندا وهو خالقك) ، ثم قال : يا رسول الله ثُم أي ؟ قال : (ان تزني بحليلة جارك) ثُم قال : ثُم اي ؟ قال : ((ان تقتل ولدك مخافة ان يطْعَم معك))[٩] ، ومن لطائف آيتي الإسراء والأنعام أنه في سورة الأنعام ومن خلال التعبير القرآني يبين إن الفقر موجود والأب ضعيف الحال قبل إن يأتي مولوده ، فالخطاب موجه للأب الفقير .

أمّا في سورة الإسراء في قوله : ﴿ **خَشْيةَ املَاقٍ** ﴾ ، فأن الأب غير فقير ، إلا أنه يخشى وقوعه بالفقر في المستقبل ، فيقدم على قتل أولاده ، فالفقر غير حاصل والخطاب في الآية موجه الى الأب الذي يملك

---

(١) الذاريات : ٢٢.
(٢) الذاريات : ٥٨.
(٣) الروم : ٤٠.
(٤) النور : ٣٨.
(٥) الحج : ٥٨.
(٦) ينظر : من وحي القران ، فضل الله (ت:١٤٣٢هـ) : ٩٧/١٤.
(٧) ينظر : النكت والعيون ، الماوردي (ت:٤٥٠هـ) : ٢٤٠/٣.
(٨) ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير (ت:٦٣٠هـ) : ٣/ ٣٨١.
(٩) ينظر : بحر العلوم ، السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) : ٣١٠/٢.

قوت يومه [1] ، ويمكن القول إن هذا التصور والإعتقاد ما هو إلا نتيجة الوضع الأقتصادي السيء والمتقلب عند العرب وفي الآيتين الكريمتين إطمئنان بأن الله هو المسؤول عن رعايته ورزقه ، فعطاءه لا ينتهي ، خزائنه لا تنفذ قال تعالى : ﴿ **وِلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّماواتِ والْارضِ** ﴾ [2] وعليه فعليهم إن يشعروا بدوام وجوده في قلوبهم ، ويلقوا الأمل عليه .

أمّا مسألة قتل الأولاد قرباناً للآلهة ، كما في النص المبارك : ﴿ **وكَذٰلِكَ زينَ لِكَثِير منَ الْمشْرِكِينَ قَتْلَ اولَادِهِم شُرَكَاؤُهُم لِيردُوهُم ولِيلْبِسُوا عَلَيهِم دِينَهُم ولَو شَاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرهُم وما يفْتَرونَ** ﴾ [3] ، فيمكن القول إن هذا الفعل ربما يكون إمتداد لميراث الأمم المجاورة والسابقة فقد كانت تقتل آبنائها قرباناً ، فضلاً عن شدة تعلق العرب بأصنامهم أو خوف من حصول الأذى منها ومن غضبها ، كما في الأساطر القديمة تقدم القرابين لتهدئة الآلهة عندما تغضب وتثور ، وهذه الأساطير أثرت بشكل أو بآخر قليلاً أو كثيراً على عقل الانسان ، ممّا يضطرهم الى تقديم أولادهم قرابين ، ولهذا عندما نزل القرآن وتحدث عن موضوع القرابين بين لهم إن هذا العمل إنما هو بتزيين من قبل الشركاء ، ولفظ ﴿ وكَذٰلِكَ ﴾ إنه مثلما زينوا الأقوال والأعمال زينوا قتل الأولاد [4] ، وأيّ تزيين هذا ، إذ حسن أقبح الأشياء وهو القتل! القتل! وقد تعددت آراء المفسرين حول الشركاء زعم البعض إنهم الشياطين [5] ، وسميت الشياطين شركاء لإنهم أطاعوهم في معصية الخالق ولإنهم إتخذوهم أولياء أضافت صفة الشراكة اليهم قال تعالى : ﴿ **ويوم نَحْشُرهُم جَميعًا ثُم نَقُولُ لِلَّذِينَ اشْركُوا اينَ شُرَكَاؤُكُم الَّذِينَ كُنْتُم تَزعُمونَ** ﴾[6] ، كما إن عملهم عملهم إغواء الإنسان كما جاء في قوله تعالى :﴿ **قَالَ فَبِعِزتِكَ لَاغْوِينَّهُم اجْمعِينَ ۞ الَّا عِبَادَكَ منْهُم الْمخْلَصِينَ** ﴾ [7] والآيات كثيرة حول هذا التزيين في مواضع مختلفة من القران ﴿ **وجَدْتُهَا وقَومهَا يسْجُدُونَ لِلشَّمسِ منْ دُونِ اللَّهِ وزينَ لَهُم الشَّيطَانُ اعْمالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ فَهُم لَا يهْتَدُونَ** ﴾ [8]

([1]) ينظر : بديع القران ، ابن ابي الاصبع المصري (ت:٦٥٤هـ) : ٢٦٠_٢٦١، تح : حفني محمد شرف ، نهضة مصر مصر . التعبير القراني ، الدكتور فاضل السامرائي : ٦٣_٦٤، مكتبة الصدوق .

([2]) المنافقون : ٧.

([3]) الانعام : ١٣٧.

([4]) ينظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ) : ١٢٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

([5]) ينظر : جامع البيان ، الطبري (ت:٣١٠هـ) : ١٣٦/١٢ ، التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٨٧/٤، النكت في القران الكريم ، ابو الحسن القيرواني (ت:٤٨٨هـ) : ٢٢٣، تح : الدكتور عبد الله عبد القادر طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

([6]) الانعام : ٢٢.

([7]) ص : ٨٢ – ٨٣.

[١] ، وقال تعالى : ﴿ **قَالَ ربِّ بِما اغْويتَنِي لَازينَنَّ لَهُم فِي الْارضِ ولَاغْوينَّهُم اجْمعِينَ** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وجَدْتُهَا وقَومهَا يسْجُدُونَ لِلشَّمسِ منْ دُونِ اللَّهِ وزينَ لَهُم الشَّيطَانُ اعْمالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ فَهُم لَا يهْتَدُونَ** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى في محكم كتابه : ﴿ **واذْ زينَ لَهُم الشَّيطَانُ اعْمالَهُم وقَالَ لَا غَالِبَ لَكُم الْيوم منَ النَّاسِ وانِّي جَار لَكُم فَلَما تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيهِ وقَالَ انِّي بَرِيءٌ منْكُم انِّي ارىٰ ما لَا ترَونَ انِّي اخَافُ اللَّهَ واللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [٤] .

إن الشياطين أعداء للإنسان ، والعدو لا يدعو ، إلا للشر ﴿ **انَّ الشَّيطَانَ لَكُم عَدُو فَاتَّخِذُوهُ عَدُوا انَّما يدْعُو حِزبَهُ لِيكُونُوا منْ اصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ **انَّ الشَّيطَانَ كَانَ لِلانسَانِ عَدُوا مبِينًا** ﴾ [٦] [٦] وقوله تعالى ﴿ **افَتَتَّخِذُونَهُ وذُريتَهُ اولِياءَ منْ دُونِي وهُم لَكُم عَدُو بِئْسَ لِلظَّالِمينَ بَدَلًا** ﴾ [٧] .

ونذهب مع هذا الرأي للأدلة القرآنية أعلاه ، ولإن التزيين وسيلة من وسائل الشيطان المؤثرة والتي يضل بها ضعيفو الدين ومن هم في شك ممّا يعملون ، وقد جاء في النص الكريم : ﴿ **قَالَ ارايتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرمتَ عَلَي لَئِنْ اخَّرتَنِ الَىٰ يوم الْقِيامةِ لَاحْتَنِكَنَّ ذُريتَهُ الَّا قَلِيلًا** ﴾ [٨] ، والإحتناك هنا من الحنك أيّ : : يقودهم الى المعاصي مثلما تقاد الدابة دون إرادة منها [٩] ، ومنهم من ذهب الى إنهم خدمة الأصنام ، ، لما لهم من مصالح في التغرير بالناس والتزيين لهم ، وقيل : الغواة من الناس والمشتركين معهم بالنعم والإشراك ومنهم من ذهب الى إنهم الجن [١٠] ، ومهما تعددت الآراء فأن الغاية تزيين عليهم الإنحراف في الفطرة من خلال قتل الأولاد الأبرياء ، فأفسدت الفطرة السليمة ، وأذهبت من قلوبهم الرحمة ، والرأفة

([١]) النمل : ٢٤.
([٢]) الحجر : ٣٩.
([٣]) النحل : ٦٣.
([٤]) الانفال : ٤٨.
([٥]) فاطر : ٦.
([٦]) الاسراء ٥٣.
([٧]) الكهف : ٥٠.
([٨]) الاسراء : ٦٢.
([٩]) ينظر : تلخيص البيان في مجازات القران ، الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ) : ٢٠٢، تح : محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب "العربية ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٩٥٥م .
([١٠]) ينظر : التبيان ، الطوسي (ت:٤٦٠هـ) : ٢٨٧/٤ ، النكت في القران الكريم ، القيرواني (ت:٤٧٩هـ) : ٢٢٣ ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ١٥٩/٣.

وقلبتها الى مشاعر بمنتهى الوحشية والقسوة ، فهو إرداء نفسي إضافة الى الإرداء الحسي وهو تقليل النسل ، وخلط عليهم الدين ، فكل ما ذكر سابقاً يسعى بكل ما لديه من طاقة ووسائل ليضل الناس عن الطريق الصحيح والفطرة السليمة ، وبالتالي الإنحراف عن خط توحيد الله وطاعته وحده .

ولإجل تحريك المشاعر يخبرهم الله إن ما ينتج عن عملهم هذا إلا الخسران في قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا اولَادَهُم سَفَهًا بِغَيرِ عِلْم وحَرموا ما رزقَهُم اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وما كَانُوا مهْتَدِينَ** ﴾ [1] الخسران الدنيوي والأخروي ، فهم في الدنيا خسروا إنسانيتهم وأخلاقهم وأولادهم بقتلهم إياهم وفي الآخرة الخسارة الأكبر [2] ، وخسرانهم هذا ثابت لا يتغير [3] ، وهذا ما أكده سيد قطب قطب (ت: ١٣٨٥هـ) في قوله : ((خسروا الخسارة المطلقة خسروا في الدنيا والاخرة خسروا انفسهم وخسروا اولادهم خسروا عقولهم وخسروا ارواحهم خسروا الكرامة التي جعلها الله لهم باطلاقهم من العبودية لغيره واسلموا انفسهم لربوبية العبيد حين اسلموها لحاكمية العبيد! وقبل ذلك كله خسروا الهدى بخسارة العقيدة خسروا الخسارة المؤكدة وضلوا الضلال الذي لا هداية فيه)) [4] ، فقد أضاعوا النعم التي أنعمها أنعمها الله عليهم من الأولاد ، وفرطوا بقوتهم وسندهم عند الكِبر معتقدين إن عملهم هذا فيه الخير والرضا قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْاخْسَرِينَ اعْمالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيهُم فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وهُم يحْسَبُونَ انَّهُم يحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [5] فالجهل والتخلف الذي كان يعيشه البعض حرمهم من النعم الموهبة لهم من قبل الله ، وقد روي عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) إنه قال : ((اذَا سَركَ انْ تَعْلَم جَهْلَ "العرب فَاقْرا ما فَوقَ الثَّلَاثِينَ ومائَةٍ فِي سُورةِ الانعَام قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا اولادَهُم سَفَها بِغَير عِلْم وحَرموا ما رزقَهُم اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وما كانُوا مهْتَدِينَ)) [6] ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل إفتروا على الله الأكاذيب من نسيج تخيلاتهم الوهمية والتي لا أساس لها من الصحة ، قال : ﴿ **قُلْ انَّ الَّذِينَ يفْتَرونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يفْلِحُونَ** ﴾ [7] . فما بين الخسران والسفه والجهل أضف الى تحريم النعم والإفتراء عليه والضلال والتيه كل منهم سبب يؤدي الى حصول الذم ، فكيف بأجمعها ؟!

---

(1) الانعام : ١٤٠.
(2) ينظر : الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣٢٨/٤.
(3) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) : ١١٣/٨.
(4) في ظلال القران : ٣/ ١٢٢٢.
(5) الكهف : ١٠٣ – ١٠٤.
(6) البداية والنهاية ، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) : ١٩٠/٢.
(7) يونس : ٦٩.

وفي العهد المدني أكدّ على هذا التحريم ضمن شروط بيعة النساء في قوله تعالى في محكم كتابه : ﴿ **يا ايهَا النَّبِي اذَا جَاءَكَ الْمؤْمنَاتُ يبَايعْنَكَ عَلَىٰ انْ لَا يشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيئًا ولَا يسْرِقْنَ ولَا يزنِينَ ولَا يقْتُلْنَ اولَادَهُنَّ ولَا ياتِينَ ببُهْتَانٍ يفْتَرِينَهُ بَينَ ايدِيهِنَّ وارجُلِهِنَّ ولَا يعْصِينَكَ فِي معْروفٍ فَبَايعْهُنَّ واسْتَغْفِر لَهُنَّ اللَّهَ انَّ اللَّهَ غَفُور رحِيم** ﴾ [1] إن الآية فيها نص صريح ، وشرط مهم من شروط بيعة النسوة التي جاءت لمبايعة الرسول محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) على الإطاعة والسمع لقوانين الإسلام .

ومما لا شك فيه إن شرط عدم قتل الأولاد جاء ضمن الشروط المهمة لبدايات الإسلام وحتى يبين الإسلام بشاعته ساواه مع الشرك بالله وغيرها من الأفعال القبيحة .

وجاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة لهذا التحريم ، فعن النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) قال : ((انَّ اللَّهَ حَرم عَلَيكُم عُقُوقَ الامهَاتِ، ومنْعًا وهَاتِ، ووادَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُم: قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ، واضَاعَةَ المالِ)) [2] ، ووصى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالإهتمام بالبنات ورعايتهن كثيراً خلال سيرة حياته المباركة ، وأكّد على ذلك ، لإنه أراد إنهاء عرف جاهلي مقيت ، وقد جعل العناية بالبنات ، والصبر تربيتهن ونشأتهن سبباً في دخول الجنة فعنه (صلى الله عليه واله وسلم) قال : ((منْ ولِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ، فَلَم يئِدْهَا، ولَم يهِنْهَا، ولَم يؤْثِر ولَدَهُ عَلَيهَا – يعْنِي الذَّكَر – ادْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ)) [3] وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إنه قال : (كان رسول الله اذا بُشر بجارية قال : ((ريحانة ورزقها على الله))) [4] ومن خلال ما تقدم نلحظ نُهِي عن قتل الموءودة من خلال حثه على العناية بها وبيان أهمية تربيتها وما لها من الأجر والمثوبة ، ولكونهن الأساس الذي تقوم عليه الحياة الأسرية ويستمر النسل ، فالأولاد على العموم هم أنس هذه الحياة ولا سيما البنات منهم ، فهي الأم والزوجة ، وهي وليدة الحياة ، وما كان يفعله العرب من وأد وقتل لهن ، إلا ضرب من الخبال ، إذ الرجل منهم يئد مولوده لكونه أُنثى ، في حين إن من أخرجه الى هذه الحياة أُنثى ومن أنجب أولاده الذكور أُنثى فأي عقل كان يحكمه وبأي منطق يسر ؟!

وخلاصة القول إن القران الكريم والسنة النبوية قد عالجا مسألة قتل الأولاد ، ومسألة وأد البنات التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية لا لإنتشارها ، وإنما لغرابة الفعل وشدة قبحه فمحاها محواً من المجتمع وفندّ جميع الأسباب التي يتذرعون بها إبتداءً من مسألة الوأد والتي زهقت أرواح فيها لا لشيء ، إلا لإن

([1]) الممتحنة : ١٢.
([2]) صحيح البخاري ، البخاري (ت:١٥٦هـ) : ٤/٨ .
([3]) مسند احمد ، احمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) : ٤٢٦/٣.
([4]) بحار الانوار ، المجلسي (ت:١١١١هـ) : ٩٧/١٠١.

المولود أُنثى ، ثم صعد في العلاج الى النهي عن القتل بسبب معتقد وهمي لا وجود له ، وهو خوف الفقر ليختمها بالنهي عن القتل بسبب خرافة ومعتقدات مستندة في مضمونها على أساطير منحرفة زينت إليهم من قبل من له المصلحة في ضلالهم ، ثم إستخدم مناهج وطرقاً علاجية من الترهيب والترغيب في القضاء على السلوكيات الشائعة والشاذة آنذاك وإنقاذ الأرواح بإيقاظ الضمائر ، وهي كفيلة بالسيطرة على السلوك القويم لتنشأ أمّة مثالية أخلاقياً .

الخاتمة

وعلى أعتاب الختام نحمد الله كثيراً على فضله ومنّه علينا بأن مدّ في أعمارنا لكتابة هذه الرسالة وألهمنا القوة والصبر على تحمل الصعاب في سبيل إتمامها على الوجه المرضي ، ولا ننكر وجود بعض القصور أو النقص سهواً أو جهلاً يتخلل هذا العمل المتواضع ، إلا أن الباحثة بذلت أقصى جهدها في المطالعة و دراسة البحث حتى يصل عملها إلى مستوى القبول والرضا ، وهنا ندون أهم النتائج التي خرج بها البحث:

١_ خلص البحث إلى أن الكليات القرآنية واسعة وشاملة في القرآن الكريم ، وإن البحث تحدث عن المشهور منها عند العرب من خلال إشارة القرآن الكريم لها ، كعبادة الأصنام ، وتكذيب النبوة ، وإنكار المعاد ، والميراث ، والزواج ، والحج ، والربا ، والخمر والميسر ، وقتل الأولاد والوأد .

٢_ بين لنا البحث إن المجتمع الجاهلي مجتمع متخبط عقدياً ، وإن إنحرافاته العقدية متعمقة الجذور سواء في توحيد الله أو أنكار وأثبات النبوة والمعاد ، لذلك وجه الإسلام ومن خلال القرآن جلّ أساليبه وطرقه في معالجة هذه الإنحرافات وبوسائل تحاكي مختلف العقول المخاطبة ، وتتناسب مع حجم الفساد لإنها تعد أولى الأولويات ، لإنها تبنى فوقها التشريعات الصحيحة والسلوكيات السليمة ، فأستخدم بذلك الفطرة والعقل والوجدان واللغة العربية المحكية آنذاك ، كما أعتمد أسلوب التدرج والترغيب والترهيب حتى تكون معالجاته دقيقة تصيب كبد الإنحراف ، ولهذا كان أثرها الكبير في صناعة مجتمع أصبحت سمته (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

٣_ خرج البحث إلى أن عمرو بن لُحي كان له الدور البارز في تغيير عقيدة الفئة الأكبر من سكان شبه الجزيرة تدفعه المصالح الشخصية وهذا ناقوس خطر يبين أن المطامع الذاتية والمصالح الشخصية سلاح فتاك يهدد حياة الناس عقدياً وإجتماعياً ويذهب بهم إلى الهاوية فيما إذا تعرضت للخطر .

٤_ تحدث البحث عن العادات الجاهلية الظالمة أمثال الميراث والزواج والحج البعيدة عن المنطق و التي لا تليق بالإنسان نتيجة غياب العامل الرقابي السماوي والأرضي حسب ما يعتقدون ، كما أوضح إن معالجته لهذه العادات كان قاصداً فيها الإنسان وحده دون غيره فلم تتدخل المكانة الأجتماعية ولا المستوى الأقتصادي في تقسيمه وعدله في الاحكام .

٥_ بين البحث إن الإنحرافات الأخلاقية ما هي إلا نتيجة إنحراف الأعتقاد وغياب الواعز الديني وتطلب لمعالجتها أساساً أعتماد أسلوب التدرج للقضاء عليها والتخلص منها منذ بداية الإسلام وحتى آخر أيامه

٦_ إن الكليات القرآنية لها الأثر المهم في معالجة الإنحرافات الجاهلية العقدية والعادات السلوكية عن طريق أساليبها المتعددة العقلية والحسية مراعية فيها المكان والمكانة الإنسانية ، وإن طرقه في المعالجة تتلائم مع كافة المجتمعات الجاهلية التي وقف عليها القرآن الكريم ، فالجاهلية عند العرب مثلها مثل جاهلية الأمم السابقة ، ومثلها اليوم تعيدها بعد مئات السنين رغم تطور الأنسان ، لإن الجاهلية المراد منها هي التصرفات والأفعال البعيدة عن العقل والمنطق ولا دور للعلم والتعلم فيها ، فما ظهور الملحدين والمنكرين والمشككين لوجود الله والنبوة واليوم الآخر إلا جاهلية ، وما تضج به المحاكم اليوم من جرائم القتل لأسباب الميراث والزواج أو قتل الأولاد بإجهاضه وهو جنين أو رميه عند ولادته أو حتى قتله حتى بعد أن يكبر إلا جاهلية ، فكم فتاة نُهيت حياتها بسبب فقر الأب أو خلاف شخصي أو بسبب تأثير الخمر والمخدرات والقمار نعيشها اليوم ونشهدها هنا وهناك ، وكم أخذ الربا من أرواح بريئة والإحصائيات في تزايد مستمر فالمعاملات اليوم ربوية بإمتياز وما ضحيتها إلا أصحاب الطبقات الضعيفة ، حتى موسم الحج والذي يعد شعيرة مهمة وبارزة لدين التوحيد ظهرت فيه البدع المختلفة نتيجة تعدد المذاهب والفرق

٧_ إن عمرو بن لُحي محرّف دين التوحيد ما زال بيننا فكل من تسلط على الشعوب ولزم زمام القيادة قادر على تحوير عقائد الشعوب فيما لو تعرضت مصالحه الشخصية ومكانته الإجتماعية للخطر، فكان ولا بد من العودة إلى الأساليب القرآنية لإن الإنحرافات الجاهلية لا تحد بحدود الزمان ولا المكان ، وما معالجات القرآن لها في آياته إلا كدرس متقدم نستفيد منه في زماننا هذا ، وكأنه يخبرنا بالعلة والعلاج ، فلسان حاله يقول : هذا حال إنحرافات آبائكم وأجدادكم ودونكم العلاج الذي عافاهم القرآن به وسيعافيكم أيضاً لإن معالجاته مرنة تواكب تطور وتقدم المجتمعات و تتلائم معها إلى قيام الساعة .

٨_ إن كل ما ذكر من إنحرافات لم تشكل ظاهرة عامة عند جميع العرب بل حالات محدودة عند البعض وقد ذكرها القرآن وبيّن فسادها بسبب تأثيرها سلباً على المجتمع الذي توجد فيه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبي الأصبع ، عبد العظيم بن الواحد (ت:٦٥٤هـ) ، بديع القرآن ، تح : حفني محمد شريف نهضة مصر ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

٢. ابن أبي الصلت ، أمية (ت:٥هـ) ، ديوان أمية بن ابي الصلت ، المطبعة الوطنية ، بيروت – لبنان ط١ ، ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م .

٣. ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن (ت:٣٢٧هـ) ، تفسير أبن أبي حاتم ، تح : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، ط٣ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .

٤. ابن أبي زمنين ، محمد بن عبد الله (ت:٣٩٩هـ) ، تفسير القرآن العزيز ، تح : ابو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٥. ابن أبي سلمى ، زهير (ت:٦٣١م) ، ديوان زهير ابن ابي سلمى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٦. ابن إدريس الحلي ، ابو عبد االلهه ممحمد بن منصور (ت:٥٩٨هـ) ، المنتخب في تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ، تح : سيد مهدي الرجائي ، مكتبة اية الله المرعشي النجفي العامة ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٧. ابن ادريس الحلي ، أبو عبد الله محمد بن منصور بن أحمد (ت:٥٩٨هـ) ، السرائر ، ابن ادريس الحلي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .

٨. ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن الجزري (ت:٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٩. ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد (ت:٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر احمد الزاوي وآخرون ، دار المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، (د.ط).

١٠. ابن الأثير الجزري ، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت:٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : علي محمد معوض و عادل عبد الفتاح ابو سنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .

١١. ابن الأثير الكاتب ، نصر الله بن ممد بن محمد (ت:٦٣٧هـ) ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ .
١٢. ابن الأنباري ، محمد بن القاسم بن محمد (ت:٣٢٨هـ) ، المفضليات ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٣. ابن البطريق الحلي ، شمس الدين يحيى بن الحسن (ت:٦٠٠هـ) ، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب امام الأبرار ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ١٤٠٧هـ .
١٤. ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد (ت:٩٧٤هـ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، (د.مك) .
١٥. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
١٦. ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت:٥٤٣هـ) ، أحكام القرآن ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
١٧. ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت:٢٠٤هـ) ، الأصنام ، تح : احمد زكي باشا ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٨. ابن المفلح ، برهان الدين ابراهيم بن محمد (ت:٨٨٤هـ) ، المبدع في شرح المقنع ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
١٩. ابن النديم ، محمد بن أسحاق (ت:٣٨٤هـ) ، الفهرست ، تح : ابراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٢٠. ابن بابويه ، علي (ت:٣٢٩هـ) ، فقه الرضا ، تح : مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع) ، مشهد – إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
٢١. ابن تيمية ، أبو العباس احمد بن عبد الحليم (ت:٧٢٨هـ) ، درء تعارض العقل والنقل ، تح : محمد رشاد سالم ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٢. ابن جُزي الكلبي ، محمد بن احمد بن عبد الله (ت:٧٤١هـ) ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تح : الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
٢٣. ابن حبان البُستي ، ابو حاتم محمد بن حبّان (ت:٣٥٤هـ) ، الإحسان في تقريب ابن حبان ، تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٢٤. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ) ، تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط١ ، ١٣٢٦هـ .
٢٥. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ) ، الأصابة في تمييز الصحابة ، تح : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
٢٦. ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت:٢٤١هـ) ، مسند أحمد ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .
٢٧. ابن دريد الأزدي ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت:٣٢١هـ) ، الأشتقاق ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٢٨. ابن رشد ، أبو الوليد محمد بن احمد (ت:٥٩٥هـ) ، مناهج الأدلة في عقائد الملة ، تح : الدكتور محمد قاسم ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٤م ، (د.مك) .
٢٩. ابن رشد ، ابو الوليد محمد بن أحمد (ت:٥٩٥هـ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، دار الحديث ، القاهرة –مصر ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م ، (د.ط) .
٣٠. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:٤٥٨هـ) ، المحكم والمحيط الاعظم ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٣١. ابن سيده ، ابو الحسن علي بن إسماعيل (ت:٤٥٨هـ) ، المخصص ، تح : خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان و ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
٣٢. ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت:٤٢٧هـ) ، الشفاء ، تح : الاب قنواتي وسعيد رايد ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٣٣. ابن شهر آشوب ، أبو جعفر محمد بن علي (ت:٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، (د.ط) ، (د.ت) .
٣٤. ابن طاووس ، علي بن موسى (ت:٦٦٤هـ) ، سعد السعود ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.
٣٥. ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد (ت:١٣٩٤هـ) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ١٩٨٤م (د.ط) .
٣٦. ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٣٧. ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب (ت:٥٤١هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٣٨. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت:٣٩٥هـ) ، مجمل اللغة ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .
٣٩. ابن فارس ، ابو الحسين احمد (ت:٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، (د.ط) .
٤٠. ابن فندق ، علي بن زيد بن محمد (ت:٥٦٥هـ) ، تتمة صوان الحكمة ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٤١. ابن فورك ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت:٤٠٦هـ) ، تفسير ابن فورك ، تح : علال عبد القادر بندويش ، جامعة ام القرى – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
٤٢. ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد (ت:٢٧٦هـ) ، الشعر والشعراء ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ١٤٢٣هـ ، (د.ط) .
٤٣. ابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت:٦٢٠هـ) ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
٤٤. ابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت:٦٢٠هـ) ، المغني ، تح : محمود عبد الوهاب فاير وعبد القادر احمد عطا ، مكتبة القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦م .
٤٥. ابن قيم الجوزية ، ابو عبد الله شمس الدين محمد (ت:٧٥١هـ) ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والأرادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
٤٦. ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ) ، اعلام الموقعين عن رب العالمين ، تح : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٤٧. ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ) ، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، تح : علي محمد بن الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
٤٨. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (ت:٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩م .

٤٩. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ) ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، مكتبة المعارف ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
٥٠. ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير(ت:٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .
٥١. ابن ماجه ، محمد بن يزيد (ت:٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٥٢. ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر بيوت – لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .
٥٣. ابن هشام ، عبد الملك بن هشام (ت:٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، شركة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م .
٥٤. أبو البركات النسفي ، عبد الله بن احمد (ت:٧١٠هـ) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تح : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٥٥. أبو البقاء الحلي ، هبة الله محمد بن نما (ت:ق٦هـ) ، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الأسدية تح : محمد خريسات ، صالح موسى درادكه ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين – الأمارات ، ط٢ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
٥٦. أبو البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين (ت:٦١٦هـ) ، إملاء ما به الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩م.
٥٧. أبو الحجاج المزي ، (ت:٧٤٩هـ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن الكلبي ، تح : الدكتور بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
٥٨. أبو الريحان البيروني ، محمد بن أحمد (ت:٤٤٠هـ) ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، (د.مط) (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٥٩. أبو الصلاح الحلبي ، تقي الدين بن نجم (ت:٤٤٧هـ) ، الكافي في الفقه ، تح : رضا إستادي ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – اصفها ن .
٦٠. أبو العزائم ، محمد ماضي (ت:١٣٥٦هـ) ، الخمر رجس من عمل الشيطان ، دار الكتاب الصوفي ، ط١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٦١. أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسن بن محمد (ت:٣٥٦هـ) ، الأغاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
٦٢. أبو القاسم الطبراني ، سليمان بن احمد بن أيوب (ت:٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير ، تح : حمدي بن عد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة – مصر ، ط٢ ، (د.ت) .
٦٣. أبو المحاسن الحنفي ، يوسف بن موسى بن محمد (ت:٤٧٤هـ) ، المعتصر من المختصر من مشكل الأثر ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
٦٤. أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث (ت:٢٣١هـ) ، الوحشيات ، تح : عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط٣، (د.ت) .
٦٥. أبو جعفر النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:٣٣٧هـ) ، الناسخ والمنسوخ ، ابو جعفر النحاس ، تح : محمد عبد السلام محمد ، دار الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
٦٦. أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي (ت:٧٤٥هـ) ، البحر المحيط ، تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ ، (د.ط) .
٦٧. أبو داوود ، سليمان بن الأشعث (ت:٢٧٥هـ) ، سنن أبي داوود ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
٦٨. أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت:٢٠٩هـ) ، مجاز القرآن ، تح : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .
٦٩. أبو المظفر ، منصور بن محمد (ت:٤٨٩هـ) ، تفسير القرآن ، تح : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
٧٠. أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:٣٩٥هـ) ، الأوائل ، تح : الدكتور محمد الوكيل ، دار البشير ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
٧١. أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:٣٩٥هـ) ، الفروق اللغوية ، تح : محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٧٢. أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د. ط) ، (د. ت) .
٧٣. الآملي ، حيدر (ت:٧٨٢) ، المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم تح : محسن الموسوي التبريزي ، مؤسسه فرهنگی و نشر نور علي نور ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٧٤. الأخفش ، أبي الحسن سعيد بن مسعدة (ت:٢١٥هـ) ، معاني القرآن ، تح : هدى محمود قراعة مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
٧٥. الأزرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله (ت:٢٥٠هـ) ، أخبار مكة ، تح : عبد الملك عبد الله دهيش مكتبة الأسدي ، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
٧٦. الأستر آبادي ، محمد بن علي بن إبراهيم (ت:١٠٢٨هـ) ، آيات الأحكام ، تح : الشيخ محمد باقر شريف زاده ، مكتبة المعراجي ، طهران – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .
٧٧. الأشقر ، عمر بن سليمان (ت:١٤٣٣هـ) ، الرسل والرسالات ، دار النفائس ، الكويت ، ط٤ ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .
٧٨. الأشقر ، عمر بن سليمان بن عبد الله (ت:١٤٣٣هـ) ، القيامة الكبرى ، دار النفائس ، الاردن ، ط٦ ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٧٩. الأصبحي ، مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ) ، المدونة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .
٨٠. الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب (ت:٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تح : صفوان عدنان داوودي ، انتشارات ذوي القربى ، ط٤ ، ١٤٢٥م .
٨١. الألمعي ، زاهر عواض ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، (د.مط) ، (د.مك).
٨٢. الإلوري ، آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله ، الإسلام وتقاليد الجاهلية ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ٢٠١٢م ، (د.مك) .
٨٣. الآلوسي ، محمود شكري (ت:١٣٤٢هـ) ، بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ، تح : محمد بهجة الأثري ، ط٢ ، (د.ت) .
٨٤. أمين ، أحمد (ت:١٣٧٣هـ) ، فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢م ، (د.مك) ، (د.ط) .
٨٥. الأندلسي ، ابن سعيد (ت:٦٨٥هـ) ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، (د.مط) ، (د.مك) (د.ط) ، (د.ت) .
٨٦. الباش ، حسن ، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، دار قتيبة ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٨٧. باشا ، إبراهيم فوزي ، أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام ، دار الكلمة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

٨٨. الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ) ، تمهيد الاوائل في تلخيص الدلائل ، الباقلاني تح : عماد الدين احمد حيدر ، مؤسسة الكتب ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٨٩. البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي (ت:٦٧٩هـ) ، شرح نهج البلاغة ، مطبعة وفا ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .
٩٠. البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي (ت:٦٧٩هـ) ، قواعد المرام في علم الكلام ، تح : السيد أحمد الحسيني ، مطبعة الصدر ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ.
٩١. البحراني ، يوسف بن أحمد بن إبراهيم (ت:١١٨٦هـ) ، الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة تح : محمد تقي الايرواني ، دار الاضواء ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
٩٢. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، (د.مك) .
٩٣. بديع الزمان ، سعيد (ت:١٣٧٩هـ) ، الكلمات ، شركة سوزلر ، القاهرة – مصر ، ط٦، ٢٠١١م .
٩٤. البراذعي ، خلف بن أبي القاسم محمد البراذعي (ت:٣٧٢هـ) ، التهذيب في اختصار المدونة تح: محمد الأمين بن محمد سالم بن الشيخ ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م .
٩٥. البرقي ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت:٢٨٠هـ) ، المحاسن ، تح : جلال الدين الحسيني دار الكتب الاسلامية ، طهران – إيران ، ١٣٧٠هـ .
٩٦. البرمكي ، شمس الدين بن خلّكان (ت:٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر بيروت – لبنان ، ١٩٠٠م ، (د.ط) .
٩٧. البرموسي ، روفائيل ، الحياة اليهودية بحسب التلمود ، دار نوبار ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، (د.مك) .
٩٨. برو ، توفيق ، تاريخ العرب القديم ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، ط٢ ، ١٩٩٦م.
٩٩. البرواري ، آماد كاظم ، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن ، مؤسسة السبيل ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٠٠. البغدادي ، محمد بن حبيب (ت:٢٤٥هـ) ، المحبر ، تح : إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٠١. البغدادي ، محمد بن سعد (ت:٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

١٠٢. البغوي ، ابو محمد الحسين بن مسعود (ت:٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
١٠٣. البقاعي ، إبراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة – مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٠٤. البلاغي ، محمد جواد (ت: ١٣٥هـ) ، الآء الرحمن ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣م ، (د. ط)
١٠٥. البلخي ، مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) ، تفسير مقاتل ، مقاتل بن سليمان البلخي ، تح : عبد الله محمود شحاته ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
١٠٦. بهنسي ، أحمد فتحي ، الخمر والمخدرات في الإسلام ، مؤسسة الخليج العربي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
١٠٧. البوطي ، محمد سعيد (ت:١٤٣٤هـ) ، من روائع القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، (د.ط) .
١٠٨. البيضاوي ، عبد الله بن عمر (ت:٦٨٥هـ) ، أنوار التنزيل واسرار التأويل ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – للبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
١٠٩. البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥م .
١١٠. البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ) ، شعب الإيمان ، تح : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١١١. البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي الخرساني (ت:٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
١١٢. بيوتروفسكي ، ميخائيل ، اليمن قبل الإسلام ، دار الكتب اليمنية ، صنعاء – اليمن ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
١١٣. الترمانيني ، عبد السلام بن إبراهيم (ت:١٤١٠هـ) ، الزواج عند العرب ، دار الثقافة العربية ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١١٤. الترمذي ، محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، ١٩٩٨م ، (د.ط) .

١١٥. التونجي ، محمد عمر ناجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
١١٦. الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت:٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تح : ابي محمد بن عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .
١١٧. الثقفي ، ابو أسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الكوفي (ت:٢٨٣هـ) ، الغارات ، تح : جلال الدين (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١١٨. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت:٢٥٥هـ) ، البيان والتبين ، دار الهلال ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ ، (د.ط) .
١١٩. جاد الحق ، علي جاد الحق (ت:١٤١٦هـ) ، النبي في القرآن الكريم ، دار الفاروق ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ٢٠٠٥م
١٢٠. الجازم ، محمد نعمان ، أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٤١هـ – ١٩٢٣م.
١٢١. الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت:٤٧١هـ) ، دلائل الأعجاز ، تح : ابو فهر و محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
١٢٢. الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الشريف (ت:٨١٦هـ) ، التعريفات ، تح : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
١٢٣. الجزائري ، أحمد بن أحمد ، ردود القرآن على ذوي الجحود والأنكار ، دار الحرمين ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
١٢٤. الجزائري ، نعمة الله بن محمد الموسوي (ت:١١١٢هـ) ، الأنوار النعمانية ، مؤسسة مطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .
١٢٥. الجصاص ، أبي بكر أحمد بن علي (ت:٣٧٠هـ) ، أحكام القرآن ، تح : محمد صادق القمحاوي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ .
١٢٦. جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت:٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، (د.ط) .

١٢٧. جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت:٩١١هـ) ، الأكليل في استنباط التنزيل ، تح : سيف الدين الكاتب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، (د.ط) .

١٢٨. جلال الدين المحلي ، محمد بن شهاب الدين (ت:٨٦٥هـ) و جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) ، الجلالين ، تح : مكتبة النهضة ، مكتبة النهضة ، بغداد –العراق ، ط٥ ، ١٩٨٨م .

١٢٩. الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت:٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م .

١٣٠. جياووك ، مصطفى عبد اللطيف ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م ، (د.ط) .

١٣١. الحائري ، مير سيد علي (ت:١٣٥٣هـ) ، مقتنيات الدرر ، الحيدري ، طهران–إيران ، ١٣٣٧ش .

١٣٢. الحر العاملي ، أبو جعفر محمد بن الشيخ حسن (ت:١٠٣٣هـ) ، وسائل الشيعة ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤هـ .

١٣٣. حريفي ، حسن (ت:١٤٤٢هـ) ، الكليات الشرعية في القرآن الكريم ، دار ابن القيم ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٣٤. الحصني ، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن (ت:٨٢٩هـ) ، كفاية الأخيار في حل غاية الأختصار ، دار المنهاج ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

١٣٥. الحكيم ، محمد باقر (ت:١٤٢٤هـ) ، علوم القرآن ، شبكة الفكر ، ط٣ ، (د.مك) ، (د.ت) .

١٣٦. الحلفي ، كاظم ، الربا في نظر القرآن الكريم ، منشورات دار الإيمان ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت).

١٣٧. الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،(د.ط) ، (د.ت) .

١٣٨. الحميري ، نشوان بن سعيد (ت:٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ، تح : الدكتور حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

١٣٩. الحوفي ، أحمد محمد (ت:١٤٠٣هـ) ، الحياة العربية من العصر الجاهلي ، مكتبة نهضة ، مصر ، ط٢ ، (د.ت) .
١٤٠. حوقل ، أبو القاسم محمد (ت:٣٦٧هـ) ، صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٣٨م ، (د.ط) .
١٤١. الحويزي ، عبد علي بن جمعة (ت:١١١٢هـ) ، تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي ، تح : السيد هاشم الرسولي المحلات ، مؤسسة اسماعيليان ، قم – إيران ، ط٤ ، ١٤١٢هـ .
١٤٢. الخازن ، علاء الدين علي (ت:٧٤١هـ) ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تح : تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .
١٤٣. خربطلي ، شكران (ت:١٤٤٠هـ) ، سطو منسية في تاريخ الحجاز ، الدكتورة شكران خربطلي ، دار رسلان ، دمشق – سوريا ، ٢٠١١م ، (د.ط) .
١٤٤. الخطابي ، ابو سليمان حمد (ت:٣٨٨هـ) ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول سلام دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، (د.ت) .
١٤٥. الخطيب ، عبد الكريم ، القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
١٤٦. الخفاجي ، عامر عمران ، الوافي في تاريخ القرآن وعلومه ، مؤسسة الصادق الثقافية ، بابل – العراق ، ط٢ ، ٢٠١٩م .
١٤٧. الخيّام ، أبو الفتوح عمر بن إبراهيم (ت:٥١٧هـ) ، رباعيات الخيام ، تر : احمد الصافي النجفي طهران – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٤٨. الداوودي ، محمد بن علي (ت:٩٤٥هـ) ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٤٩. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، (د.ط) .
١٥٠. ذي الرمّة ، غيلان بن عقبة (ت:١١٧هـ) ، ديوان ذي الرمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
١٥١. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت:٦٦٠هـ) ، مختار الصحاح ، محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

١٥٢. الراوندي ، قطب الدين (ت: ٥٧٣هـ) ، تح : السيد أحمد الحسيني ، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .
١٥٣. رشيد رضا ، محمد (ت:١٣٥٤هـ) ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م (د.ط) .
١٥٤. الريسوني ، أحمد عبد السلام ، الكليات الاساسية للشريعة الاسلامية ، دار السلام ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .
١٥٥. الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، دار الحديث ، ط١ ، ١٩٦٤م ، (د.مك) .
١٥٦. الزبيدي ، مرتضى (ت:١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٥٧. الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت:٣١١هـ) ، معاني القرآن واعرابه ، تح : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، دار عالم الكتب بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
١٥٨. الزرقاني ، محمد عبد العظيم (ت:١٣٦٧هـ) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابلي الحلبي ، ط٣ ، (د.مك) ، (د.ت) .
١٥٩. الزركشي ، محمد بن عبد الله بن بهادر (ت:٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .
١٦٠. الزركلي ، خير الدين بن محمود (ت:١٣٩٦هـ) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م .
١٦١. الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
١٦٢. الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .
١٦٣. زيدان ، جرجي زيدان (ت:١٣٣٢هـ) ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة – مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٦٤. السامرائي ، فاضل ، التعبير القرآني ، مكتبة الصدوق ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٦٥. السبحاني ، جعفر بن محمد ، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم ، مؤسسة الإمام الصادق(ع) ط٣ ، (د.مك) ، (د.ت) .

١٦٦. السبحاني ، جعفر بن محمد ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم – إيران ، ط٥ ١٤٣٠هـ .
١٦٧. السبحاني ، جعفر بن محمد حسين ، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية ، دار جواد الأئمة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
١٦٨. السبزواري ، محمد باقر (ت:١٤١٤هـ) ، معارج اليقين في أصول الدين ، تح : علاء آل جعفر ، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٣م .
١٦٩. السرخسي ، محمد بن احمدد بن أبي سهل (ت:٤٩٠هـ) ، المبسوط ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، (د.ط) .
١٧٠. السعفي ، وحيد ، القربان في الجاهلية والإسلام ، دار الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
١٧١. السفاريني ، محمد بن احمد (ت:١١٨٨هـ) ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، مؤسسة الخافقين ، دمشق – سوريا ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
١٧٢. سلمان ، ختام ، مرجعيات القصص الديني في شعر امية بن ابي الصلت ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٧٣. سليم الحوت ، محمود (ت:١٤١٠هـ) في طريق الميوثلوجيا ، محمود سليم الحوت ، ط١ ، ١٩٥٥م (د.مط) ، (د.مك) .
١٧٤. السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد (ت:٣٧٣هـ) ، بحر العلوم ، (د.مط) ، (د.مك) ،(د.ط) (د.ت) .
١٧٥. السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر (ت:٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ط١ ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٢م.
١٧٦. السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت:٥٨١هـ) ، الروض الأنف ، تح : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الاسلامية ، ط١ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، (د.مك) .
١٧٧. سيد قطب ، سيد قطب إبراهيم (ت:١٣٨٦هـ) ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ط٣٢ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

١٧٨. سيد قطب ، سيد قطب إبراهيم حسين (ت:١٣٨٦هـ) ، جاهلية القرن العشرين ، دار الشروق ، ط١٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، (د.مك) .
١٧٩. سيد قطب ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت:١٣٨٦هـ) ، التصور الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط١٧ ، (د.ت) .
١٨٠. السيوري ، المقداد بن عبد الله (ت:٨٢٦هـ) ، النافع يوم الحشر ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ – ١٩٩٦م.
١٨١. السيوري ، المقداد بن عبد الله (ت:٨٢٦هـ) ، كنز العرفان في فقه القرآن ، تح : الشيخ محمد باقر شريف زاده ، المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٤هـ ، (د.ط) .
١٨٢. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٨٣. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت:٩١١هـ) ، لباب النقول ، تح : احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٨٤. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت:٩١١هـ) ، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تح : محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة –مصر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م .
١٨٥. الشافعي ، أبو عبد الله محمد ابن ادريس (ت:٢٠٤هـ) ، الأم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، (د.ط) .
١٨٦. الشافعي ، أحمد بن محمد (ت:٤١٥هـ) ، اللباب في الفقه الشافعي ، تح : عبد الكريم بن صنيتان العمري ، دار البخارى، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية ،ط١ ، ١٤١٦هـ .
١٨٧. الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص) ، دار الفكر العربي ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
١٨٨. الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد بن الحسين (ت:٤٠٦هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن تح : محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٩٥٥م.
١٨٩. الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بنن الحسين (ت:٤٠٦هـ) ، نهج البلاغة ، تح : محمد عبده دار الذخائر ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
١٩٠. الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسين (ت:٤٣٦هـ) ، الأنتصار ، تح : مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم –إيران ، ١٤١٥هـ .

١٩١. الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسين (ت:٤٣٦هـ) ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، الشريف المرتضى ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م ، (د.مك) .

١٩٢. الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسين (ت:٤٣٦هـ) ، رسائل الشريف المرتضى ، تح : السيد احمد الحسيني ، دار القرآن الكريم ، قم – إيران ، ١٤٠٥هـ ، (د.ط) .

١٩٣. شهاب الدين الأشعري ، أحمد بن محمد بن إبراهيم القرطبي (ت:٦٠٠هـ) ، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

١٩٤. الشهرستاني ، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت:٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، مؤسسة الحلبي ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

١٩٥. الشوكاني ، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ) ، فتح القدير ، محمد بن علي ، دار ابن كثير ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

١٩٦. الشوكاني ، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ) ، نيل الأوطار ، تح : عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

١٩٧. الشيرازي ، محمد بن إبراهيم صدر الدين (ت:١٠٥٠هـ) ، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

١٩٨. الشيرازي ، ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .

١٩٩. الصابوني ، محمد علي (ت:١٤٤٢هـ) ، النبوة والأنبياء ، مكتبة الغزالي ، دمشق – سوريا ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٢٠٠. الصابوني ، محمد علي (ت:١٤٤٢هـ) ، روائع البيان ، مؤسسة مناهل العرفان ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، (د.مك) .

٢٠١. الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، الاعتقادات ، تح : عصام عبد السيد ، مطبعة مهر ، قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٢٠٢. الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، التوحيد ، تح : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، مؤسسة النشر الاسلامي التابع لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .

٢٠٣. الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، الهداية ، تح : مؤسسة الإمام الهادي (ع) ، مؤسسة الإمام الهادي و قم –إيران ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢٠٤. الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، المقنع ، تح : لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) ، مؤسسة الإمام الهادي (ع) ، ١٤١٥هـ .
٢٠٥. الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، علل الشرائع ، تح : السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م ، (د.ط) .
٢٠٦. الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي (ت:٣٨١هـ) ، من لا يحضره الفقيه ، تح : علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٠٧. صديق خان ، محمد (ت:١٣٠٧هـ) ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، تح : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، (د.ط) .
٢٠٨. صديق خان ، محمد (ت:١٣٠٧هـ) ، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ، تح : محمد حسن اسماعيل و احمد فيد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م ، (د.ط) .
٢٠٩. ضيف ، أحمد شوقي عبد السلام (ت:١٤٢٥هـ) ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط١١ ، (د.ت) .
٢١٠. الطباطبائي ، محمد حسين (ت:١٤٠٢هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢١١. الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت:٥٤٨هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٢١٢. الطبرسي ، أبو علي الفضل بن حسن (ت:٥٤٨هـ) ، تفسير جوامع الجامع ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢١٣. الطبري ، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد (ت:٦٩٤هـ) ، القرى لقاصد أم القرى ، (د.مط) (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢١٤. الطبري ، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ .
٢١٥. الطبري ، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٢١٦. الطرابلسي ، عبد العزيز عمر (ت:١٤٢٣هـ) ، المهذب ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ١٤٠٦هـ ، (د.ط) .
٢١٧. طقوّس ، محمد سهيل ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
٢١٨. الطوسي ، أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) ، الأستبصار ، تح : علي أكبر غفاري ، دار الحديث ، قم – إيران ، ط١ ، ١٣٨٠هـ .
٢١٩. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) ، الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد ، دار الاضواء ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٢٢٠. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تح : احمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
٢٢١. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد (ت:٤٦٠هـ) ، الخلاف ، تح : السيد علي الخراساني ، السيد جواد الشهرستاني ، الشيخ مهدي نجف ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ١٤٠٩هـ .
٢٢٢. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد (ت:٤٦٠هـ) ، النهاية في مجرد الفقه والفتاوي ، انتشارات قدس محمدي ، قم – إيران .
٢٢٣. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد (ت:٤٦٠هـ) ، تهذيب الأحكام ، تح : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الاسلامية ، طهران – ايران ، ط٣ ، (د.ت) .
٢٢٤. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد (ت:٤٦٠هـ) ، المبسوط ، تح : محمد الباقر البهبودي المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفري ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .
٢٢٥. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن محمد (ت:٤٦٠هـ) و المحقق الحلي (ت:٦٧٦هـ) ، النهاية ونكتها ، تح : مؤسسة النشر الاسلامي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
٢٢٦. الطيار ، مساعد بن سليمان ، فصول في أصول التفسير ، دار النشر الدولي ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٢٢٧. الطيب ، محمد (ت:١٤١١هـ) ، القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – للبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

٢٢٨. عابدين طه و طه عابدين طه حمد ، الإنحراف الفكري مفهومه – اسبابه – علاجه في ضوء الكتاب والسنة ، معهد احياء التراث ،(د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٢٩. العاملي ، زين الدين بن علي الباعي (ت:٩٦٥هـ) ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، تح : الشيخ حسن القاروبي ، دار التفسير ، قم – إيران ، ط٩ ، ١٣٨٧هـ .
٢٣٠. العاملي ، زين الدين بن نور الدين (ت:٩٦٥هـ) ، مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، مؤسسة المعارف ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ ، (د.مك) .
٢٣١. عبد الحميد ، احمد مختار (ت:١٤٢٤هـ) ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، (د.مك) .
٢٣٢. عبد الصمد ، محمد قاسم (ت:١٣٧٣هـ) ، ظواهر الإنحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، شيتاغونغ ، مجلد ٤ ، ٢٠٠٧م ، (د.ط) .
٢٣٣. عبد المعيد خان ، الدكتور محمد عبد المعيد خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٣٤. العبسي ، عنترة بن شداد (ت:٦٠٨م) ، ديوان عنترة ، مطبعة الآداب ، بيروت – لبنان ، ١٨٩٣م ، (د.ط) .
٢٣٥. العتابي ، ليث ، الكليات القرآنية بين التأسيس القواعدي والقواعد المؤسسة ، مجلة المصباح التابعة للعتبة الحسينية المقدسة ، العدد ٢٥ ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م .
٢٣٦. عرفة ، محمود ، العرب قبل الإسلام ، دار الثقافة العربية ، مصر ، (د.ط) ، (د.ت) ،
٢٣٧. عز الدين الدمشقي ، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام (ت:٦٦٠هـ) ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، تح : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة – مصر ، ١٤١٤هـ – ١٩٩١م ، (د.ط) .
٢٣٨. العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف (ت:٧٢٦هـ) ، تذكرة الفقهاء ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
٢٣٩. العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف (ت:٧٢٦هـ) ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، تح آية الله حسن زاده الآملي ، مؤسسة نشر الإسلامي ، قم –إيران ، ط٧ ، ١٤١٧هـ.
٢٤٠. العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف (ت:٧٢٦هـ) ، منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، تح : قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ، (د.مك) .

٢٤١. العلوي ، هادي نوري (ت:١٤١٩هـ) ، من قاموس التراث ، مطبعة الأهالي ، دمشق – سوريا ، ١٩٨٨م ، (د.ط) .
٢٤٢. علي ، جواد (ت:١٤٠٨هـ) ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان ، (د.ط) . (د.ت) .
٢٤٣. عوني ، حامد ، المنهاج الواضح للبلاغة ، المكتبة الازهرية للتراث ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت).
٢٤٤. العياشي ، محمد بن مسعود (ت:٣٢٠هـ) ، تفسير العياشي ، تح : السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية ، إيران – طهران (د.ط) ، (د.ت) .
٢٤٥. الغزالي ، أبو حامد (ت:٥٠٥هـ) ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان (د. ط) ، (د.ت) .
٢٤٦. الغزالي ، ابو حامد (ت:٥٠٥هـ) ، الاقتصاد في الأعتقاد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .
٢٤٧. الغزالي ، أبو حامد (ت:٥٠٥هـ) ، المستصفى ، تح : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٢٤٨. الغزالي ، أبو حامد (ت:٥٠٥هـ) ، المنقذ من الضلال ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٤٩. الغزالي ، أبو حامد (ت:٥٠٥هـ) ، معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٥م .
٢٥٠. الغلاييني ، مصطفى محمد (ت:١٣٦٣هـ) ، رجال المعلقات العشر ، (د.مط) و (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٥١. غلوش ، احمد ، دعوة الرسل ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٥٢. فارس ، أحمد محمد ، النداء في اللغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م (د.مك) .
٢٥٣. فالح ، عامر عبد الله ، معجم ألفاظ العقيدة ، مكتبة العبيكان ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٢٥٤. الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن (ت:٦٠٦هـ) ، مفاتيح الغيب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ،١٤٢٠هـ .
٢٥٥. الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت:٢٠٧هـ) ، معاني القرآن ، تح : محمد علي النجار وآخرون دار المصرية ، مصر ، ط١ ، (د.ت) .
٢٥٦. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ) ، كتاب العين ، تح : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .
٢٥٧. الفرزدق ، همام بن غالب (ت:١١٠هـ) ، ديوان الفرزدق ، دار بيروت ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، (د.ط) .
٢٥٨. فروخ ، عمر (ت:١٤٠٧هـ) ، تاريخ الفكر الديني إلى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٣م .
٢٥٩. فضل الله ، محمد حسين (ت:١٣٥٤هـ) ، تفسير من وحي القرآن ، دار الملاك ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٢٦٠. الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد (ت:٨١٧هـ) ، بصائر ذوي التمييز ، تح : محمد علي النجار ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة – مصر ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، (د.ط) .
٢٦١. الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد (ت:٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، دمشق – سوريا ، ط٦ ، ١٩٩٨م .
٢٦٢. الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد (ت:٨١٧هـ) ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٦٣. الفيض الكاشاني ، حمد بن مرتضى بن محمود (ت:١٠٩١هـ) ، تفسير الأصفى ، تح : مركز الابحاث والدراسات الاسلامية ، مكتب النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢٦٤. الفيض الكاشاني ، حمد بن مرتضى بن محمود (ت:١٠٩١هـ) ، تفسير الصافي ، تح : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، مركز النشر التابع لمكتب الأعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢٦٥. الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي (ت:٧٧٠هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

٢٦٦. القاسمي ، جمال الدين بن محمد (ت:١٣٣٢هـ) ، محاسن التأويل ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢٦٧. القحطاني ، سعيد ، الربا أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة ، دار الرشد ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٦٨. القرافي ، شهاب الدين أحمد بن أدريس (ت:٦٨٤هـ) ، الذخيرة ، تح : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤م .
٢٦٩. القرافي ، شهاب الدين أحمد بن أدريس (ت:٦٨٤هـ) ، العقل المنظوم في الخصوص والعموم ، تح : احمد الختم عبد الله ، دار الكتب ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، (د.مك) .
٢٧٠. القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : احمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٢٧١. القزويني ، علاء ، زواج المتعة في كتب أهل السنة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، (د،مك) .
٢٧٢. القسطلاني ، احمد بن محمد بن أبي بكر (ت:٩٢٣هـ) ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، ط٧ ، ١٣٢٣هـ .
٢٧٣. القشيري ، عبد الكريم بن هوزان (ت:٤٦٥هـ) ، لطائف الأشارات ، تح : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط٣ ، (د.ت) .
٢٧٤. القوصي ، عبد العزيز (ت:١٤١٢هـ) ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، الدكتور عبد العزيز القوصي ، مكتبة النهضة ، القاهرة – مصر ، ط٤ ، ١٩٥٤م .
٢٧٥. قلعجي ، محمد رواس و قنيبي ، حامد صادق ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، (د.مك) .
٢٧٦. القلقشندي ، أحمد بن علي (ت:٨٢١هـ) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب اللبنانين، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .
٢٧٧. القمي ، علي بن بابويه (ت:٣٢٩هـ) ، فقه الرضا ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
٢٧٨. القونوي ، قاسم بن عبد الله بن امير (ت:٩٧٨هـ) ، انيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تح : يحيى حسن مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – للبنان ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م (د.ط) .

٢٧٩. القيرواني ، ابو علي الحسن بن رشيق (ت:٤٥٦هـ) ، العمدة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م .

٢٨٠. القيرواني ، أبي إسحاق علي بن عبد الغني (ت:٤٨٨هـ) ، النكت في القرآن الكريم ، تح : الدكتور عبد الله عبد القادر طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – للبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٢٨١. القيرواني ، مكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، تح : جامعة الشارقة مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات القرآنية ، جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

٢٨٢. الكاساني ، علاء الدين بن مسعود (ت:٥٨٧هـ) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٢٨٣. الكاشاني ، فتح الله بن شكر الله (ت:٩٨٨هـ) ، زبدة التفاسير ، مؤسسة المعارف ، قم –إيران ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٢٨٤. الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت:٣٢٩هـ) ، الكافي ، تح : علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران – ايران ، ط٣ ، (د.ت) .

٢٨٥. الكندي ، يعقوب بن إسحاق (ت:٢٥٦هـ) ، رسائل الكندي الفلسفية ، تح : محمد عبد الهادي ابو رُيدة ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م ، (د.ط) .

٢٨٦. الكيا الهراسي ، علي بن محمد (ت:٥٠٤هـ) ، أحكام القرآن ، تح : موسى محمد علي وعزة عبد عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .

٢٨٧. اللقاني ، عبد السلام إبراهيم (ت:١٠٧٨هـ) ، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

٢٨٨. الماتريدي ، أبو منصور محمد بن ممد (ت:٣٣٣هـ) ، تأويلات أهل السنة ، الدكتور مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٢٨٩. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:٤٥٠هـ) ، أدب الدنيا والدين ، مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م ، (د. ط) ، (د. مك) .

٢٩٠. الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:٤٥٠هـ) ، الحاوي الكبير ، تح : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩م .

٢٩١. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:٤٥٠هـ) ، النكت والعيون ، تح : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) .
٢٩٢. مبروك ، علي ، النبوة من العقائد إلى فلسفة التاريخ ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م.
٢٩٣. المتقي الهندي ، علاء الدين عطي بن حسام الدين (ت:٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي ، تح : بكري حياني ، مؤسة الرسالة ، بيروت – للبنان ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
٢٩٤. المجلسي ، ابو عبد الله محمد باقر بن محمد (ت:١٠٤٠هـ) ، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٢٩٥. المجلسي ، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي (ت:١٠٧٠هـ) ، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول ، تح : السيد محسن الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، طهران – إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
٢٩٦. المحقق الحلي ، أبو القاسم جعفر بن الحسن (ت:٦٧٦هـ) ، شرائع الإسلام ، دار القارئ ، بيروت – لبنان ، ط١١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٢٩٧. المحلي ، جلال الدين (ت:٨٦٤هـ) ، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) ، تفسير الجلاليين مكتبة النهضة ، بغداد ، ط٥، ١٩٨٨م .
٢٩٨. المرزباني ، محمد بن عمران (ت:٣٨٤هـ) ، معجم الشعراء العرب ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .
٢٩٩. المزني ، إسماعيل بن يحيى (ت:٢٦٤هـ) ، مختصر المزني ، دار المعرفة ، بيروت –لبنان ، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م ، (د.ط) .
٣٠٠. المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ) ، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م (د.ط) .
٣٠١. المشهدي ، محمد بن محمد رضا (ت:١١٢٥هـ) ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، تح : حسن دركاهي ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، طهران – ايران ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٣٠٢. المصطفوي ، حسن (ت:١٤٢٦هـ) ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، مركز نشر اثار العلامة المصطفوي ، طهران – إيران ، ط١ ، ١٣٩٣هـ .

٣٠٣. مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، الأسكندرية – مصر ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٣٠٤. مطهري ، الدكتور مرتضى (ت:١٣٤٩هـ) ، التوحيد ، دار الحوراء ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣٠٥. المظفر ، محمد رضا (ت:١٣٨٣هـ) ، المنطق ، دار التعارف ، ط٣ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٣٠٦. مغنية ، محمد جواد (ت:١٤٠٠هـ) ، التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ط٣ ، ١٩٨١م.

٣٠٧. مغنية ، محمد جواد (ت:١٤٠٠هـ) ، التفسير المبين ، مؤسسة الكتاب الاسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، (د.مك) .

٣٠٨. مغنية ، محمد جواد (ت: ١٤٠٠هـ) ، الفقه على المذاهب الخمسة ، دار التيار الجديد ، بيروت – لبنان ، ط الأخيرة ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٣٠٩. المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت:٤١٣هـ) ، المقنعة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .

٣١٠. المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت:٤١٣هـ) ، النكت الأعتقادية ، تح : رضا المختاري دار المفيد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣١١. المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت:٤١٣هـ) ، أوائل المقالات ، دار المفيد ، بيروت – لبنان ط٢ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣١٢. المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت:٤١٣هـ) ، تفسير القرآن المجيد ، تح : محمد علي ايازي ، مؤسسة بوستان ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

٣١٣. المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:٣٨٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، مصر – القاهرة ، ط٣ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٣١٤. المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت:١٠٣١هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م .

٣١٥. الموسوي ، مرتضى ، المتعة النكاح المنقطع ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣١٦. الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت:٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال ، ابو الفضل أحمد الميداني تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣١٧. الناصر ، محمد ، أخلاق العرب بين الجاهلين والإسلام ، دار الرسالة ، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٣١٨. النبراوي ، خديجة ، النبوة وضرورتها للإنسانية ، (د.مط) ، (د.مك) ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣١٩. النجاشي ، احمد بن علي (ت:٤٥٠هـ) ، فهرس أسماء مصنفي الشيعة ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ط٥ ، ١٤١٦هـ .

٣٢٠. النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية واساليبها في البيت المدرسة والمجتمع ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط٢٥ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٣٢١. الندوي ، ابو الحسن علي (ت:١٤٢٠هـ) ، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ، الدار السعودية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٣٨٧هـ .

٣٢٢. النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت:٣٠٣هـ) ، السنن الكبرى ، النسائي ، تح : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٣٢٣. النعماني ، سراج الدين عمر بن علي (ت:٨٨٠هـ) ، اللباب في علوم الكتاب ، تح : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٣٢٤. النمري ، يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ) ، الإنباه على قبائل الرواة ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٣٢٥. النوري ، حسين بن محمد تقي (ت:١٣٢٠هـ) ، مستدرك الوسائل ، تح : مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، بيروت – لبنان ط٢ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٣٢٦. النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .

٣٢٧. النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ) ، تهذيب الأسماء واللغات ، تح شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣٢٨. النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت:٧٢١هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٢٩. النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٣٣٠. النيسابوري ، نجم الدين محمود بن أبي الحسن (ت:٥٥٣هـ) ، ايجاز البيان عن معاني القرآن ، تح : الدكتور حنيف بن الحسن القاسمي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ.
٣٣١. هاشم البحراني ، أبو المكارم هاشم بن سليمان بن إسماعيل (ت:١١٠٧هـ) ، البرهان في تفسير القرآن ، تح : قسم الدراسات الاسلامية ، قم – إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .
٣٣٢. الهاشمي ، علي (ت:١٤٣٧هـ) ، المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، بغداد – العراق ١٩٦٠م ، (د.ط) .
٣٣٣. الهروي ، ابو عبيدة القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ) ، فضائل القرآن ، تح : مروان بن عطية وآخرون ، دار ابن كثير ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٣٣٤. الهيثمي ، ابو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت:٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تح : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة – مصر ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، (د.ط) .
٣٣٥. الواحدي ، علي بن أحمد (ت:٤٦٨هـ) ، أسباب النزول ، تح : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، الدمام ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .
٣٣٦. الواحدي ، علي بن أحمد (ت:٤٦٨هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
٣٣٧. الواحدي ، علي بن أحمد (ت:٤٦٨هـ) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م .
٣٣٨. الواحدي ، علي بن أحمد (ت:٤٦٨هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
٣٣٩. اليعقوبي ، احمد بن إسحاق (ت:٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

الرسائل والأطاريح الجامعية

١. الكناني ، نهلة عبار ، قبيلة بني عبس ودورها في التاريخ العربي الاسلامي ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٢. حسن علوان ، علاء ، المرويات الشيعية في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، اطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٣. عبد العزيز ، أسعد ، تاريخ العرب قبل الإسلام (دراسة في الاحوال الاجتماعية والفكرية والاقتصادية من خلال صحيحي البخاري ومسلم) ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ..

المواقع الألكترونية

١. Ar.m.wikipeadia.org

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon / College of Islamic Sciences

Department of Quran Sciences

The Qur’anic colleges’ treatment of pre-Islamic deviations

(objective study)

A letter submitted by the student

Rusul Salam Ali

To the Council of the College of Islamic Sciences - University of Babylon

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in the sciences of the Qur'an and interpretation

Under the supervision of Professor Dr

Adel Abdul-Jabbar Thamer Al-Shati

1443 2022

Summary

The treatise, tagged with the name of the effect of Quranic colleges in treating pre-Islamic deviations, dealt with a group of deviant customs in the pre-Islamic era of the Arabs in the Arabian Peninsula and how to deal with these deviations from Through the Holy Qur'an, three chapters were branched from this thesis. The first chapter dealt with the famous ideological deviations, and from it branched into four demands, the first of which dealt with the worship of idols in the Arabian Peninsula And the names of the famous idols, how they were transmitted and who promoted them, while the second demand talked about the philosophy of worship and the third was its topic about the way of worship, while the fourth demand was carrying the Qur'an's treatment of idolatry Through the verses, they use instinct, reason, conscience, and their spoken language. The second requirement deals with the subject of prophecy and the Arab belief about it between the supporter and the denier, and the Qur'an's treatment of this position through the verses. The third speaks On the subject of resurrection, the letter clarified the idols of the Arabs between supporting, denying and skeptical. Then the treatment by the Qur'an clarified and the second chapter discussed known legislative deviations such as inheritance and how the Qur'an deals with the Arab division in the pre-Islamic era. Prophecy and the Arab belief about it between the supporter and the denier, and the Qur'an's treatment of this position through the verses. As for the third, it talked about the return and the message showed the idols of the Arabs between supporting and denying and skeptical, then clarified the treatment by the Qur'an and dealt with The second chapter is known legislative deviations such as inheritance and how the Qur'an deals with the Arab division in the pre-Islamic era and giving each person his right to justice. The second topic deals with marriage and its types among Arabs and how it was refined Islam and how to reform and justify it so that it is a ritual of monotheism purely for God, while the third chapter dealt with the behavioral deviations represented by usury and the Qur'an's treatment of it and getting rid of it in a light way that does not harm the person who adheres to it The second topic dealt with alcohol and gambling, which were among the distractions of the Arabs in the pre-Islamic era, and the ways in which the Qur'an treats them in a gradual manner until they are completely rid of them. As for the third topic, it was talking about killing and infanticide The researcher separated between them and then showed the method of the Qur'an in eliminating this dark deviation.